

من آيات الفن اليوناني القديم



آية في تمثيل الرضاة للنسابة والقول المعتمد



تمثال زهرة قورينه



صورة التمثال من الورلة



صورة لرأس الهشم وعلى النمر بسمة لطيفة

صورة التمثال
من الامام

صورة أخرى
لرأس هذا
التمثال البديع



تمثال للزهرة يضاهي زهرة ميلو

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الاول من المجلد الرابع والثمانين

١٥ رمضان سنة ١٣٥٢

١ يناير سنة ١٩٣٤

تحويل العناصر

مباحث العلماء تحقق احلام الاقدمين
ولكنها تختلف في مرامها

استهوت فكرة تحويل العناصر ألباب الكيماويين الاقدمين . فراحوا يبحثون عن حجر الفلاسفة الذي يمكنهم من تحويل العناصر بعضها الى بعض ، ومن تحويل سخيها الى ذهب ، ولا يزال الموضوع يسترعي عناية الباحثين في اقطار الارض . بل ان طائفة من العلماء في معامل الجامعات والشركات الصناعية ، مكبثون على البحث في هذا الموضوع ، ولا عناية لهم الا به . ونحن اذا نظرنا الى مباحث الكيماويين الاقدمين ، بعيون علماء اليوم وما يلقونه من المصاعب التي تعترضهم وتقطع عليهم سبيل تحقيق الغرض الذي يصبون اليه ، فهمنا ان الخيبة كانت بلا ريبه مصير اسلافهم . ولكن الاقبال على هذا البحث عصراً بعد عصر يرجع في الغالب الى كتابات ارسطوطاليس التي كان لها تأثير عظيم في العصور المتوسطة واتجاهات ابنائها الفكرية . فلما كانت في نظر ارسطوطاليس مؤلفة من مادة اولية او اساسية ، تختلط بالعناصر الاربعة ، التراب والهواء والنار والماء . والمواد تختلف بعضها عن بعض بمقدار ما تحتوي عليه من هذه العناصر الاربعة . فاذا اخذت بهذا الرأي ، فمن الأمور التي لا تحتاج الى دليل ، امكان تحويل المادة الواحدة الى اخرى ، اذا كُشِفَت الطريقة التي تمكن الباحث من تغيير مقدار ما في المادة الواحدة من احد العناصر الداخلة في بنائها . وكان طبيعياً ان تتجه الافكار الى تحويل العناصر المعدنية السخيفة الى ذهب . وقام رجال في عصور مختلفة ادعوا انهم نفذوا الى سر تحويل النحاس او الرصاص او غيرها من الفلزات الى ذهب . وكان الكيماويون القدماء ، معتمدين بعض الحكام في ايام الضيق ، لكي يسدوا العجز في

بيوت المال بصنع الذهب من المعادن السخيفة . وكانوا يفلحون أحياناً في صنع معدن له رواء الذهب ولكنه ليس ذهباً ، فلم تسفر تجاربهم إلا عن خفض قيمة النقد الذهبي ، بصنعه من مادة ليست ذهباً على الإطلاق

وبعد ما اثبتت المباحث التجريبية فساد القول بإمكان تحويل المعادن السخيفة الى ذهب ، ظلّ الناس يعتقدون في صحة هذا الامكان ، حتى ليستطيع شطّار الخادعين ، في هذا العصر العلمي ، ان يدّعوا عبثاً على طريقة لتحويل العناصر الى ذهب ، فيؤلفوا الشركات لهذا الغرض ، ويبترّوا الاموال من جيوب عباد الله الآمنين

التحول ممكن !

اثبتت مباحث علماء الكيمياء في القرن التاسع عشر ان المادة تظهر في نحو ثمانين عنصراً متميزاً احدها عن الآخر ، والذرات التي منها تتركب العناصر ، لا يمكن تحويلها او ابادتها ، بقوة من القوى الطبيعية المعروفة ، كالحرارة والضغط . وعلى ذلك ظهر ان فكرة تحويل العناصر متعذرة ، إلا اذا وفق الباحثون الى وسائل اقوى فعلاً في الذرات من الحرارة والضغط . وثبت في الوقت نفسه ، من دراسة الجدول الدوري الذي وضعه مندليف العالم الروسي ، ان لا بدّ من وجوه شبه بين العناصر المختلفة في بنائها . فلما اكتشف السرجوزف طمسن الالكترتون (الكهرب) سنة ١٨٩٧ تأيّد هذا الرأي . واسفرت المباحث في الالكترتون عن انه يحمل شحنة كهربائية سالبة ، وان كتلته جزءاً من ١٨٤٠ من كتلة ذرة الايدروجين وهو اخفّ العناصر . ثم ان احد هذه الالكترونات او اكثر من واحد ، يمكن ان يزال من مداره حول نواة الذرة ، بفعل الاشعة التي وراء البنفسجي أو الاشعة السينية ، فتصبح الذرة بعد ذلك موجبة الكهربائية بدلاً من ان تكون متعادلتها ، وتختلف خواصها عن خواص الذرة المتعادلة . والتحوّل في الخواص ، يكون وقتياً ، لان الكهرب لا يلبث ان يعود الى مداره السويّ حول النواة ، وتعود الذرة متعادلة الكهربائية ، وخواصها على ما كانت عليه

ففي الفترة بين زوال الكهرب من مداره حول النواة ، وعودته اليه ، تحوّلت الذرة من شيء الى شيء آخر . ولكن الأدلة المعتمدة بين العلماء حينئذٍ ، كانت تشير الى تعذر احداث تحويل دائم في بناء الذرة وخواصها ، بازالة بعض كهاربها او اضافة كهارب اليها . وكلّ تغير من هذا القبيل لا بدّ ان يكون وقتياً

ولكن بكرل الفرنسي اكتشف فعل الاشعاع سنة ١٨٩٦ واقبل رذرفورد وصدي البريطانيان على درس هذه الظاهرة فأثبتا سنة ١٩٠٣ ان الاشعاع مظهر من مظاهر عدم الاستقرار في بناء الذرة . ففي العناصر المشعة ، تنفجر الذرة على حين فجأة ، وينطلق منها اما دقيقة ضخمة (الضخامة نسبية طبعاً) تعرف بدقيقة الفا ، او دقيقة صغيرة سريعة تدعى دقيقة بيتا - هي والالكترتون سواها . فيسفر

هذا الانفجار والانطلاق عن ان الباقي من الذرة يختلف في خواصه الطبيعية والكيميائية عنه قبل انفجاره والانطلاق ما انطلق منه

فلما طال البحث في هذا الموضوع ، تبين ان عنصري الاورانيوم والثوريوم ، يتحولان بالانفجار والانطلاق الى عناصر اخرى مشعة ، منها الراديوم المشهور ، وهذا بدوره يتحول بعد ان ينقضي زمن طويل على اشعاعه الى نوع خاص من الرصاص . وفي التجارب التي قام بها رذرفورد ورمزي وصدي ، تبين ان دقائق الفا المنطلقة من الراديوم في حالة اشعاعه ، انما هي ذرات عنصر الهليوم ، ولكنها تحمل شحنة كهربائية بدلاً من ان تكون متعادلة . فلما قيست قوة انطلاق دقائق الفا وبيتا من ذرات العناصر المشعة تبين انها طاقة عظيمة جداً ، تفوق مليون ضعف ، الطاقة المتولدة من اتحاد الذرات في مادة مفرقة

على ان تحول العناصر المشعة ، يتم من تلقاء نفسه ، ولا سيطرة للعالم عليه بالقوى الطبيعية التي يملكها ، فهو لا يستطيع ، بالضغط العظيم او الحرارة العالية او البرد الشديد ان يسرع انطلاق الدقائق من الذرات او يبطئها . والعناصر المشعة قليلة اذا قيس عددها ، بعدد كل العناصر المعروفة ، ومعظم العناصر مستقر ولا يحدث فيه فعل الاشعاع ، واذا فالعناصر بوجه عام — ما عدا العناصر المشعة — لا يمكن تحويلها بعضها الى بعض في احوال عادية

بناء الذرة

وعليه وجب على المهتمين بتحويل العناصر ان ينتظروا قليلاً ، حتى يتسع نطاق معرفة الباحثين ببناء الذرة نفسها لعل هذه المعرفة ، تمهد السبيل ، الى استنباط وسيلة جديدة تمكنهم من تغيير هذا البناء . والمسلم به الآن ، ان ذرات العناصر كلها ، مبنية بناءً كهربائياً . ففي وسط الذرة نواة صغيرة ولكن كتلتها كبيرة — بل ان معظم كتلة الذرة في كتلة النواة — وتحمل شحنة كهربائية موجبة تختلف ، باختلاف العناصر من واحد الى ٩٢ . وعلى مسافة من النواة توجد الكهارب موزعة على طريقة لم يقرها البحث بعد — كانت في البدء تحسب كالسيارات حول الشمس في ذرة بور النغري — ولكنها تتحرك حركة رجوية سريعة . وعدد الكهارب حول النواة مساوٍ لعدد الشحنة الموجبة على النواة . فالذرة التي على نواتها شحنة موجبة رقم ٥ لها خمس كهارب في جوارها . وقطر النواة ، لا يزيد في الغالب عن جزء من ١٠٠٠٠ جزء من قطر الذرة نفسها ، ولكن معظم كتلة الذرة مقيم في النواة ، وللنواة سيطرة على عدد الكهارب في الذرة ، وعلى حركتها كذلك . ولما كانت خواص الذرة الطبيعية والكيميائية مرهونة بعدد الشحنات الكهربائية الموجبة على نواتها ، فمن الممكن ان تختلف اوزان الذرات من عنصر واحد من دون ان يختلف عدد شحناتها الموجبة على النواة واذاً فقد نجد عنصراً له نوعان او اكثر من الذرات . وكل نوع وزنه يختلف عن وزن النوع الآخر ، ولكن الشحنة الكهربائية في الاثنين واحدة . فذرات الليثيوم — ولهذا العنصر مقام خاص

في درس تحويل العناصر — نوعان أو نظيران (كلمة نظير العربية وضعها الدكتور صرُوف لتقابل كلمة ايسوتوب) احدهما وزن ذراته ٦ والآخر وزن ذراته ٧ والثاني اكثر من الاول . وذرات عنصر من العناصر هي في الغالب خليط من ذرات « نظرائه » . وسوف نجد ان نظيري الليثيوم يختلفان في مقدرة العلماء على تحويلهما بالمعنى الكيميائي . فاحدهما يسهل تحويله ، والآخر يتعذر تحويله او يحتاج الى طريقة تختلف عن طريقة تحويل صنوه

هذا ما يعرف عن بناء الذرات بوجه عام . ويرجع الفضل في معرفتنا عن انتظام الكهارب وحركتها ، وطريقة اشعاع الأشعة السينية منها ، الى مباحث بور Bohr وانداده . ولكن مانعرفه عن بناء النواة لا يزال يسيراً . فنحن نعرف مقدار الشحنة الكهربائية على النواة . ولكننا نجعل انتظام الدقائق فيها . كنا الى عهد قريب نظن ان نواة الذرة مركبة من نوعين من الدقائق الكهربائية — الكهارب وهي سالبة الكهربائية والبروتونات وهي موجبتها . ثم ثبت ان دقائق الفا — وهي نوى ذرات الهليوم ، ووزن الدقيقة منها ٤ اذا قوبلت بوزن البروتون ١ — لها شأن خطير في بناء النواة . وفي السنة الماضية اكتشف النيوترون — وهو دقيقة وزنها كوزن البروتون اي ١ وشحنتها الكهربائية متعادلة . وفي مطلع الصيف الماضي اكتشف البوزيترون — والمظنون أنه يقابل الكهرب — اي انه كهرب ولكن شحنته موجبة بدلاً من ان تكون سالبة . وعليه يصح ان نحسب نواة ذرة من ذرات العناصر الثقيلة مبنية من انواع مختلفة من الدقائق ، شحنة بعضها موجبة كدقائق الفا والبروتون والبوزيترون ، وشحنة البعض الآخر متعادلة كالنيوترون ، وكلها مرتبطة بعضها ببعض بقوى عظيمة جداً في حيز ضيق ، فينشأ من ارتباطها بناءً مستقر

قزائف الطبيعة

ان مشكلة تحويل عنصر الى آخر ، كما يراها علماء العصر الحديث تقتضي احداث تغيير في الشحنة التي على نواة الذرة . وهذا مستطاع نظرياً ، بزيادة دقيقة ذات شحنة كهربائية ، كدقيقة الفا او بروتون الى النواة ، او بطرح احدى دقائقها . وانما يجب ان نذكر ، ان بناء النواة مستقر ، وان دقائقها مرتبطة بعضها ببعض ، بقوى عظيمة . فلكي نحطم نواة من النوى ، يظهر في بادئ الامر ان لا بد من ان نعد الى قوى عظيمة الطاقة . ومن الطرق التي يمكن استعمالها ، اطلاق مقذوفات صغيرة عظيمة السرعة على نواة الذرة . فدقائق الفا التي تنطلق من تلقاء ذاتها من ذرة الراديوم في حالة الاشعاع ، من اسرع المقذوفات التي يستطيع العالم الطبيعي استعمالها ، ومن اعظمها طاقة . لذلك قيل انه اذا اطلق تيار من ذرات الفا على مادة من المواد ، فيحتمل ان تصيب احداها ، نواة ذرة من الذرات ، او ان تصير على قرب عظيم منها ، وفي الحالين لا بد من ان تؤثر في القوى التي تربط بين دقائق النواة ، فتفقد النواة استقرار بنائها وتنقسم الى نواتين

لذلك عمد اللورد رذرفورد سنة ١٩١٩ الى امتحان هذا الرأي بالتجربة ، لعله يأتي بدليل عملي على

ان تحويل بعض العناصر باستطاع باطلاق دقائق الفا على نوى الذرات . وكانت تجاربه بسيطة اذ اخذ مركباً من مركبات الراديوم واستعمله مصدراً لمقدوفاته — دقائق الفا — ومن المعروف انه اذا اصطدمت دقائق الفا بلوح عليه سلفور الزنك ، ظهر اثر الاصطدام في لمعات من الضوء تمكن رؤيتها في غرفة مظلمة . فقال رذرفورد ، اذا اعتمدنا على هذه الطريقة في اكتشاف اثر دقائق الفا فلعلنا نعث على شيء جديد . اخذ مركب الراديوم وسدد دقائق الفا المنطلقة منه الى غاز الاكسجين فلم يرَ اثرأ ما . فلما ابدل الاكسجين بالنيتروجين ، رأى لمعات خاصة ، على مسافة لا تستطيع ، دقائق الفا الوصول اليها . ثم ثبت ان سبب هذه « اللمعات » بروتونات ، لا بد أن تكون قد انطلقت من نوى ذرات النيتروجين عند اصطدامها بدقائق الفا المنطلقة من الراديوم . واذا فذرة النيتروجين قد تحولت بانطلاق بروتون او أكثر منها . وهذه التجربة كانت اول دليل علمي ، اقامه الانسان ، على ان التحويل ممكن بوسائل ابتدعها الذهن البشري

ولم يعرف اولاً كيف تم هذا التحويل . ولكن مباحث بلاكت Blackett الحديثة بينت انه لا بد أن تكون احدى دقائق الفا قد اخترقت نواة ذرة من ذرات النيتروجين ، فحدث وجودها اضطراباً في بناء النواة المستقر ، فطرِد بروتون من النواة بسرعة عظيمة . وهو البروتون الذي دلت اللمعات على وجوده

فلننظر الآن في هذا الامر من ناحية الارقام . اننا نعلم ان كتلة النواة في ذرة النيتروجين ١٤ وان شحنتها الكهربائية ٧ . فاذا اصطدمت بها دقيقة الفا ، واخترقها واستقرت فيها ، اضيف وزنها — وهو ٤ — الى وزن النواة فيصبح ١٨ ، واضيفت شحنتها الموجبة — وهي ٢ — الى شحنة النواة فتصبح ٩ ولكن النواة اذ ذاك تفقد بروتوناً واحداً وزنه ١ وشحنته الكهربائية ١ كذلك فيصبح وزن النواة بعد اضافة دقيقة الفا وطرِح بروتون واحد ، ١٧ وتصبح شحنتها ٨ . ولكن شحنة نواة ذرة الاكسجين ٨ واذن فالتفاعل الناشئ عن اصطدام ذرة النيتروجين بدقيقة الفا ، وما تلاه حوّل ذرة النيتروجين الى ذرة اكسجين

وقد يقال ان وزن نواة ذرة الاكسجين ١٦ وليس ١٧ فكيف ذلك . فنقول ان للاكسجين نظيراً isotope وزن ذرته ١٧ وهذا على ما بيننا واقع في الطبيعة

ثم تبين من تجارب الدكتور شديك Chadwick احد علماء جامعة كمبريدج ، ان اثني عشر عنصراً على الاقل من العناصر الخفيفة يمكن تحويلها باطلاق دقائق الفا عليها . والراجح ان طريقة التحويل فيها شبيهة بما يصيب النيتروجين في حالة تحويله . اي ان دقيقة الفا تندمج في نواة الذرة ، ثم ينطلق من النواة بروتون واحد ، فيزيد وزن الذرة ٣ (الفرق بين وزن الدقيقة وهو ٤ ووزن البروتون المنطلق وهو ١) وتزيد شحنتها الكهربائية ١ . وهذه التجارب تثبت ان الباحث اذا اجاد التجربة استطاع ان يحوّل ذرة عنصر من العناصر الاثني عشر ، الى ذرة عنصر آخر ، اعلى منه في جدول العناصر

ويجب ان ننبه في هذا المقام ان المقدار المتحول من عنصر ما الى عنصر آخر يسير جداً ، بل هو اقل من ان يمكن اكتشافه بالكواشف الكيميائية . ولولا ابتداع طرق عجيبة في دقتها لاحصاء الذرات القليلة المتحولة ، لما اتبح للباحثين ، ان يتبينوا نجاحهم في تجاربهم . ولما كانت نوى الذرات دقيقة كل الدقة ، فاحتمال اصابها بالمقذوفات المطلقة عليها ، ضئيل جداً . ففي تجربة النتروجين يبلغ الاحتمال ١ الى ١٠٠٠٠٠ اي ان دقيقة واحدة من مائة الف دقيقة مطلقة على غاز النتروجين يحتمل ان تصيب نواة احدى الذرات . وهذا الاحتمال يقل في العناصر الاخرى . ويستحيل على الباحث ان يوجه مقذوفاته الى نوى الذرات ، ولذلك فهو يطلقها على مقدار من الغاز ، فيتفق ان تصيب احدى نوى ذراته في الفينة بعد الفينة

ولكن بعض العناصر ، كالليثيوم والكربون والاكسجين لم تكن لقذائف دقائق الفا اي ان اطلاق دقائق الفا عليها ، لم يؤثر في نوى ذراتها فلم تتحول ، كما تحولت بعض ذرات النتروجين ويختلف عنصر البريليوم عن هذه الطائفة وتلك . فان قذفه بدقائق الفا لم يطلق منه بروتونات كما هي الحالة في النتروجين وغيره ، ولا هو ظل جامداً لا يتأثر بها كالاكسجين ، بل انطلق منه نوع من الاشعاع القوي النفوذ ، لاحظته العالم الالماني Bothe اولاً ثم درسته مدام كوري جوليو (وهي ابنة مدام كوري) وتبينت فيه خواص عجيبة . وتلاها الدكتور شك الانكليزي ، فاثبت ان هذا الاشعاع انما هو تيار من دقائق لم تعهد من قبل دعاها « نيوترونات » Neutrons وهي تماثل البروتونات في ان وزن النيوترون كوزن البروتون ١ ولكن النيوترون متعادل كهربائياً حالة ان البروتون موجبها . واذا فتحول عنصر البريليوم يختلف عن تحول النتروجين فذرة البريليوم تلتقط دقيقة الفا وتطلق نيوتروناً وبذلك يتحول البريليوم الى كربون

هذه « النيوترونات » المنطلقة من نوى البريليوم ، قذائف عجيبة ، يمكن استعمالها باطلاقها على نوى ذرات اخرى فتحولها وهي لصغر حجمها ، وتعادل كهربائيتها تحترق ذرات المادة من دون ان تفقد شيئاً كثيراً من طاقتها . ولا تنم على نفسها ، الا اذا اصطدمت بنواة ذرة من الذرات . فقد اثبت فذر Feather ان اطلاق النيوترونات على الاكسجين يحولها ، بقذف دقائق الفا من نوى ذراته . وهذه الحقيقة لها شأن خاص لان اطلاق دقائق الفا على الاكسجين لم تؤثر فيه على الاطلاق

قذائف العلماء

لقد عالجنا حتى الآن تحويل العناصر باطلاق قذائف عليها ، منبعثة من تلقاء نفسها من انحلال العناصر المشعة كالراديوم . ولكن ما لبث الباحثون ان ادركوا ، ان توسيع نطاق معرفتهم ببناء الذرة وتحويل العناصر ، يقتضي قذائف اخرى متنوعة . وكان معروفاً ان اطلاق تيار كهربائي في غاز لطيف ، يخرج منه مقذوفات متنوعة من ذرات وجزيئات سريعة الانطلاق . فاذا اسرعت هذه الذرات المنطلقة بمرارها في فراغ معرض لفعل الجذب الكهربائي ، فقد تصبح سرعتها كافية

لاطلاقها على نوى الذرات بغية تحطيمها . فاذا اطلق مثلاً تيار كهربائي في غاز الايدروجين في احوال معينة ، انقذف تيار من القنابل الصغيرة السريعة ، لا يقذف مثلها مائة الف غرام من الراديوم ، في الوقت نفسه . ثم ظن انه اذا استعملت تيارات كهربائية عالية الضغط — من رتبة مليون فولت — تمكن العلماء من الحصول على مقذوفات سريعة يستطيعون استعمالها ، كما استعملوا دقائق الفا من قبل . وبعد سنين من المحاولة والامتحان ، تمكن كوكروفت وولتن في جامعة كمبريدج ، من اطلاق بروتونات ، مولدة توليداً صناعياً ، بالطريقة التي ذكرناها ، على ذرات عنصر الليثيوم ، فقذفت هذه الذرات ، دقائق الفا منها ، اي ان نوى ذرات عنصر الليثيوم حطمت لأول مرة في تاريخ العلم على ما نعلم ، بواسطة قذائف صنعها الانسان

وقد انجحت الآن الطريقة التي يحدث بها هذا التحطيم . فمن ألوف البروتونات المطلقة على ذرات الراديوم يصطدم بروتون بنواة ذرة من الذرات . اما وزن البروتون فواحد . واما وزن نواة ذرة الليثيوم فسبعة . فاذا اصطدم البروتون بالنواة ، لا ثابت النواة ان تنفصل الى قسمين كل منهما دقيقة الفا — وهي ذرة الهليوم — وزنها ٤ ومجموع وزنيهما ٨ اي مجموع وزن نواة الليثيوم (وهو ٧) ووزن البروتون (وهو ١) . وبعد ما نجح كوكروفت وولتن في تحويل الليثيوم الى هليوم ، عمدا الى اطلاق مقذوفاتها على عنصري البور Boron والفلور Fluorine فوجدوا ان اطلاقها يسفر عنه انقذف دقائق الفا من ذرات هذين العنصرين . اي ان ذرات هذين العنصرين تتحوّل بوجه عام كما تحولت ذرات عنصر الليثيوم . والظاهر ان اطلاق دقائق الفا على العناصر يحوّلها الى عناصر اعلى منها في جدول العناصر ، فالتروجين يتحوّل الى اكسجين واما اطلاق البروتونات فيحوّلها الى عناصر ادنى منها في جدول العناصر ، فالليثيوم يتحوّل الى هليوم

وثمة نوع ثالث من المقذوفات يستعمل في تحويل العناصر . هي بروتونات الايدروجين الثقيل . ولا يخفى على من قرأ مقالتنا في مقتطف اكتوبر ١٩٣٣ في « الايدروجين الثقيل » ، ان لعنصر الايدروجين نظيراً ، يشبهه في خواصه الكيميائية ، ولكن ذرته اثقل من ذرة الايدروجين العادي ، وان الماء المصنوع من هذا الايدروجين اكدف من ماء الايدروجين العادي بنحو ١٠ او ١١ في المائة ، ويختلف عنه في درجة غليانه وتجمده . وقد عمد الاستاذ لورنس الاميركي الى اطلاق بروتونات الايدروجين الثقيل (ووزن البروتون منها ٢ بدلاً من ١ وهو وزن بروتون الايدروجين العادي) ثم زاد سرعة انطلاقها بطريقة خاصة استنبطها ، فوجدوا فعل في تحطيم الذرات من البروتونات العادية ولعلّ القارئ يسأل دهشاً بعد هذا البيان الوافي ، عن غرض العلماء في درس تحويل العناصر هل يريدون ان يصنعوا الذهب والبلاطين من النحاس والرصاص والفضة ؟ فنقول لا انهم يبحثون عن اسرار الكون وصلة بناء الذرة بتركيب الشمس وضيائها وحرارتها ، وصلة ذلك بالأشعة الكونية ، وهل في هذه المعرفة اي تعليل لنسبة الموجود من العناصر في القشرة الأرضية . هذه المسائل العويصة تقفن لبّهم ، والنفوذ الى بعض الغازها آمن من الذهب وأعلى من البلاطين ١١

اجنحة المدافع المصرية

لمصطفى صادق الرافعي

إِسْتَجْنَحِي^(١) يَا مَدَافِعَ مِصْرَ وَطِيرِي ، إِنْ المَجْدَ يُطَلِّبُ مِنَّا إِنْسَانُهُ الْبَرْقِيَّ
لَقَدْ مَدَّتْ لُغَةُ الْقُوَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَدَّهَا حَتَّى أَصْبَحَ الطَّيْرُ أَنْ بَعْضَ مَعَانِي
الْمَشْنِيِّ ، وَلَمْ يَعُدَّ الْعَالَمُ يُدْرِي كَيْفَ تَكُونُ الصُّورَةُ الْآخِرَةُ الَّتِي يَسْتَقَرُّ فِيهَا مَعْنَى إِنْسَانِهِ
فَلَمَّا تَمَجَّدَ مِصْرُ بِإِنْسَانِهَا الْبَرْقِيِّ الَّذِي تَخْرُجُ النَّارُ بِيَدِهِ مِنْ أَعْرَاضِ
السَّحَابِ ، وَتُفَرِّقُ قَعُ فِي أَصَابِعِهِ هَزَمَاتُ الرَّعْدِ ، وَيَجْعَلُ فِي قُبَّةِ السَّمَاءِ صَلَاحَةً
وَجَلِيلَةً ، وَيَحْمِلُ الْأَسْمَاءَ الْمِصْرِيَّةَ إِلَى مُعَلَّقِ النُّجُومِ فَيَضَعُ لَهُ مِنْ هُنَاكَ التَّعْرِيفَ
النَّارِيَّ الَّذِي وَضَعَتْهُ الدُّوَلُ الْعَظِيمَةُ لِأَسْمَائِهَا

وَلَتَمَجَّدَ مِصْرُ بِإِنْسَانِهَا الْبَرْقِيِّ الَّذِي يُشْعِرُهَا حَقِيقَةَ الْعُلُوِّ الْعَالِي ، وَالْعُمُقِ
الْعَمِيقِ ، وَالسَّعَةِ الَّتِي لَا تُحَدُّ ، وَيَزِيدُ فِي مَعَانِي أَحْيَائِنَا مَعْنَى جَدِيداً لِأَحْيَاءِ السَّحَابِ ،
وَفِي مَعَانِي أَمْوَاتِنَا مَعْنَى جَدِيداً لِمَوْتِنَا الْكَوَاكِبِ

إِنْسَانٌ بَرْقِيٌّ يَتِمُّ بِشَجَاعَتِهِ فِي السَّمَاءِ بِطَوْلَةٍ فَلَا حِينَا الْإِنْسَانِ الشَّمْسِيِّ فِي الْأَرْضِ ،
وَيَعْلُو بِكِبَرِيَاءِ مِصْرَ الْوُطْنِيِّ فِي ذِرْوَةِ الْعَالَمِ فَتُظْهِرُ طَيَّارَاتُهَا الْعَظِيمَةَ قُدْرَةً فِي الْجَوِّ
كَمَا ظَهَرَتْ آثَارُهَا الْعَظِيمَةَ قُدْرَةً فِي الثَّرَى

إِنَّمَا مِصْرُ . مِصْرُ الْقَادِرَةِ الَّتِي سَحَرَتْ الْقِدَمَ بِقُوَّتِهَا وَفَنَّهَا بِقِيَّتِهَا عَلَى حَالِهِ
وَجَلَالَتِهِ وَانْهَزَمَ الدَّهْرُ عَنْهُ كَأَنَّهُ قُوَّةٌ عَلَى قُوَّةِ الزَّمَنِ نَفْسِهَا

فَاسْتَجْنَحِي يَا مَدَافِعَ مِصْرَ وَطِيرِي . إِنْ المَجْدَ يُطَلِّبُ مِنَّا إِنْسَانُهُ الْبَرْقِيَّ

وَلَمَّا فُتِحَ السَّجِيلُ ذَاتَ صَبَاحٍ لَتَسْكُتَ مِصْرُ أَسْمَاءَ الْفَوْجِ الْأَوَّلِ مِنْ نُسُورِهَا
الْحَرْبِيِّينَ ، صَاحَ مَجْدُهَا الْخَالِدُ مِنْ أَعْمَاقِ التَّارِيخِ :

أَضْرَمِي الشَّعْلَةَ الْآدَمِيَّةَ الْأَوَّلَى يَا مِصْرَ ، وَافْتَحِي الْقَبْرَ الْجَوِّيَّ الْأَوَّلَ وَالْحَدِيدِي
فِيهِ مِنْ عُنْصَرِيكَ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَقْبَاطَ ، وَضَعِي الْحَيَاةَ فِي أُسَاسِ الْحَيَاةِ ، وَاسْتَقْبِلِي عَصْرَكَ
الْجَدِيدَ بِأَذَانِ الْمَسْجِدِ وَدُقِ النَّاqُوسِ لِيُبَارِكَهُ اللَّهُ ، وَلِيَتَلَقَّ الشَّعْبُ أَوَّلَ طَيَّارِيهِ بِقُلُوبِ
فِيهَا رُوحُ الْمَعْرَكَةِ وَأَوَّلَ كِبَادِ عِرْفَتِ مَسِّ النَّارِ ، وَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى طَيَّارَاتِهِ الْأَوَّلِ إِلَّا
بَعْدَ أَنْ يَنْظُرَ النُّعْمَشِينَ فَيَرَى مَجْدَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ الْوُطْنِ ، فَتَسْطَعُ نَظَرَاتُهُ بِبَرِيقِ الْكِبَرِيَاءِ

(١) أَيِ اتَّخَذِي الْاجْنَحَةَ وَلَمْ تَأْتِ الْكَلِمَةُ فِي اللُّغَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى وَلَكِنَّا اسْتَعْمَلْنَاهَا فِيهِ قِيَاساً عَلَى كَلَامِهِمْ

ولمعة العزيمة وشعاع الإيمان ، وبأَتْلِقَ فيها النور السماوي الذي يجعلُ الناسَ في بعض ساعاتهم كواكب ، نورُ صلاةِ الشعبِ على موتاه الشهداء واستجاب القدرُ لصوتِ المجد ، فالتسجُ الظلامُ في وَضَحِ الصبحِ ، وانطفأ سراجُ النهارِ في قبةِ الفلكِ ، وأطبقتْ نواحي الجوِّ أطباقَ ليلةٍ تساقطتْ اركانُها ، وأقبل الضبابُ يَعْتَرِضُ اعتراضَ جَبَلٍ عَاطِمٍ يَتَدَبَّدَبُ في بحرٍ ، واستأرضَ السحابُ فتخلّصَ عن طبيعته السماوية الرقيقة ، وتذاعرتْ العناصرُ على القتالِ يَحْضُضُ بعضها بعضاً ، وتغشّت السماء بوجه الموت كَلَحَ فاربداً وانتفخ وتكسرت فيه الغُضُونُ كل غُضُنٍ كَسَفَةِ ظلامٍ ، وعاد أوسعُ شيءٍ أضيقَ شيءٍ فكان الفضاء كصدر المحتضر ليس معه إلا عُمُرُ ساعةٍ وأنفاسُها

وابتَدَرَتْ الى مجد الموت الطيارة المصرية الاولى وكان فيها انكليزيان يقودانها فأبأها الموت فذهبت فانتحرت أسفاً وتردّت متحطمة وانسلَّ الرجلان من مخالب الردى وكانا في الطيارة كورقتين من النَّبْتِ في فم جرادة هَمَّتْ تَقْضِمُهُمَا وتستتبيقُ الثانية فاذا فيها ودیعة الكرم من عنصري مصر «حجاج ودوس»^(١) وكان سرّاً من اسرار مصر اجتمعا في مداحض الغمام ومزالقه ليكونا هدية مصر الاولى الى مجدها الحربي ، ثم ليكونا هدية المجد الى إحساس هذا الشعب يُحسُّ منهما العالم المنطوي له في مستقبل النصر

واعتسفت طيارة الشهيدین طريق الفنَاء ومناهة الحياة ، فذهبت عنها مَعَارِفُ الأرض وعُمُيَّتْ عليها معالمُ السماء ، وخرجت من تصريف أيدي البطلين الى تصريف أجلهم ، وأصبحت كأنها تطير في الانفاس الباقية لها فما تتقدم ولا تتأخر ، ولم تعد طيارة محمّليهما بل جناحاً ممدوداً لها من رحمة الله ثم اجتَرَّها الموت الى غَوْرٍ فانحطَّتْ من الهواء جانحة كالطائر يطلب ماجاً في العاصفة ثم انتهضت واثبة وتمطرت منقلبة فاشتعلت فاستعرت فأضجت راكبيها رحمهما الله وكثيراً ما يكون منظرُ الحزن في الحياة هو انهماك الحياة في عمل جديد تبذل منه السرور والقوة . احترق البطلان لتسلّم مصر في نعشيهما رماداً لن يُبْسَنَى تاريخُ العزة الوطنية الا به

فاستجني يا مدافع مصر وطيري . ان المجد يطلب منا إنسانه البرقي

صنعت النارُ الآدميةُ الحقيقة ، ووضعت لنا الاسمَ البديعَ الذي نُطلقه على

(١) هما فؤاد حجاج وشهدي دوس ، وكان في الطيارة الاخرى التي تحطمت المستر بليت والمستر سميت

طيارينا الأبطال ، فلا تُسمُّوهم نُسُور الجو ولكن سموهم « جَمَرَاتِ الجو »
صنعت نارنا الحقيقة ، وأوحت إلينا أن نستبدل من انفسنا حالة بحالة ، وأن
نُفَاجي شعورنا الحالم فنصدمه بالآلام اليقظة المرّة ، وأن نغير قاعدة الحياة في التربية
المصرية فلا تكون : العيش العيش ولكن القوة القوة
صنعت النار الحقيقة ، وأثبتت لنا ان الحياة إن هي إلا أداة للحى وليس الحى أداة
للحياة ، فليتصرف بها على قوانين الروح وآمالها فيسمو وتسمو ، ولا يدعها تتصرف ،
على مذاهب اقدار المادة وتصاريفها فيذلّها وتذلّه . وفي قانون الروح : لا قيمة
لعالم الاشياء إلا كما تصلح لنا ، وفي قانون المادة وضغطة الحياة : كما تصلح لنا
وكما تصلح لها

بلى ، قد صنعت النار الآدمية الحقيقة وأعطينا قصة الحرية كاملة في معنى
واحد ، وهو أن هذه الحرية لعاشقها كأجل الجميلات للمتنافسين عليها : جالها متوحش ،
وخلاعتها مُفترسة ، وظرفها سفك للدم

فاستجني يا مدافع مصر وطيري . ان المجد يطلب منا انسانيه البرقي

والى السماء يا « جَمَرَاتِ الجو » ، فاذا استويت على السحاب فليست الطيارة ثم
طيارة بل حقيقة حية عاملة للمجد ، فلتحمل معناها المصري من بطليها المصري
واذا سبحت في مهبط القدر فليس الطيار ثم طياراً بل حياة عبقرية أرسلتها
مصر تستنزل للحياة اقداراً سعيدة

واذا خضتم في المعرك الضنك تتبعثر فيه الآجال على الرياح فليس الجسم
المصري هناك من لحم ودم بل ناموساً طبيعياً ماضياً الى غاية
واذا تقاذفت في بحر الشمس فأنتم هناك على شباك طرحتوها لصيد أيام مضية
تلتهم في تاريخ مصر

واذا نفذتم من أقطار السماوات فانظروها بأعينكم تلك العلى وافهموها بقلوبكم ذاتية
الوطن المصري تعلو وتعلو ولا تزال أبداً تعلو

انما الطيارة وسلاحها وطيارها تأليف من الانسانية والعناصر معناه في العزيمة
« لا بد » . ومتى هدرت الطيارة هديرها فلما تقول للبطل منكم : هلم من حال الى
أعلى ، الى أكثر علواً ، الى اقصى حدود الواجب على النفس حين يأخذ الواجب الشكل
وحين تعطي النفس الشكل

فاستجني يا مدافع مصر وطيري . ان المجد يطلب منا انسانيه البرقي

العلم وحياتنا اليومية

العلم والفلاح — فوائد البكتيريا — مواد جديدة للبناء

عجائب الكيمياء — احوال العمل

العلم والفلاح

الزراعة اقدم اعمال الانسان المتمدن وأوثقها صلة بحياته . والمباحث العلمية الحديثة في طبائع الارض والتربة قد آسدت معظم النتائج العامة التي توصل اليها الانسان القديم بالممارسة الطويلة . فقد أدرك الفلاحون الاقدمون ان روث الحيوانات يزيد خصب الارض . فأثبت العلم الحديث ان التربة تستمد من روث الحيوانات مركبات النتروجين التي لا ندحة عنها حياة النبات . فلما ارتقى البحث في العهد الحديث اصبح في مستطاع الانسان ان يصنع هذه المركبات ، في شكل مركز ، هي الاسمدة الكيماوية ، وإضافتها الى التربة تزيد خصبها اضعافاً كثيرة . وكذلك شرع الانسان يستعمل الاسمدة الطبيعية النقية أولاً مثل نترات الصودا ثم الاسمدة الصناعية كسلفات الامونيا ولا يخفى ان نترات الصودا يستخرج من مناجم في بلاد شيلي . فهو في الواقع سماد طبيعي ولكنه نقي الى حد كبير . اما سلفات الامونيا فيصنع من سوائل الامونيا في معامل الغاز . بيد ان المناجم التي تحتوي على السماد الطبيعي وشبكة النفاد ، ولا بد للانسان من ان يبحث عن وسائل يستطيع ان يصنع بها مركبات النتروجين التي لا ندحة عنها تلخص ارضه

والهواء اغني مصادر النتروجين . فأربعة اخماس الهواء نتروجين حر مباح لمن يشاء . ولكن النتروجين في الهواء ، غاز غير قابل للتفاعل مع العناصر الاخرى ، وانما يختلط اختلاطاً بالاكسجين الذي لا بد منه للحياة . فالمشكلة التي اعترضت العلماء هي مشكلة استنباط طريقة لجعل جانب يسير من هذا النتروجين على الاتحاد بالعناصر الاخرى ، فتصنع منه المركبات النتروجينية اللازمة للتربة . وهذا العمل يعرف بتثبيت النتروجين الجوي . ولم يفلح علماء الكيمياء في حل هذه المشكلة الا في العقد الثاني من القرن العشرين

ولذلك غير طريقة واحدة . منها الطريقة المستعملة في بلاد النرويج ، حيث يحمل اكسجين الهواء على الاتحاد بنتروجينه ، بواسطة نور القوس الكهربائي . وبعد ذلك يحول هذا الاكسيد الى المركبات الاخرى . ولكن لما نشبت الحرب العالمية وقل ورود نترات الصودا الى المانيا ، لما ضربت الحلفاء حولها من الحصر البحري ، اكتشف احد الكيماويين الالمان طريقة تثبيت نتروجين الهواء ، يجعله يتحد بالايديروجين ، فتتولد الامونيا من اتحادها ، ومن الامونيا ، يصنع سماد سلفات الامونيا (النشادر) الالمانى المشهور . هذا من ناحية الكيماوي . اما علماء النبات فقد بينوا للفلاح ، كيف يثبت بعض النبات من الفصيلة البقولية كالقول والعوس والحمص والبرسيم نتروجين

الهواء بواسطة حبيبات من البكتيريا على جذوره ، شأنها امتصاص قليل من نتروجين الهواء وتحويله الى مركبات نتروجينية يسهل امتصاصها على جذور النبات . فهذه الحبيبات تتناول النتروجين من الهواء أولاً ثم تناوله الى النبات في شكل يسهل عليه امتصاصه . واكتشاف هذه الحقيقة مكن علماء الزراعة من اعداد التربة لزراعة نبات يستنفد كثيراً من المركبات النتروجينية في خلال نموه ، بزراعة نبات من هذه الفصيلة أولاً ، فيمد التربة بالمركبات النتروجينية اللازمة للمحصول التالي

ثم ان علم الوراثة اصبحت له شأن عظيم عند الفلاح . ذلك ان القواعد التي اكتشفها مندل والذين جروا مجراها ، قد مكنت العلماء من استنباط اصناف جديدة من الحنطة والشعير والبطاطس وغيرها ، هي اكثر محصولاً واشد مقاومة للآفات . وزراعة اشجار الفاكهة قد خضعت للسيطرة العلمية وخصوصاً ما كان منها مرتبطاً بمكافحة الحشرات ، وتطعيم الاشجار . بل ان المباحث العلمية ، قد زادت مقدار السكر في قصب السكر والبنجر ثلاثة اضعاف . ثم ان التجارب تجرّب في استنباط وسائل لتجفيف العشب تحفيظاً صناعياً ، وقد اثبتت هذه التجارب ان قيمة العشب الغذائية ، من حيث هو علف للمواشي ، تزيد اذا جفف تحفيظاً سريعاً . وكذلك يبطل القول المأثور في الغرب « اصنع التبن ما زالت الشمس مشرقة » Make hay while the sun shines

وكانت الزراعة في الماضي عملاً يدوياً في الغالب . وهي لا تزال كذلك في معظم اسيا وافريقية وبعض اوربا . فلا تزال نرى في الصين والهند ومصر وايطاليا ، الثيران تجرّ المحارث القديمة ، والنساء يجمعن التبن ويحزمنه في اوربا الشرقية والمتوسطة . وهي مشاهد خلقتها صورة الانجلوس المشهورة واضرابها . ولكن العلم والصناعة اخذا يغزوان الزراعة بالوسائل الميكانيكية للحرث والبذر والحصد والجني ، وكثيراً ما ترى الآلات التي تسير بقوة الاحتراق الداخلي (كالسيارات) تحرث وتبذر وتحصد . ولعلّ الامة التي شأت سائر الامم في هذه الناحية هي الولايات المتحدة الاميركية ولكن استعمال الآلات في الزراعة يخلق مشكلات اجتماعية لا بدّ من مواجهتها . فاذا كان المحراث الآلي ، يعمل عمل عشرة محارث تجرّها الخيل واذا كان المحراث الآلي لا يحتاج الا الى عمل رجل واحد ، فلا بدّ للمجتمع من ان يبحث عن عمل للرجال التسعة ، الذين تعطلوا عن العمل لاستعمال الآلات . واذا كان الجري على الاساليب العلمية ، في الحرث والزرع والتسميد يمكننا من ان نتجج حبتين من الحنطة حيث كنا لاننتج الا حبة واحدة ، فلا بدّ ان يأتي يوم (وقد رأينا ذلك بعيوننا في ما نعانيه الآن) تهبط فيه اسعار المحاصيل ، فلا تدرّ ربحاً ما على زراعتها ، وينكب العالم بضائقة اقتصادية خانقة . وقد اشارت إحدى المجالات العلمية ، الى ان زرايع اشجار المطاط يرفضون استعمال الاسمدة الخاصة بهذه الاشجار لان الاسعار التي يبيعون بها مطاطهم الآن اقل من من ان تغريهم بزيادة المحصول . والعلاج لمثل هذه المشكلات ليس اقلال الانتاج ، في المصانع والحقول ، لأنّ الوف الوف من الناس في بقاع مختلفة من الارض ، لا يزالون يحتاجون الى ضرورات العيش وهم لا ينالونها ، وانما العلاج يقوم بتنظيم الانتاج والتوزيع تنظيمًا علميًا عالميًا

اثبتت مباحث العلماء ان البكتيريا طائفتان . طائفة ضارة تسبب الامراض . واخرى مفيدة تحدث التخمر وتستمد النروجين من الهواء وتحوله غذاء للنبات . فخصب الارض الى حد بعيد مرهون بفعل البكتيريا . وخصب الارض اساس حياة النبات والحيوان . ثم ان صنفاً من البكتيريا في معد وامعاء الحيوانات ذات الحافر كالفرس والجل والغنم والبقر ، يمكنها من هضم القش والتبن ، واذا فالبكتيريا لا بد منها حياة الانسان الذي يغتذي باللحم . على ان الانسان ادرك فائدة هذه الاحياء الدقيقة ، قبل ان تدرس في المعمل على شريحة المكروسكوب . فاستعملها في صنع العجين الذي لا يختمر ويصبح صالحاً للخبز الا اذا اضيف اليه قليل من الخميرة والخميرة قريبة الصلة بالبكتيريا . ثم ان تعطينه لعيدان الكتان في الازمنة القديمة دل على انه فهم عمل هذه الاحياء من دون ان يراها . يضاف الى ذلك استخراج الكحول بتخمير السكر والنشاء . كل ذلك يتوقف على فعل البكتيريا . ولكن البحث الحديث بيّن لنا كيف تفعل البكتيريا هذه الافعال ، فهدد للانسان سبيل السيطرة عليها

فقد عني باستور العظيم في دور من ادوار حياته بالبحث في طرق صنع الجعة ، فاكشف ان تحضير الجعة بحسب الطرق القديمة ، قد يفضي احياناً الى حموضتها بدخول بكتيريا اخرى من الهواء ، غير البكتيريا الخاصة بصنع الجعة . وتلاه بمحاث آخرون اثبتوا كذلك ان انضاج الجبن والزبدة بمجرد تعريضها للبكتيريا التي في الهواء ، قد يفضي الى دخول بكتيريا ضارة بها ، تفسدها وتجعلها غير صالحة للأكل . لذلك ترى في مصانع الالبان الحديثة ، مزدبرات نقية من البكتيريا الخاصة ، اللازمة لتحضير الجعة ، او انضاج الجبن والزبدة ، وبذلك يطمئن الصانع ، وصاحب المصنع ، الى ان النتائج لا بد ان تأتي كما يتوقعها . وللاسباب عينها ترى المخازن الكبيرة تستعمل نوعاً خاصاً من الخميرة ، محضراً بطريقة خاصة ، تجعله نقياً من الشوائب التي قد تفسد العجين

وتستعمل البكتيريا كذلك في تحضير بعض المركبات الكيميائية كالجليسرين والحامض اللبنيك (لاكتيك) والحامض الليمونيك (ستريك) والخل . والعلماء متجهون الآن ، الى وجوب السيطرة على البكتيريا التي لا بد منها في تحضير هذه المركبات واضرابها ، حتى لا تترك النتائج عرضة للمصادفة . اشرنا في الفقرة السابقة الى فعل بعض البكتيريا — التي في حبيبات الجذور في الفصيلة البقلية — في امتصاص نروجين الهواء وتحويله الى مركبات يسهل على الجذور امتصاصها . وقد عني بعض العلماء حديثاً ، باعداد مزدبرات نقية من هذه البكتيريا ، يمكن شراؤها ورش الارض بها ، حتى تكثر فيه المركبات النروجينية . والواقع ان العلم الآن في مستهل عصر ، قد يستطيع في خلاله من استعمال البكتيريا في مئات الاغراض . وليس ما ذكرنا هنا الا مثالا على نواحي فائدتها الكبيرة

العلم ومواد البناء

لم يكتف العلم بأنه ابدع للناس وسائل جديدة للعمل ، بل ابدع لهم كذلك مواد جديدة يعملون بها .

فقد حرر العلم الانسان من استرقاقه للطبيعة ، من ناحية المواد التي تجهز بها ، فهي آناً سخية تجود
وتعدي ، وآناً بخيلة ، تقتصر وتمسك . فصار قادراً أن يجاريها في صنع اغلب ما يحتاج اليه من المواد ،
مستقلاً عن جودها وامساكها . فعلم الكيمياء مثلاً ، تمكن الانسان من السيطرة على خواص الفولاذ
(الصلب) فيصنع منه صنفاً شديد القساوة ، وآخر يسهل مطه ومده ، وثالثاً يستطيع الثبات على تقلب
الحرارة . وهذه الاصناف من الفولاذ تمكن من صنع التربينات المائية والبخارية والمولدات والمحركات
الكهربائية وآلة الاحتراق الداخلي وكل الادوات اللازمة التي يقتضيها القياس الدقيق في العلم والصناعة
خطا الانسان الخطوة الاولى نحو السيطرة على الفولاذ في اواسط القرن التاسع عشر . وكان
الحديد الصلب ، معتمد المهندسين ، في بناء خطوط السكك الحديدية والآلات الضخمة لأن
الفولاذ كان لا يزال غالي الثمن عسر المنال . ولكن في سنة ١٨٥٦ استنبط المهندس البريطاني هنري
بسمر Bessemer (١٨١٣-١٨٩٨) طريقة لصنع الفولاذ من دون نفقة كبيرة . والمبدأ في طريقته ،
نفخ الهواء المضغوط في الحديد الخام المصهور فتتأكسد الشوائب التي تخالطه ، وبذلك يتنقى ،
فاذا تماسكت دقائقه لم يكن بينها ما يجعله قصصاً . فاذا اضيف الى الحديد المصهور الذي عولج بهذه
الطريقة قليل من الكربون او السلكون او المنغنيس ، جعلت خواص الفولاذ على ما يشتهيها الصانع
واستنبط هذه الطريقة لصنع الفولاذ من دون نفقة كبيرة ، مهد السبيل لارتقاء المواصلات
بواسطة السكك الحديدية والسفن البخارية . وكذلك ترى ان القاطرة الحديثة ، لا تختلف في
اصولها عن القاطرات التي صنعها مستنبطها ستيفنسن في اخريات ايامه ، وانما تفوقها ، لان فولاذ
هذه يفوق حديد تلك . ولا يخفى ان بناء البواخر الحديثة ، ما كان مستطاعاً ، لولا اتساع معرفة
المهندسين بخواص الفولاذ ، ومقدرتهم على صنعه بحسب ما يريدون . يضاف الى ذلك انهم
يستعملون الآن الاشعة السينية في امتحان قطع الفولاذ المستعملة ، ليكتشفوا ما فيها من مواطن
الضعف في بنائها ، من شرخ داخلي ، او فراغ ، لا يلبث ان يأتي الضغط عليه حتى ينقسم الفولاذ
حيث يكون الشرخ او الفراغ . وفي العهد الحديث ، اهدت الكيمياء الصناعية الى الانسان مادة
جديدة من مواد البناء ، نعتي الخرسانة المسلحة التي يبنى بها السدود العظيمة كسد خزان اسوان
وخزان سنار ، وحواجز الامواج والصروح الشاخحة . والخرسانة ، مزيج من الحصى والرمل والماء
تربط بينها مادة لاحمة مصنوعة من الجير والصلصال . توضع الخرسانة في شكل معجون في قوالب
من الخشب او الحديد ، يتخللها قضبان او اعمدة من الفولاذ ، فتتجسر وتصبح هي والاعمدة قطعة
واحدة اصلب من الصخر ، والخرسانة تحمل الضغط وتحفظ الاعمدة الفولاذية من الصدأ
وقد كان لاكتشاف هذه المادة الجديدة من مواد البناء ، أثر كبير في فن العمارة ، لانها اغنت
المهندسين عن اقامة الاعمدة والقناطر في الصروح العظيمة . وقد تغير كذلك فن الزخرفة المعمارية ،
فصرنا أميل الى الخطوط المستقيمة في المباني الحديثة ، على نحو ما يشاهد من ناطحات السحاب ، في
اميركا والمباني الحديثة في عواصم اوربا ، بل في القاهرة

عجائب الكيمياء

والصناعة الحديثة لا تستغني عن الكيماوي ، لأنه يستطيع ان ينفذ بكواشفه الى صميم المواد ويعرف بناءها . فالعمال في مصانع الحديد قد يهيئون المرحل الذي يحتوي على قدر هائل من الحديد المصهور وقد خلطت به مقادير معينة من العناصر الاخرى لتقسيته او لجعله اقبل للمد والمط ، ولكنهم لا يستطيعون ان يصبوه ، حتى يأخذ الكيماوي نموذجاً منه ويفحصه ، ثم يجري العمل بحسب النتائج التي يسفر عنها بحثه . وفي المناطق المعدنية ، حيث تستخرج المعادن من المناجم ، ترسل نماذج من ركاز المعدن الى الكيماوي ليحلها ويفحصها . اما صناعات الزجاج والخزف والصابون والسكر والمطاط ومواد التصوير الشمسي فكلها صناعات كيميائية ولا يستغني فيها عن الكيماوي ووسائله وقد اسفرت المباحث الكيميائية الحديثة ، عن صنع مواد جديدة ، يستطيع الصناع عن ان يستعملوها في صنع اشياء اصبح الناس لا يستغنون عنها ، بل ان التوسع في صنعها بحسب مقررات العلم ، رخص ثمنها وقربها من متناول رقيقي الحال . وفي طليعة هذه المواد ، الاشياء المصنوعة من السلولوس . هذا المركب ، المؤلف من الكربون والايديروجين والاكسجين ، هو المادة الرئيسية في جدران الخلايا النباتية . فن السلولوس يصنع الحرير الصناعي فبعد ما يحول الى رُب يعالج بالصودا الكاوية ويمد في خطوط دقيقة تعالج بعد ذلك باساليب خاصة وتصبح صالحة للنسيج والحياكة . واذا عولج السلولوس بالحامض النتريك ، تولدت مادة تعرف بالنترسولولوس . وهذه المادة اذا ضغطت في الكافور كانت لنا مادة السلولويد ، التي تستخدم عوضاً عن العاج والابنوس في مئات الاشياء كالازرار ومقابض السكاكين والامشاط وسماطات التلفون وشرائط التصوير الشمسي والصور المتحركة . فاذا وضع غشاء رقيق منها بين لوحين من الزجاج وضغطا ، تكون لوح زجاجي لا يتشظى اذا تكسر ويستعمل الآن في السيارات امام مقعد السائق . ثم ان النتروسولولوس نفسه مادة مفرقة وتستعمل في نصف الصخور ، وشق الطرق . فاذا حلت ، في مواد خاصة ، تحولت الى مادة تمنح السطح الذي تبسط عليه غشاء لامعاً كالزجاج ولذلك تستعمل في دهن اجسام السيارات لحفظ معدنها من التلف ثم اننا نستطيع الآن ان نركب بوسائل الكيمياء الصناعية ، مواد ، ما كنا نستطيع الحصول عليها الا من الطبيعة . فكحول الخشب ، كان لا يستخرج قبلاً الا من تقطير الخشب ، اما الآن فيستطاع تركيبه بالصناعة من اول اكسيد الكربون والايديروجين . ثم ان اكسدة كحول الخشب يولد مادة « الفورملمدهيد » التي تستعمل مطهرآ ، وتباع في الصيدليات محمولة في الماء باسم « فورمالين » . فاذا عولج جبن اللبن بالفورملمدهيد ، تحول الى مادة قاسية تحل محل العاج . ولكن اذا عولج الفورملمدهيد بالحامض الكربولييك او غيره من المواد المقطرة من قطران الفحم الحجري ، تحول الى مادة تدعى باليكليت ، تستعمل لعزل الاسلاك الكهربائية ولذلك كان لها شأن كبير ، في تقدم الصناعات الكهربائية . والباليكليت نفسه يمكن ان يصقل ويستعمل محل الخزف . ولكنه اخف من الخزف فيستعمل غطاءً للآنية في السفن البحرية والجوية حيث لو وزن الاشياء مقام خاص

وقد نفذت الكيمياء الى البيت . فالادهان النباتية كدهن جوز النارجيل ، يمكن ان تقسّم
ثم توضع في علب ، وتباع باسم « مرجين » . والمصابيح الكهربائية الوضاءة ، التي حلت محل
مصابيح الزيت وروائحها الكريهة ، انما هي نتيجة البحث الكيماوي . كذلك السكاكين المصنوعة
من الفولاذ الذي لا يدبغ ، باضافة قليل من معدن الكروم ، توفر على ربة البيت كثيراً من التعب
في تنظيف السكاكين وصقلها بعد استعمالها . اما الثلاثات التي لا يستغنى عنها الناس في البلدان الحارة ،
والقائمة على مبدأ ضغط سائل نشادري ، ثم تبخيره ، فمن هدايا الكيمياء الصناعية الى ربّات البيوت

العلم واحوال العمل

كان للعلم اثر مباشر وغير مباشر في تحسين احوال العمل . فالمصانع الآن أحسن تهوية ، والمعدن
ضوءاً او اجمع للوسائل الصحية مما كانت في منتصف القرن الماضي . بل ان بعض العلماء قد انصرفوا
الى درس عمل العمال فأثبتوا انه اذا ازيلت بعض الحركات التي يقوم بها العمال ، قلّ تعبهم وزاد
انتاجهم . بل انهم اشاروا بوجود منحهم فترات للراحة وفي بعض المصانع يعطون قليلاً من الشاي حتى
يستجموا قواهم . وقد يتمكن العلم في المستقبل من تخفيف التعب الجسماني ، والسامة العقلية في
الاعمال الرتيبة التي تقتضيها الصناعة الآلية الحديثة . ثم ان استعمال القوة الكهربائية لادارة
الالات قلل في المعامل الاذرعة الحديدية الطويلة والسيور الجلدية فاصبحت المصانع انظف مما كانت
واقل ضجة واخف وطأة على الاعصاب . بل ان علم الصحة العامة قد انصرف الى الامراض الخاصة
بالعمال . فالعمال الذين كانوا يشتغلون بصنع عيدان الثقاب كانوا يصابون بمرض مميت في الأنف والفكين
من جراء استعمال الفسفور الاصفر . ولكن البحث العلمي اثبت ان الفسفور الاحمر صالح كالاصفر
لصناعة عيدان الثقاب . وفي الوقت نفسه لا يسمّ العمال . ومنذ ما اكتشفت هذه الحقيقة واقبلت
المعامل على استعمال الفسفور الاحمر ، قلت حوادث التسمم بالفسفور حتى اصبحت من النادر .
وكان صنّاع الزجاج والحديد ، يصابون بمرض في عيونهم سببه طول تعرضها للحرارة العالية في
اللاتين التي يصهر فيها الحديد والزجاج . ولكن العلم حوّل هذا المرض بواسطة نظارات تصنع من
زجاج خاص ، يحجب عن العيون الحرارة العالية . وكان المشتغلون بمواد يدخل الرصاص في تركيبها ،
كالزجاجين والخزافين والدهّانين يصابون في الغالب بتسمم الرصاص . اما الآن فالتعليمات الصحية
والعناية الطبية ، تقي كثيرين منهم وعلاوة على ذلك اثبت البحث العلمي ، ان الدهان الذي كان
يستعمله الخزافون ، يمكن صنعه او صنع ما يماثله من دون ادخال الرصاص في تركيبه

ولا يخفى ان الغبار في بعض الصناعات ، يتغلغل في اعضاء التنفس ويعرض البنائين والخزافين
والمعدنين والمشتغلين بالفلزات ، لانواع من مرض التدرن . ثم ان سبب التسمم بالرصاص هو اولاً
الاكل بأيدي تناولت دهاناً رصاصياً من دون غسلها ، وثانياً تنشق هواء فيه دقائق الرصاص او دخانه .
وقد كشف العلم عن بعض الوسائل التي تقي المشتغلين بالفلزات ، كصانعي المبادر ، من فعل هذا الغبار .
وما تقدم امثلة فقط على اثر العلم في تحسين احوال العمل

طائر الفينكس

اسطورة الحياة المثلى

بقلم ميخائيل نعيمة

لعل أصعب ما يلاقى الفكر هو الفصل بين حقيقة الحياة ووهما . غير ان اكثر الناس لا يفكرون فلا يترددون لحظة في اقامة الحدود بين ما يدعونه حقيقة وما يروقه ان يدمغوه بدمغة الوهم او الخرافة . هكذا فالغراب في نظرهم حقيقة . اما الفينكس خرافة لا يؤمن بها الا البسطاء والقدياء ألافليزجني من شاء بين القدياء والبسطاء لانني اومن بالفينكس . وانا اومن بالفينكس لانني اومن بالخيال الذي ابتدعه . او ليس الخيال حقيقة ؟ اذن كل ما يحبل به الخيال ويلده ويغذيه ، سواء كان اجهل الجمل او اقبح القبيح ، يشترك في حقيقة الخيال . ونحن لو نظرنا في الخيال الذي يعمل بغير انقطاع لوجدنا ان ما دون النذر من اعماله يتخذ شكلاً محسوساً . فلو رضينا بهذا النذر وحده حقيقة ، وببذنا ما بقي كما لو كان وهماً او غير حقيقة ، لكان الخيال ذاته خرافة والانسان نفسه اسطورة ان خيلاً يلد طائراً كالفينكس خيال مبدع في ذاته ومن ذاته . الانسان خلق الفينكس ، وللانسان الحق ان ينظر الى ما خلقه ويقول : « هو حسن جداً » بلى انني اضيف الى ذلك ، حتى وان رماني البعض بالتجديف ، ان الله نفسه ، لو انه فكّر بطائر كهذا الطائر ، لخلق واحداً مثله . وقد يكون ان خيال الانسان يتمم خيال خالقه . او لم يصنع الله الانسان على صورته ومثاله ؟

من روايات هذه الاسطورة الكثيرة الروايات ان الفينكس يسكن الجزيرة العربية . فتعال نقلت من نطاق الجدران والسقوف ونهرب بالخيال الى غاب في مجاهل تلك الشقة من الجزيرة التي دعاها الاقدمون « العربية السعيدة » والتي نعرفها اليوم باسم اليمن . لعلنا نطل على الفينكس في موطنه هوذا الشمس قد ارتفعت في المشرق . السماء صافية زرقاء ، ونسمات الصبح العليلية تهادى بين الاشجار مدغدة اوراقها الفضية . في الغاب نهر وسيع عميق يسير بجلال نحو البحر حاملاً على صفحته الصافية خيالات الاشجار والادغال المتعاقبة عن جانبيه . كيفما التفت لا ترى الا جملاً وسلاماً . حتى انك لتحسبك في جنة من جنات الفردوس . غير ان الاشجار تحذرك من الانخداع بالظواهر . فهي تعرف ان فيها وعليها وحواليها قد اشتبك الموت والحياة في صراع عنيف . كل ما في الغاب من مخلوقات تمشي ، ومخلوقات تدب او تزحف ، ومخلوقات تمتطي الهواء وتهمز بالاغاريد ، يدأب بلا انقطاع طالباً قوتاً لنفسه او مطلوباً ليكون قوتاً لسواه . ولا مهرب من ذلك الدردور حتى للصخور التي في الغاب . كل ما ينبثق من الارض تبتلع الارض رويداً رويداً لتعود فتلفظه حيوانات

وطيوراً وزحافات وحشرات واشجاراً واعشاباً وازهاراً . فالحياة ههنا ، شأنها في كل المسكونة ،
تشتعل كعليقة موسى من غير ان تحترق

في رأس اعلى شجرة في الغاب قد جثم طائر لا شبيه له في كل الخليقة . وقد اتجه نحو الشمس
فبان كل ريشة من صدره القرمزي الناعم كما لو كانت تلتهب بنار من عالم آخر . وكل ريشة من جناحيه
الذهبيين ، المغموسة اطرافهما في زرقة ولا زرقة السماء ، كما لو كانت تقدح شرراً من شرر الثريا .
عنقه الطويل البديع ، المطوق في الوسط بطوق ناصع البياض ، قد تقوس الى الامام . اما رأسه
الديقي الصنع فقد ارتد قليلاً الى الوراء مسدداً متقاربه الطويل الحاد نحو الشمس . لقد جمع هذا
الطائر بين زخرفة الطاووس دون خيالاته وجمال طائر الفردوس دون خجله . هو ينظر بظأئينة الى
الشرق كأنه لا يشعر بوجود شيء في العالم سوى الشمس — مصدر النور والحياة . ترف من
حواليه طيور كثيرة ، بين كبيرة وصغيرة ، واذ تمر به تخفض اجنحتها مسلمة عليه سلام اعجاب
واحترام . حتى ان القوي من الفراش الذي يتمكن من الصعود اليه يرف حواليه مرتين او ثلاثاً ثم
يهبط الى الارض شاكراً جذلاً

الغاب تعج بالاصوات من طائر يناجي عشيره ، او وحش ينادي رفيقه . الا هذا الطائر الغريب —
فهو لا يناجي احداً ولا احد يناديه . اذ لا عشير ولا رقيق له لا في مشارق الارض ولا في مغاربها ،
ولا في عالم آخر من العوالم الدائرة في الفضاء . سواء من الطيور منهمك في بناء اعشاش او تربية
فراخ . اما هو فلا عش يبنيه ولا فراخ يزقها . سواء من الطيور يرف هنا وهناك طالباً غذاء .
اما هو فلا يقنت بشيء حي بل بالبخور والعطور . سواء من الطيور يصيح فرحاً وقد علق بمخالب
عدوه . اما هو فلا يعرف الخوف لانه لا يؤدي مخلوقاً فلا يؤذيه مخلوق . لا ولا تؤذيه العناصر .
هو وحيد في العالم كله . لكنه لا وحدة في قلبه ولا وحشة . سواء من الطيور يبذل ريشه مرة في
كل سنة . اما هو فلم يبذل ريشة واحدة منذ كان له من العمر يوم واحد — وذاك منذ خمسمائة سنة !
لقد نبتت في الغاب اشجار كثيرة فنمت حتى طاولت السحب . ثم هرمت وتفتتت واخلت مكانها
لاشجار اخرى . ولقد جرفت الفصول المسرعة اجيالاً لا تحصى من الطيور والحشرات والحيوانات
ثم جاءت بغيرها لتحل محلها . ووراء حدود الغاب : في مملكة البشر ، قد طغت موجة فوق موجة
من اعمال الناس ثم تكسرت وتبعثرت على شواطئ الزمان الذي لا بداية له ولا نهاية . ام بكاملها اطلت
على الحياة ثم توارت ، فكأنها لم تكن . ومدن عديدة شمخت باراجها وقببها الى السماء فلم تلبث ان
حانقت التراب . ممالك علت ثم انخفضت . غزاة ومغزؤون . ابطال وانذال . عاشقون ومعشوقون .
رؤوس متوجة ورؤوس بلا تيجان — كل هؤلاء مشوا على الارض فترة من الزمن ثم عادت الارض
فاحتضنتهم ليمشي فوقهم سواهم من ابناء الارض . حيث كانت تكثر انهار جبارة نبتت اليوم اشواك
واحساك وبنى النمل قراه والجراد ين جحورها . كم من جنائن غناء ابتلعها الصحراء ، وكم من صحراء أورقت
وازهرت ! كم آله أنزل عن عرشه وآله اجلس على عرش ! كل ما في الكون تغير وتحول في خلال خمسة

قرون الآ هذا الطائر الذي في عينيه - كما في عيني يهود - «الفسنة كيوم امس الغابر وكهجمة من الليل»
غير ان الوقت قد ازف حتى للفينكس ان «يتغير» . لا صوت يهمس في اذنيه . لا اصبع تدلُّه
كيف يتجه . ولا قوة خارجية تأمره ان يفعل ما هو عازم ان يفعله . لكنه بدليل من نفسه ، وبصوت من
داخله يدير وجهه نحو الشمال الغربي ، وبعد ان يصفق بجناحيه ثلاثاً ، يغطي الهواء ، ولا حزن في قلبه
على امساء خمسة قرون يتركها وراءه . ولا خوف من اغواء خمسة اخرى يقابلها . وهو يعرف محبته كل المعرفة
في وادي النيل البعيد مدينة كان المصريون يدعونها «آنو» واليهود «بيت شمس» والروم «هليوبولس»
وفي تلك المدينة هيكل مكرس لعبادة الاله «راع» . الفينكس يعرف المدينة والهيكل ، ويعرف
الفسحة على المذبح التي سيستقر عليها . لانه منذ اجيال لا تحصى يقصد جلجنته هذه مرة في كل
خمسة سنة ليقبّل عليها الموت . ومرة في كل خمسمائة سنة يعود منها تاركاً الموت في حيرة وارباك
يشقّ الفينكس الهواء بجناحيه القويين مسرعاً نحو وادي النيل . فتجتمع من حوله شتى الطيور
لترافقه ولو بعض المسافة فتظهر له تجلّتها واحترامها . ولا يزال يطوي المسافات الى ان تبدو لعينيه هليوبولس
في هيكل راع نافذة فوق المذبح تطل منها الشمس فتمتزج اشعتها بدخان البخور وتضفر منه ذوائب
من ذهب وفضة كأنها انفاس ارواح تالّهة . وهذه الذوائب تلتف وتنحلّ فوق المذبح كأنها خيوط ممدودة على
منوال خفي ويدخية تحوّل منها السجدة غريبة . ليس في الهيكل الواسع المظلم سوى كاهن عجوز غارق في تأملاته
يسمع الكاهن فجأة حفيف اجنحة يقطع عليه مجرى تأملاته . واذ يرفع عينيه يرى على المذبح
طائراً يغتسل بنور الشمس ، وقط لم تقع عيناه على اجل منه . فتأخذه الدهشة لاول وهلة . ولا تلبث
دهشته ان تنقلب الى رهبة اذ يحدّق في الطائر على المذبح فيراه قد انتصب رافعاً جناحيه الى فوق ،
تمّراه يصنق بهما تصفيقاً حاداً . وما هي الاّ لحظة طرف حتى يلتبّ الجناحان فيظهران كأنهما مروحتان
من نار . فيندمج الطائر بأشعة الشمس حتى يشكل على الكاهن ان يفرق بينهما . وما هي الاّ لحظة
اخرى حتى يرتفع الجناحان الى فوق ، وقد كفّ عن التصفيق ، فتبدو كل ريشة فيهما كأنها
مشعل نار حية . يكاد الكاهن لا يصدق عينيه من شدة دهشته . فحين رأى منذ لحظة طائراً حياً
يبصر الآن السنة من لبيب تثب الى فوق . وياله من لبيب مدّش لم يسبق له ان أبصر مثيله في
كل حياته . هو لبيب يرتد البصر كلياً عن بهائه ، وتسكّر الانفاس بعطره . ألا تبارك راع الازلي
الابدي الذي يحيي نفسه بنفسه ويحيي كل شيء !

يملاً اللهب الهيكل باشباح مريّة ، كلها يذب الى فوق ويتلاشى في وثباته . ورويداً رويداً
تخمد النار تاركة حفنة من الرماد المتوهج . يا للخسارة ان يهلك طائر بديع كهذا الطائر ، وان يتلاشى في
هيئة مفجعة كهذه الهيئة ! ولكن . . . أحقاً انه قد هلك ؟ يفرّك الكاهن عينيه ليتأكّد انه ليس في
منام . فيرى - وبالعجبية ! - طائراً يخرج من كومة الرماد المتوهج ، كاملاً بكل تفاصيله ، عجيباً
بجماله كالطائر الذي التهمته النار منذ لحظة . فيهبط الكاهن على ركبتيه ، ويغطي عينيه بيديه ، ويخفي
رأسه الابيض حتى يلامس الارض ويتمم كلمات يكاد لا يسمعها :

« يا راع ! ايها الكائن الجميل الذي يحدد ذاته في حينه . ايها الطفل الالهي . يا وريث الابدية . يا والد نفسه . يا أمير الارعاء السفلى ومدير الأحياء العليا . يا آله الحياة . يا رب المجد . كل نسمة تحيا بشعاعك »

ان خيالاً جريئاً وخصباً ، اذا ما أعطيته مثلاً كمثل الفينكس ، تمثّق فيه ووشى حواشيه الى ما لا نهاية له . فالقدماء مع محافظتهم على الفينكس كطائر يحيا فرداً ويحدد ذاته بذاته ، قد ابتدعوا اساطير مختلفة لموته وللمدة التي يحياها بين التجدد والتجدد . وما الرواية التي حاولت ان اصورها في ما سبق الا واحدة من تلك الروايات الكثيرة التي ضاع مصدرها في زمان قلما كان يحفل بالاسماء والتواريخ لانه كان يهتم قبل كل شيء بحقائق الحياة الثابتة او بالفكرة الابدية

لاخلاف على ان اسم الفينكس يوناني . والكلمة تعني ، في بعض معانيها الكثيرة نوعاً من النخيل ولعل اليونان عرفوا ذلك النوع من النخيل في بلاد فينيقية اولاً فأسموه باسم البلاد . او انهم اسموا فينيقية باسم ذلك النوع من النخيل لانه كان يكثر فيها . وقد يكون انهم اطلقوا اسم الفينكس على ذلك الطائر الخرافي لانهم اخذوا الاسطورة عن الفينيقيين ، وفي الفقرة الآتية من نشيد بولاق للآله راع ما يدعم الظن بان اسم الفينكس مأخوذ من فينيقية

« المجد له في الهيكل عند ما ينهض من بيت النار . الآلهة كلها تحب اريحه عند ما يقترب من بلاد العرب . هو رب الندى عند ما يأتي من مائان . ها هو يقترب بجماله الالامع من فينيقية محاطاً بالآلهة » ان يكن اصل الاسم في شك فأصل الطائر ذاته اكثر تعقداً من الاسم . فقد يكون فينيقيّاً . وقد يكون مصريّاً . واقرّب شبيهه له في الآثار الكتابية القديمة نجد في ذلك السفر المصري الغريب المعروف بكتاب الاموات . وهو مجموعة فصول شائعة في العلوم الباطنية والفلسفة والشعر والسحر يرجع بعضها الى القرن الاربعين قبل التاريخ المسيحي . ولعل هذه المجموعة هي اثر ما ورثناه عن سكان وادي النيل الاقدمين . فهي من اولها الى آخرها تنبض بايمان المصريين القدماء بالخلود . فالوت عندهم لم يكن الا سياحة بين عالمين او انتقالاً من شاطئ الحياة الأدنى الى شاطئها الأقصى . ولما كان حكماءهم كانوا يدركون ان عامة الناس اجهل من ان تتناول الحقيقة مجردة تراهم اقاموا لهم بنيات عديدة من الرموز كيما يسهلوا عليهم ان يدركوا بالحس ما هو أبعد من الحس . وكان احد رموزهم طائراً من نوع الغرنوق او مالك الحزين . وكانوا يدعونه « بنسو » والاسم مشتق من كلمة تعني الرجوع . وهذا الطائر كان يمثّل في اساطيرهم وفي رأسه ريشتان منخيتان الى خلف . من يطالع « كتاب الاموات » يرّ ان هذا الطائر كان يرمز الى راع — الآله الذي ولد نفسه من نفسه ، والذي لا يعرف الموت — النهار المنبثق من حقوي الليل ، والنور المتغلب ابداً على الظلمة . فمن هذا القبيل ، وكذلك من حيث الصلة بينه وبين هليوبولس ، ترى ان طائر « البنسو » يشترك في بعض خصائص الفينكس . غير انه ليس مذكوراً في كتاب الاموات او في كتاب آخر كطائر يموت بالنار كل خمسمائة سنة او اكثر ثم ينهض متجدداً من رماده

الأ أن كاهناً مصرياً اسمه هورابولسو، عاش في القرن الخامس قبل المسيح ، جعل صلة متينة بين
البنسو والفينكس . ففي ترجمة كتاباته اليونانية التي وصلت إلينا نسمعه يتكلم عن طائر معروف عند
المصريين وفي تقاليدهم يحدد نفسه بنفسه . واسمه في الترجمة اليونانية «فينكس» . وبعد أن يتكلم
هورابولسو عن ظهور هذا الطائر مرة في كل خمسمائة سنة يصف موته هكذا : —

«عند ما يشعر الفينكس بدنو أجله يطرح نفسه بعنف على الأرض فينجرح ويسيل دمه . ومن
دمه المتجمد يولد فينكس آخر . وهذا حالما يكتسي بالريش يطير بوالده إلى هليوبولس . واذ يبلغانها
يموت الوالد عند شروق الشمس . فيحرقه الكهنة المصريون . أما الفينكس الجديد فينطلق إلى بلاده»
من بعد هورابولسو أخذت حكاية الفينكس تنتشر وتزداد شهرة في الغرب إلى حد أنها استرعت
انتباه أكبر المؤرخين والشعراء واللاهوتيين القدماء . ومنهم هيرودوتس . فهذا المؤرخ ، في سياق
وصفه لسياحة قام بها في مصر ، يتكلم عن الفينكس كما لو كان طائراً عربياً . ثم يضيف متحفظاً : «أما
أنا فلم أبصره إلا في الصور» — لكن الشاعر أوفيد لا يتحفظ قط في وصفه . فهو يتكلم عن الفينكس
كطائر يحدد ذاته بذاته ويتغذى بالعطور لا غير . ويقول أنه بعد أن يعيش خمسمائة سنة يبني لذاته
عشاً من القرفة والناردين والمر في رأس نخلة . وفي ذاك العش يلفظ آخر أنخابه . ومن جثته يولد
فينكس جديد . وهذا ، عند ما تكتمل قواه ، ينتشل العش من الشجرة — وهو مهده ولحدايه —
ويطير به إلى هليوبولس في مصر حيث يضعه في هيكل الشمس . وأكثر جرأة من الشاعر أوفيد المؤرخ
طاشيتوس الذي لا يتردد في ذكر ظهور الفينكس كحدث تاريخي في زمان القنصل بولس فابيوس (سنة ٣٤ م)
كذلك درجت حكاية الفينكس على ألسنة القدماء وأقلام كتّابهم وشعرائهم . وكان آباء الكنيسة
المسيحية أكثر الناس إقبالاً عليها . فقد اتخذها أمثال ترويليانوس وكلمندس وإيפانيوس وسواهم
رمزاً لقيامة المسيح من الموت . أما روفينوس فقد وجد فيها حجة لا تدحض على ولادة المسيح من
عذراء اذ قال : «ما بالناس تستغرب أن تحبل العذراء وتلد ومن المثلث أن الطائر الشرقي المعروف باسم
الفينكس يولد ذاته من غير ذكر ويحيا ابداً وحيداً ولا رفيق له من جنسه . وابتداءً يخلف نفسه بنفسه ؟»
من أقدم الآثار الكنسية التي فيها ذكر للفينكس كتاب «الفيزيولوجوس» الاسكندري . وهو
مجموعة حكايات وثنية عن الحيوانات والطيور استخلص منها جامعوها مواعظ وإرشادات وحججاً
دينية . وقد ورد فيها أن الفينكس طائر هندي لا يتغذى بشيء إلا الهواء . ومرة في كل خمسمائة سنة
يقصد هليوبولس حاملاً على جناحيه أنواع الطيب . وهناك يحرق نفسه على مذبح الهيكل . فتخرج
من رماده دودة تتحول بعد ثلاثة أيام إلى فينكس كامل . وهذا الفينكس يحتمي الكاهن ثم يطير إلى
بلاده . وتنتهي الحكاية بالموعظة الآتية : —

«يا له من رمز كونه الله لارشاد الناس . فإله ، خالق السر الذي تم في المسيح ، قد بيّن لنا
هنا مشيئته . المسيح كالفينكس ، جاء بعد قرون عديدة حاملاً طيوب الحياة واتخذ طبيعة بشرية
ومثلاً يُعبد الفينكس لحده على المذبح في مدينة الشمس المصرية ، هكذا رفع المسيح صليبه بارادته

على الجائحة في مدينة اورشليم . ومثلما يستلقي الفينكس على ظهره ويحرق نفسه حتى الموت ، هكذا اقتبل المسيح الموت وانفصلت روحه عن جسده . وكما ان الدودة المولودة من رمد الفينكس تتحول بعد ثلاثة ايام الى طائر كامل ، هكذا الله الكلمة اقام جسده في اليوم الثالث . وكما ان الفينكس يستكمل قواه وشكله في اليوم الثالث ، كذلك جسد المسيح الناهض من القبر اصبح ابدياً وغير متغير . ومثلما يعود الفينكس الى الهند — موطنه الأول — هكذا عاد المسيح بجسده الجديد الى موطنه الأبدى « وفي اللاتينية كتاب يدعى Anecdota Syriaca وهو مجموعة حكايات سريانية وردت فيه حكاية الفينكس هكذا يقولون كذلك ان في بلاد الهند طائر عظيم يأتي مرة في كل خمسين (كذا) سنة الى جبل لبنان وهناك يجمع اطيب العطور واجمل الازهار ثم يعود الى الهند . ومجيئه يكون في شهر نيسان في ذلك الشهر يقيم كاهن المنطقة مذبحاً على رأس جبل عال ويبنى حول المذبح شبه بيت من اغصان الكرمه فيأتي الطائر ويدخل البيت ويقف على المذبح . ثم يأخذ يصفق بجناحيه حتى يلتها ويلتهب البيت معهما الى ان يصبح الكل رماداً . وبعد ثلاثة ايام يسعد الكاهن الى قمة الجبل ويتفحص الرماد وفيه يجد دودة صغيرة . والدودة هذه تكبر وتتحول الى طائر كالذي احترق . وهذا الطائر يعود من حيث أتى . وكما ان لهذا الطائر ان يحرق نفسه ثم يجددها تماماً ، فبالاخرى قوة المسيح على اقامة جسده الطاهر من القبر . فحقاً قيل في الانجيل المقدس (يوحنا ١٠ - ١٨) : « ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً » ألا فلنذهب الى الرب يسوع بالصوم والصلاة والعطور الطيبة والاعمال الصالحة لنكون اهلاً لان نقبل من ملكوت السموات »

لقد بقي الايمان بالفينكس حياً خلال عصر التجدد (الرنسانس) . وبعد ذاك اخذ يتقهقر من وجه « العلم » الذي لا يؤمن الا « بالبرهان الحسي » . حتى اصبح « خرافة » قل من يهتم بها ، وقل من يعرف عنها اكثر من اسمها . غير ان الفينكس ما ادرج في اكتاف النسيان والاهمال الا بعد ان ترك في العالم آثاراً من جماله لا تحصى ويندر ان نجد امة قديمة لم تنسج على مثاله ولم تخلق لها طائراً قريباً منه . فالعرب قد خلقوا العنقاء والسعدن . والفرس « السيمورغ » . والهنود « غارودا » والصينيون « فنغ - هوانغ » واليابانيون « هو - او » . من شاء ان يقابل بين رقي الامم الروحي فليقابل بين الطيور التي ابتدعها خيالها ففي المقابلة درس جميل ولذة كبيرة . اما انا فلي لذة اكبر في درس الفينكس . وقبل ان اودع هذا الطائر العجيب احب ، اذا استطعت ذلك ، ان انفذ الى سره فاعرف القصد من وجوده . لنقل انه رمز . ولكن الى ماذا رمز ؟ أعله وليد شوق الانسان الفاني الى عدم الفناء ؟ ام تراه قناعاً من الجمال حاكه الوهم لا عين قرحتها الشناعة ؟ ام هو رؤيا من رؤى الالهام الذي ينير الآباد بطرفة عين وينشأ من خلال الاشكال الحسية الى روح الاشياء وجوهرها ؟ ان اكثر البحاثين الذين وقف لهم على رأي في الفينكس يتخلصون منه بقولهم ان المصريين القدماء اتخذوه رمزاً للشمس في شروقها وغروبها . لانهم كانوا يعبدون الشمس تحت اسم راع . واذ انني

لست بحاجة ولا عالماً استمع لنفسي ان اخالف هذا الرأي دون ان اجلب لذاتي سخط الباحثين وعداوة العلماء
لا جدال في ان سواد الشعب المصري القديم كان يتخذ الشمس الها له . اما مؤلفو كتاب
الاموات ، وشائدو الاهرام ، وخالقو ايزيس واوزيريس واسرارهما ، ومعلمو ديموقريطوس وفثاغوروس
واقلاطون ، فكيف تصدق انهم كانوا يعبدون جرماً سماوياً — مهما عظم ذلك الجرم وعجب —
وهم قد رادوا الفضاء واكتشفوا سبل النجوم ؟ بل ان الشمس لم تكن لامثال هؤلاء اكثر من رمز
محسوس لـ « راع » — الوالد نفسه من نفسه . المحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء . المبدع الاشكال
ولا شكل له . وخالق البدايات والنهايات ولا بداية له ولا نهاية . وما آلهة المصريين ، على وفرتها ،
سوى صفات متنوعة لذلك الاله الواحد . ان من يقرأ كتاب الاموات ، ولو قراءة سطحية ، لا يسهه
ان يقول غير هذا القول . وانا اجل حكام المصريين عن حماقة تجعل من الشمس رمزاً لـ راع ، ثم
تخلق الفينكس الذي لم يكن يبصره الا نفر قليل من الناس — وذلك مرة في قرون عديدة — لتجعله
رمزاً للشمس التي يراها كل انسان في كل يوم . انما يرمز الفينكس الى ما هو ابعد وابقى من الشمس —
الى الحياة في مظهرها كمادة وروح

في خواء الظواهر المتقلبة تعود الانسان ان يميز بين نوعين من التغيير ، وان يدعو الواحد موتاً
والآخر حياة . اما الفينكس فمكاني به يقول ان الحياة والموت واحد لان مصدرهما واحد ، وهو
الروح المرموز اليه بالنار . فالنار ابداء هي . تلتهم الاشياء ثم تنوعها وتكثرها لكنها لا تلتهم ولا
تنوع او تكثر ذاتها . هي النار او الروح — تلك الحياة الاولى التي يدعوها العلم الحديث « قوة »
تنظم ذرات الاشياء على اختلاف انواعها ثم تنثرها . فهي متغلغلة في كل شيء — في ركام الجليد
الطافي على وجه المياه مثلها في الشمس . وفي الزناد مثلها في كتلة اللحم النابضة في صدر الانسان . وهي
عند ما تلتهم شيئاً ترده الى عناصره الاصلية . لكنها لا تتلاشى ، بل تنعق من سجنها الوقي . وهكذا
عندما يحرق الفينكس نفسه لا « يموت » حتى لحظة واحدة . لان النار التي هي روحه تبقى حية في
رماده . وهي التي تعود فتجمع ذرات جسده من جديد . فهو ، وان بدل جسده مرة في كل خمسمائة
سنة ، لا يبدل الروح التي لا يطرأ عليها انقطاع ولا تغيير

ثم ان الناس يتباهون بما يدعونه « نموّاً » و « تقدماً » اما الفينكس فمكاني به يقول ان ليس في
الحياة نمو وتقدم . اذ ان كل ما ينمو يحمل في داخله جرائم موته وانحلاله ، وكل ما يموت وينحل
لا يدوم ، وكل ما لا يدوم لا وجود او لاحقية له في ذاته . بل هو يتناول حقيقة وجوده من
الحقيقة الواحدة التي هي اليوم مثلها امس . وغداً مثلها اليوم . فلا يطرأ عليها اقل تغيير او تبديل .
وهي لا « تنمو » اذ لا شكل لها ولا قياس ، ولا بداية ولا نهاية . وهي لا « تتقدم » اذ ليس في
الوجود ما هو خارج عنها لتتقدم من ذاتها اليه . الفينكس يقول ان السبيل الاوحد الى « النمو » هو
بالنقصان — بالتجرد من الاشكال الخارجية للتوصل الى الحقيقة الكامنة في الاشكال — الى النار التي هي رمز
الروح الكائن في كل شيء . وان السبيل الاوحد الى « التقدم » هو بالرجوع الى الوراء — كل الى هليوبوليسه

اما المدة التي يحياها الفينكس بين التجدد والتجدد، والتي تختلف باختلاف الروايات بين خمسين وخمسمائة وخمسمائة وثمانين والف واربعمائة واحدى وستين، حتى وسبعة آلاف سنة، فالتفق عليها رمز الى ادوار وتقلبات فلسفية. فلنتركها لعلماء الهيئة. غير ان فيها معاني لا علاقة لها بدورة الافلاك. فكأنني بالفينكس الذي يعمر مثل هذه الاجيال الطويلة يقول ان اعمار الكائنات موقوفة على جمال حياتها الباطنية واثلاؤها مع ذاتها ومع ما حوالها من كائنات سواها. فهي تطول بطول تلك الالفه وتقصر بقصرها. هكذا ترى الفينكس الذي لا يسطو على مخلوق من اجل طعامه، ولا يقاقل مخلوقاً من اجل رفيقة او عشيقة، يعيش في الفة مع كل مخلوق. ولانه لا يشتهي شيئاً تراه لا يخاف شيئاً بل يحيا في سلام مع كل شيء. ومن ثم فانا لا اعرف مثلاً كمثل الفينكس يبين لك ان نقاوة الجسد - كنقاوة القلب - قوة لا تقهر. فهذا الطائر لا يغذي جسده بنبات الارض او بحيوانها، بل يعطورها. لذلك يعمر قروناً طويلة. الا ان هذا الغذاء، على كل ما فيه من طهارة، معرض للانحلال. ولذلك يعرض جسد الفينكس الذي يتغذى به للانحلال حتى بعد قرون. فالنظام الاعلى قد حتم على كل ما يولد من مصدر قابل للتغير ان يكون عبداً للتغير. وعلى كل ما يتغذى بالمادة ان يغذي بدوره المادة. وكل ما يأخذ ان يعطي بقدر ما يأخذ. وكل ما يشتهي شيئاً خارجاً عن ذاته ان يكون محطاً لشهوات الاشياء الخارجة عن ذاته

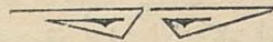
هناك صفة تفردها الفينكس عن كل الطيور التي ابتدعها خيال الانسان. فهو ابداً وحيد ولا رفيق له من جنسه. كأنه ذكر وانثى معاً. وكافي به يعلن بذلك مع الناصري ان في الوجود ارجاء « لا يتزوجون فيها ولا يزوجون ». وان الذكر والانثى عنصران مختلفان في دورة محدودة من دورات الحياة. وان الاثنين يتوحدان في عوالم غير عالمنا هذا. ولك، ان انت انت من نفسك ميلاً الى التعمق في بواطن الحياة، ان تقرأ في الفينكس معاني غير التي قرأت واجمل مما قرأت الا انك قد تكون ممن لا يؤمنون بغير ما يلمسون ويبصرون. وحينئذ فالغراب احق بايمانك من الفينكس. وما الفينكس عندك الا خرافة متهرئة واسطورة قديمة. ألا خذ غرابك واعطني الفينكس

ها أنا اطبق اجفاني فتنهض امامي من خراباتها مدينة آتو العاتية الزاهية - هليوبولس - بيت الشمس - وقد قام في وسطها هيكل راع بكل أبهته. وعلى مذبح الهيكل أبصر طائراً مغموراً بنور الشمس وهو يصفق بجناحيه الجميلين تصفيق جذل وغبطة. ها صدره القرمزي قد التهب فتحولت كل ريشة فيه الى لسان من نار ثم تحول الطائر كله الى ذبيحة متوهجة ونور معطر وعناق محرق بين الحياة والموت. واذ تهدأ النار فأبصر فينكس جديداً ناهضاً من كومة الرماد، اهتف كالمسحور مع كاهن الهيكل: « يا راع! ايها الكائن الجميل الذي يجدد ذاته في حينه. ايها الطفل الالهي. يا وريث الابدية. يا والد نفسه. يا امير الارزاء السفلى ومدير الاحياء العليا. يا آله الحياة. يارب المجد. كل نسمة تحيا بشعاعك. »

الذكرى

ورقة جفت على غصن ذوى
فزع العصفور منها فانزوى
عيث الطلل بها ثم ارعوى
نبتتها الريح في عرض الفضا

شاخ حبتي فضوى ثم انطوى
مال عنه القلب ، طالاب جوى
تعمت الرشد به حتى ارتوى
عضه الذل فولى مرمضا



جهاد الملك فيصل

مراحل العراق نحو جمعية الامم

للمهين الربيعي

من كتابه « فيصل الاول » (قريب الظهور)

ما قدر لملك من ملوك العرب في هذا الزمان اجتياز ما اجتازه الملك فيصل من غمرات المشاكل الوطنية والدولية . ولا قدر لسياسي من ساسة الدول الصغيرة ان يوفق مثله بين شتى العناصر المتضاربة التي اكتسفت المفاوضات لعقد معاهدة كانت تبدو دائماً في طور التكوين . فلم تكن الوضعية لتثبت حتى اساساً على حال من الاحوال . هي وضعية ذات انوار وظلال مضطربة متقلقلة ، وضعية مقيدة بعوامل من التبدل والتغير كانت تنبعث ليس من لندن فقط ، بل من جنيف ، ايضاً ومن انقره وطهران والرياح . فإين من هذا الاضطراب ، وتضارب المنافع والاعراض ، طريق الثقة والاطمئنان ؟ اين تلك الطريق التي كان يتلمسها ويتحسسها الملك فيصل ، وقلماً يجدها سليمة امينة . ولا غرو ، فقد كثر فيها لمع السراب ، وتعددت فيها الحفر والاخاديد ، فاشتد في الملك الحذر ، وازداد الاحتياط انها لحرب سلمية ، انها لحرب في الغيب . وقد تثلث واقفاها سحب من الغازات السامة ، فجعلت التفتيح - التستر - المخادعة - من لوازم الدفاع وقد كانت القضية ومعضلاتها في منزلة من الخطورة تصغر عندها الشخصيات ، وان كانت ملكية ، وتضؤل المطامح الخاصة ، وان كانت لا كبر السياسيين . فمن اهم الواجبات اذن هو ان تحل هذه المعضلات ، وتسوئ تلك القضية على مبدأ العدل الثابت ، والرضى الدائم ، فضلاً عن التأمينات الوطنية والدولية . هي ذي الحقيقة الكبرى التي قلما غابت عن بال الملك فيصل . فقد كان ، والحق يقال اشد ملوك العرب شعوراً بأشترك المنافع ، وأكبرهم تقديراً للوضعية الاوربية في ذا الاشتراك

على ان واجبه الاول هو في صون حقوق البلاد من غوائل السياسة التي مر ذكرها ، سياسة الخاتلة واللين . وهمه الاول هو ان يحفظ المملكة الفتية من عوادي الشقاق والفوضى التي بدأت تفتك بها في اواخر السنة الاولى من حياتها . وقد أشفق الانكليز انفسهم مما كان يهدد العراق يومئذ . فكتب المس بل الى امها في شهر آب سنة ١٩٢٢ تقول « اتنا نحشى انفجاراً ثانياً » (وهي تشير الى الانفجار الاول ، اي الثورة الاخيرة)

ولكان الانفجار لولا صبر فيصل وتقله ، ولولا حنكته وبعد نظره . وما بالي ان يتهم بالعداء

للالانكليز ، وما بالي ان يقال انه يؤثر مصالحهم على مصالح البلاد . فقد مر بالتهنم الانكليزية والعراقية
مر الكرام ، ومشى الى غرضه بقدّم ثابتة ، وهمة صادقة . وما كانت مهمته هذه من المهمات التي
يفضله عليها احد من السياسيين او الحكام . فهناك الدسائس والمؤامرات والمخاتلات والحيلانات ،
يفالها ويتغلب عليها . وهناك الاقليات والعشائر ، المطيعون دائماً في مناوراته ، يداريهم ويحاملهم ليستميلهم
اليه . وقد كان لكل خطوة اتجاه ، ولكل خطوة اسلوب يختص بها . وكانت كلها بمجموعها تؤدي
به من موحل الى آخر او حل منه . ومع ذلك كله فقد كان هدفه طول ذلك الجهاد واحداً — هدفاً
بعيداً ثابتاً ناصعاً لا يتغير ، ولا يثنيه عنه شيء في مغالبات الناس وحقايقهم ، او في نكد الزمان وعواديته .
وهذا الهدف هو عصبة الامم . سعى وجاهد فيصل ليصل بالعراق الى عصبة الامم ، لافضل فيها خاص ،
بل للتخلص بواسطتها من هذا الشيء الذي ولدته — من هذا الانتداب ابنها ، ومن نيره

وقد كان عليه ان يقود العراق في اجتيازه المراحل ، الواحدة بعد الاخرى ، الى تلك المحجة
البعيدة . ولكنه كان مقيداً في القيادة بخطة اخرى غير خطته ، بل بخطة غير تلك التي كانت توحى بها
السياسة الفيصلية . كيف لا ، وللالانكليز وجهة نظر يجب ان تتقدم ، وان تغيرت كل يوم ، وجهة
نظره ، او تلتئم بها . كيف لا وللالانكليز حق في الارشاد ، واساليب في الارشاد عجيبة . فعليه ان
يسلك بموجبها ، او يتلمس سبيله بتعل انكليزي ، كما يتلمس الجواد طريقه خلال الضباب في لندن
بل كان عليه ان يرى وراءه كما يرى امامه ، وان يحسن فوق ذلك شيئاً من علم المناقضات . وها
نحن في الفصل الاول من هذا العلم الطريف ، تعقد معاهدة تحالف مع حكومة دستورية نيابية ، لا
مجلس نيابي لها ولا دستور ! ولا بأس فانه من الممكن ، في علم المناقضات ، ان تجر العربة الحصان^(١)
وعند ما تدنو ساعة الاعجوبة — اي عند ما تشرع الامة في سن دستورها الاساسي — ينبغي ان
لا يحدث ما قد يمنع الحصان من السير وراء العربة . وبكلمة عربية مجردة من المجاز الانكليزي ينبغي
الا يكون في دستور الامة — ذات السيادة — ما يناقض مضمون المعاهدة ، ولقد حاول فيصل ان يسير
بنور هذه الحكمة الانكليزية — ان يهتدي بهذا الهدى البعيد الضياء — وان يفوز فوق ذلك بحب شعبه
واحترام جيرانه . فهل افلح سعيه هذا المثلث الزوايا ؟ سنعود الى هذه المسألة وتقصّها في الفصل التالي .
اما الآن فليتنا ان نتتبع الحوادث

بعد ايام من عقد المعاهدة صدر بلاغ ملكي بوجوب انتخاب المجلس الوطني التأسيسي ليجتمع في
الشهر الاول من سنة ١٩٢٣ . ولكن المعارضة المستمرة حالت دون مباشرة العمل . وكانت ترددات شدة
في الشيعة ، اذ اتفق المجتهدون بمقاطعة الانتخابات ، وهم يموهون سياستهم الفارسية بما يظهر من عطفهم
على الاتراك . وكان آية الله الشيخ مهدي الخالصي اشد زملائه تطرفاً وانكرهم مكابرة حتى في مجابهة
الملك . فغضب رئيس الوزارة عبد المحسن السعدون غضبه الاولى وامر بتفسير آية الله الكبرى
وعند ما أبعد الشيخ مهدي الخالصي الى بلاد فارس ، صاح زملاؤه محتجين ، وختموا احتجاجهم

بان حمل كل منهم عصا الترحال ، ونفض عن نعله غبار العراق . راحوا يشاركون اخاهم الاكبر منقاه في طهران . فحمدل السعدون . ولكن العقبات ظلت قائمة في سبيله . بل كانت الحنة محنته تشتد بدعاء اولئك المجتهدين ، على بعدهم ، وبصلوات اتباعهم الحارة

فزع الملك وفزع العميد الى السعدون . توحدت قوات البلاط والمفوضية والحكومة على المعارضة فقتت في ساعدها ، وما تمكنت من القضاء عليها ، وقد استمرت الحال هذه سنة كاملة ، سقطت خلالها وزارة السعدون . فجاء جعفر باشا العسكري بأمر ملكي يستأف الجهاد جهاد المعارضين بانتخاب المجلس لانه كما ادعوا سيسن قانوناً يتضمن الاعتراف بالمعاهدة . مضت وزارة جعفر في سبيلها ، وكانت تمدّها المفوضية ويمدّها البلاط بكل ما لديها من القوة القانونية والنفوذ الادبي غير القانوني وكانت في النهاية موفقة . فجرت الانتخابات ، واجتمع المجلس التأسيسي الذي فتحه الملك فيصل في ٢٧ اذار (مارس) سنة ١٩٢٤ اي بعد سنة وخمسة اشهر من يوم توقيع المعاهدة

وفي خلال ذلك عقدت وثيقتان في لندن ولوزان هما للعراق على جانب من خطر الشأن . الاولى الملحق الذي جعل مدة المعاهدة اربع سنوات بدل العشرين سنة ، والثاني عهد الصلح بين تركيا والحلفاء فجاءت هاتان الوثيقتان مدداً للحكومة في خضد شوكة المعارضة ولو خارج المجلس . اما في المجلس فقد كان الوطنيون المتطرفون الاكثرية فيه ، فعملوا على المعاهدة ، وخصوصاً على ملحقاتها الثلاثة التي تتعلق بالجندية والمالية والقضاء حملات شديدة ، تخللها نوع من الجدل لا يندر في الغرب ويستغرب في الشرق . فدارت رحى القتال ، بالايدي والكراسي ، بينهم وبين انصار الحكومة . وكان حزب العمال البريطاني قد فاز في الانتخابات فتولى الحكم هناك ، فقاط المتطرفون بوزارته كبير الآمال ، وامنعوا في العصيان . ان احرار بغداد يحبون احرار العمال بلندن ، ويستعطفونهم

وقدر رأى المندوب السامي الجديد السري دوبس شيئاً من البراعة في هذه المناورة ، فحاول مغالبتها بتعديل الاتفاق المالي وهو غير متيقن ما قد يكون موقف الحكومة الجديدة فيه . وما عم ان جاءه الخبر اليقين . فلا يزال النور في وزارة المستعمرات نور المستر تشرشل ، ولا تزال القاعدة في عهد العمال كما كانت في عهد السلف - « العجلة تجر الحصان »

اجل يجب ان تقر المعاهدة قبل كل شيء . وبعد ذلك « تعيد الحكومة البريطانية النظر في تعهدات العراق المالية » وكان احرار بغداد يتوقعون غير هذا من اخوانهم احرار لندن ! فازدادوا تمرداً اذ رأوا عكس ما أمّلوه ، وتفانوا ، لجأوا الى الكراسي ، في سبيل المعارضة . فارسلت اذ ذاك وزارة المستعمرات بلاغها المصعق - ان لم يتخذ المجلس في اليوم العاشر من حزيران (يونيو) او قبله قراراً حاسماً ، تحسب الحكومة البريطانية المعاهدة مرفوضة وتستعري نظر عصبة الامم الى الانتداب . وبكلمة اخرى قد اندرت العراق بالحكم الانكليزي التام ، بالحكم المباشر

ومما شجع الحكومة البريطانية يومئذ في ذا العمل مفاوضتها والترك في مسألة الحدود العراقية الشمالية . وقد كانت الموصل موضوع البحث والنزاع . فهل تفادون بالموصل . يا احرار بغداد ؟ نعم .

الموصل . ستخسرون الموصل . وسرى التهامس في الدوائر السياسية ، وفي الأندية - سنخسر الموصل
حتمًا اذا رفضنا المعاهدة

وكان المجلس قد ارفض لاجل غير مسمى ، فصدر الامر باجتماعه ثانيًا فأطاع الامر ثلثان او اقل
من أعضائه . وعندما جاء اليوم العاشر من حزيران ، وأدبر نهاده ، وأقبل ليله ، لم يكن في المجلس
العدد الكافي للنصاب القانوني . فبادر بعض رجال الحكومة والبلاط لكشف الحنة . راحوا يفتشون
في بغداد عن الاعضاء المتلكئين والمحبتين ، فاهتدوا اليهم وتوسلوا - حاسنوهم بالكلام ، وجاملوه
ووعدهم وتوعدهم - وظفروا بعد ذلك بهم . فجاءوا المجلس وكمل النصاب في الساعة الاخيرة قبيل
نصف الليل . وكانت تلك الليلة من ليالي فيصل المدلّمة . ولكنه في الساعة الثانية عشرة من تلك
الليلة تنفس الصعداء ، اذ جاءه الخبر ان المجلس قد أقر المعاهدة^(١) . على أنه اضاف الى الاقرار ملحقاتًا
يعرب فيه عن امله بأن تعدّل الحكومة البريطانية ، برًا بوعدها الاتفاق المالي في القريب العاجل والآ
تتنازل لتركيا ، في أي حال كان ، عن ولاية الموصل . وبعد ذلك استأنف اعماله بهدوء وسكينة . فأنجز
الدستور وقانون الانتخاب وأقرهما ثم ارفض عقده وتفرق اعضاؤه

هذي هي المرحلة الاولى التي اجتازها العراق في طريقه إلى عصبة الامم . وقد اجتازها بالرغم
عن مناصبة الشيعة ومقاومتها ، من دون ان يحدث ما ينكد عيش المتشرعين والمتعاهدين . ومن الحقائق
الثابتة الاخرى هو ان الحكومة البريطانية سترشح العراق لعضوية العصبة في سنة ١٩٢٨ أي بعد
اربع سنوات من تاريخ معاهدة لوزان . وماذا عسى أن يكون بعد ذلك شأن المعارضة ؟ بل ماذا عسى
أن تقول في الحكومة البريطانية . وقد برهنت في تلك السنة أي بعد شهرين من اقرار المعاهدة على
صدق نياتها . فقد وقف اللورد بارمور في مجلس العصبة بجنيف في دورة ايلول (سبتمبر) يقدم المعاهدة
الانكليزية العراقية وملحقاتها للموافقة ، ويقول : قد تقدم العراق في السنتين الاخيرتين تقدماً سريعاً
مما يجعل سياسة الاتداب وفقاً لمادة ٢٢ من ميثاق العصبة غير موافق له بعد حين . ثم اعرب عن يقين
أنه سيصبح في سنة ١٩٢٨ أهلاً لعضوية العصبة فترشحه الحكومة البريطانية لذلك

وقد نهجت هذا المنهج الحكومة البريطانية في تقريرها عن العراق لعام ١٩٢٥ وتكلم مندوبها
أمام لجنة الاتدابات الدائمة بلهجة اصرح من لهجة اللورد بارمور عن تقدم الحكم الوطني الدستوري .
ومما لا ريب فيه أن بريطانيا كانت راغبة في إنهاء الاتداب رغبة العراق رغبة صادقة ، اللهم بعد ان يكون
قد امنت بواسطة المعاهدة علاقتها ومصالحها هناك

وها هنا حد السلامة . ها هنا تجابه الحكومتين العقبات التي نشأت عن مسألة الحدود التركية العراقية
ومع أن نيات الحكومة البريطانية كانت صادقة شريفة فيها كذلك ، فقد أخفقت مساعيها لحل المشكل
مباشرة ، فاضطرت إذ ذاك أن تحيل المسألة إلى عصبة الامم عملاً بمضمون معاهدة لوزان . وقد عينت
العصبة بناء على ذلك لجنة من قبلها فزارت العراق في أوائل سنة ١٩٢٥ وقضت ثلاثة أشهر تستكشف

الحدود الشمالية وتحققها وتدرس أحوال الاقليات هناك وتسمعهم يشكون ويتدللون
وكان الاشوريون اشد تلك الاقليات المزعجة ازعاجاً . مع انه لم يكن لهم في ذلك الحين على الاقل
ما يسوِّغ الشكوى . بل كانوا عكس الامر مغمورين بالعطف . مدللين . عطف عليهم حكومة جعفر .
ودللتهم حكومة ياسين . وجاءهم حتى من الملك فيصل الكلمة التي فيها كل الضمان والامان . فقد تعهدت
الحكومة العراقية ان تقدم الاراضي لاولئك الذين يضطرون بعامل التحديد الجديد ان يخرجوا من
بلادهم . وان تنشئ ادارت محلية تضمن لهم الحد الاقصى من الحرية في مزاولة اعمالهم ، وفي المحافظة
على تقاليدهم وثقافتهم . وقد كان لموقف الحكومة العراقية الوقع الحسن في نفس اللجنة فخطت مطمئنة
الحدود التي ضمنت ولاية الموصل للعراق

غضب الآتراك لذلك ، وبعد ان أعلنت الحدود الجديدة التي دعت « بنحط بروس » . اخترقت جنودهم
تلك الحدود . وهجموا على بعض القرى فذبحوا بأهلها الاكراد والاشوريين . وتقدموا في اغارتهم
جنوباً وهم يهددون بالاستيلاء على الموصل . فروعوا حتى عصبة الامم التي عينت لجنة اخرى لاعادة
النظر في تلك الحدود . فجاءت اللجنة الثانية وساحت ودرست وحققت وقدمت تقريرها الى العصبة
في جلسة كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥

وبينما كانت اللجنة قائمة بعملها في الشمال اتخبت العراق مجلسه النيابي الاول . ففتح الملك فيصل في
غرة تموز (يوليو) ، وهو مستبشر بهذه الخطوات التي تقرب تلك الحجة القصية بجنيف . فما كم دستورنا ،
وها كم مجلسنا النيابي ، وهذه حدودنا الشمالية قد تحددت . فاذا ينتفون بعد ذلك منا ؟

سافر الملك فيصل الى اوربا في الشهر الثاني وهو على توعكه ووهن جسمه فرح مبتهج . فقد راح
في هذا الصيف مستشفياً ومستكشفاً جو السياسة . وكان امه أن يصل بالعراق الى العصبة قبل الموعد .
وما المانع ونحن نجتاز المرحلة بعد الاخرى بسرعة مدهشة . فراسل وحادث وقابل من لهم النفوذ الاكبر
في السياسة الدولية وفيهم المخلصون والمحبون وظل على اتصال بهم وهو يستشفي بأحدى مدن النابيع
المعدنية بجنوب فرنسا . وهناك الغير المخلصين والمحيين في حومة السياسة الدولية ، والغير العاملين في
سبيل السلام والغير الآمرين بالمعروف وهم من اصحاب الامر والسلطان . وكان لاصواتهم ولهمساتهم
وحتى لانفاسهم في الجو المضطرب مكان ، أي مكان . ولا بد ان يكون قد سمع فيصل ، كما سمع بطل
الرواية مكبث ^(١) بعض اصوات الحقيقة في ذلك الصيف من فم « بنات الديجور » بنات عم النمائات
في المقد . وأخلق من ان ينطقن ، إن في هذا الشرق او في ذاك الغرب ، باسم زمان عشتل زعيم

« المليح قيسح ، والقيبح مليسح —

هات الحطب وهات الشيش

وانفخي ، وانفخي ، وانفخي يا ربح » (٢)

(١) هي من روايات الشاعر الانكليزي الاشهر شكسبير ، وفيها تشاهد العرافات اللواتي يدعوهن « بنات الديجور »

(٢) هذا ما تقوله السواحر الثلاث في تلك الرواية ، ومعناه ان ما يراه الاس لمجاً هو قبيح في اعيننا ، وما
يرينه قبيحاً هو عندنا حسن . وقد جاءت بهذا المعنى الآية : « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم »

ايه ايتها السواحر الشقيقات . النافحات والنافثات . ايه بريطانيا وتركيا وجنيف ، انفخي في النار السياسية . انقثن في العقد الدولية . وقلسن . وقلسن في باقي الاسرار . حول النار . وتبأن لهذا الملك العربي ، المتحدر من صلب نبي العرب
فيصل العراق :

النجم بعيد قريب ،
والعصبة اخت الحبيب ،
هات الحطب ، وهات الشيح ،
وانفخي ، وانفخي ، وانفخي يا ربح
فيصل العرب :
على مغزل العصبة غزل العراق ،
وغزل الشقاق والاشتياق

وكان مجلس العصبة يدرس في ذلك الحين تقرير لجنة الحدود الثانية ، فاثبت في جلسة كانون الاول (ديسمبر) ما قرره اللجنة الاولى — اي خط بروسل — على شرط — على شرط ان تعقد انكلترا والعراق معاهدة جديدة لمدة خمس وعشرين سنة ! « المليح قبيح والقبيح مليح ... »
وكان فيصل قد عاد الى بغداد متشامماً ، ولكنه لم يتوقع مثل هذا الشؤم ، ومثل هذه الكريمة .
ما ذا عدا عما بدا . فقد اقرت العصبة منذ سنة (في جلسة ايلول سنة ١٩٢٤) المعاهدة العراقية الانكليزية واقترت الملحق الذي خفض مدتها من عشرين سنة الى اربع سنوات . فما الذي جرى خلال السنة ليبرر هذا الانقلاب ؟ وما السبب يا ترى في رفض الملحق وبذره ؟ هل وقفت العصبة هذا الموقف الجديد لخير بريطانيا العظمى ، ام لخير تركيا ، ام لخير العراق ؟ ام هل كانت قد اشربت حب الاشوريين والاكراد فهامت بهم ، وأعدت عليهم خمساً وعشرين سنة من بركات الحماية البريطانية ؟
لاشك ان الاقليات في ولاية الموصل كانت يومئذ في حاجة الى الحماية ، وخصوصاً من غوائل الآراك ، ولكن العراق كان مستعداً وقادراً . فضلاً عن حليفته العظمى ، ان يقوم بهذه الحماية ، اذف الى ذلك ان دستور العراق يضمن لهذه الاقليات كل ما لسواهم في البلاد من الحقوق المدنية والدينية . فماذا فوق هذا تبغعي عصبة الامم ؟ وكيف تسوغ موقفها الشاذ المخوف بالغموض ؟ انه لمن الصعب جداً ان ندرك الحقيقة كلها في نيتها واغراضها . فهل هي في عملها انسانية الشعور والاحسان . تعطف على اقلية مظلومة . وقل مهددة بالفناء . وتود ان تخلصها وتضمن لها اسباب العيش والاطمئنان ؟ ام هي في عملها اوروبية النزعة ، مسيحية الشعور ، تفصل بين دولتين اسلاميتين من جهة . وبينها وبين دولة مسيحية كبرى من الجهة الاخرى . فتسمح بالدخول على مقرراتها لاغراض اقلية مسيحية . او بالحري لاغراض رؤساء تلك الاقلية الدينيين . واصحاب المصالح من اشياهم ؟ انه لا يسهل ان تغلب على اعتقادنا في صحة الموقف الاول . من ان تغلب عليه في الثاني

ولكن التحليل لا يريح البال ولا يدخل على القلب السرور . حملت بريطانية قرار العصبة الجديد وساوتمت في تنفيذه فوصلت المعاهدة الجديدة الى بغداد في اواخر كانون الاول (ديسمبر) فوقها رئيس الوزارة السعدون بعد ان وعده المندوب السامي الوعود في ما يتعلق بالاتفاق المالي وبدخول العراق في عصبة الامم . ثم جاء الرئيس بالمعاهدة الى المجلس فتصدت لها المعارضة يتقدمها ياسين الهاشمي وطلبت ان تحال الى لجنة خاصة للدرس فرفض السعدون الطلب واقترح ان تكون المناقشة سرية فأيد اقتراحه رجال حزب التقدم وكانوا قد رفعوا اليه عريضة يلحون فيها بالاسراع في المناقشة . وعند ما اخرج المتفرجون خرج كذلك رجال المعارضة فلم يبال الرئيس بذلك . وعند ما اقفلت ابواب المجلس فاه بكلمة وجيزة صريحة شديدة : أيها السادة اذا رفضنا ان نقر هذه المعاهدة خسرنا الموصل . وما زال الامر كذلك فلا بأس اذا جاملنا المندوب السامي في طلبه بل في طلب وزير المستعمرات المستر إمري وهو ان يتم الاقرار قبل افتتاح دورة المجلس النيابي البريطاني في اول شهر شباط (فبراير) وكان المجلس او ماتبقى فيه بعد خروج المعارضة من حزب السعدون فبالغ بالمجاملة بعد الحوقلة والانتكال على الله . وأقر المعاهدة اكراماً للموصل لا للمستر إمري في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) بما يقارب الاجماع^(١) . وفي هذه المعاهدة عاد الانكليز الى تعديل نص عهدهم الذي يتعلق بدخول العراق عصبة الامم فجاء كما يلي : « عند ما تنتهي المعاهدة الاولى عملاً بالمحق المعقود في شهر نيسان سنة ١٩٢٣ ، وبعد ذلك في كل اربع سنوات متوالية الى ان تنتهي المجلس وعشرون سنة اي مدة المعاهدة الجديدة ، وتتنظر الحكومة البريطانية في هل يمكن أن تتوسط لادخال العراق في عصبة الامم » هو المظال والتحمّل ، بل هو العهد المنقوض . وقد رطم العراق وتضعع . وأسمى الملك فيصل في حال جهاد شبيهاً بحاله في سنة ١٩٢٢ ، بل اشد وانكد . واحرق قلبه من قلبه شيم . . . ومع ذلك فما وهن منه العزم ولا ضعفت ثقته بالله وبنفسه . بل كان دائماً يقول : سنسير بعون الله من معاهدة الى اخرى ، وسنظفر بالتي فيها حقنا بأجمعه — سنظفر بالمعاهدة التي ستدوم . وبعد بضعة اشهر انعشت آماله وآمال العراق المعاهدة الثلاثية — التركية العراقية البريطانية — التي عقدت في انقرة في الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٢٦ ، فاعترفت تركيا بنحط «بروسل» وسلمت للعراق بولاية الموصل وقد ادب الملك مأدبة رسمية احتفالاً بهذا الحدث وتقاءلاً به ، فخطب خطبة اعرب فيها عن رغبته الشديدة بالسلم وجيرانه كلهم ، وانه سيبدل ما في طاقته في هذا السبيل . وقد اشار المندوب السامي في تقريره الى هذه الخطبة فقال : وقد اعرب الملك عن امتنانه للحكومة البريطانية وتقديره لجهود ممثليها في سبيل العراق . ولكن الحوادث التي تتابعت بعد ذلك وتفاقت لا تشف عن شيء من روح الامتنان والتقدير . ليصور المندوب صوره السياسية الزاهية الالوان . ليموه وينمق ما يشاء وشاءت سياسة الحال ، فان الحقيقة البارزة الناصعة هي ان العراقيين فقدوا الثقة بالانكليز ، فقدوها كلها ، وكان احتقارهم لممثلي الحكومة البريطانية يزداد يوماً فيوماً ، احتقروهم نعم ومقتوهم [للفصل تمة]

(١) من الثمانية والثمانين ، عدد اعضاء المجلس ، كان تسعة طائفين و ١٩ من المعارضين الذين خرجوا والباقي اقرروا المعاهدة

أثر الحضارة العربية

في الاندلس وصقلية وما اليهما^(١)

بقلم محمد كرد علي

رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ووزير معارف سوريا سابقاً



لما بدأ العرب بفتوحاتهم في الاسلام فقصوا على فارس واقتطعوا من بيزنطية مملكة الروم الشرقية الشام ومصر وسواحل افريقية كانت فارس والروم اقوى دول العالم واكثرها حضارة ، وكان العرب شبه متحضرين يتعلمون ممن غلبوهم ما يصلح الملك والسلطان . وما انقضى ثمانون سنة على خروج العرب من جزيرتهم حتى اضافوا ما عرفه المغلوبون الى ما عرفوه هم من اساليب الحرب والادارة فأيناهم وقد مكّن لهم في الغرب يستولون على الاندلس ويتوسعون في فتوحهم جنوبي فرنسا وبينما كان بنو أمية في الشام يديرون ملكاً عظيماً ويضعون اسس المدنية العربية بنقل العلوم المادية عن السريانية والقبطية والرومية ويعنون كل العناية بتدوين العلوم الدينية والادبية وقد بدأت طلائع الحضارة في البلاد التي اظلمها سلطانهم ، كانت بلاد الغرب اللاتيني في احط دركات المدنية بل كانت الى همجية مرمضة تعد بداوة العرب في جزيرتهم قبيل الاسلام مدنية اذا قيست ببداوة الغرب . بل كان الناس يعيشون في بلاد اللاتين والانجلوسكسونيين والجرمانيين والصقالبة في توحش مدلم وأوربا خاصة بالغابات الكثيفة متأخرة في زراعتها والمستنقعات في كل ناحية تحصد الارواح والوبالة والابوئة تغادي تلك الشعوب القذرة وتراوحها لا يعرفون البيوت الصحية ولا الفرش الوثيرة تنام الاسرة كلها في غرفة واحدة على فرش من تبن او نبات مجفف وهي الى الفطرة بعاداتها وأكلها وشربها ولباسها ومجالسها . وبيوت لندرا وباريس اكواخ صغيرة بنيت من احجار مضفورة مصفوفة كيفما اتفق وهناك قلاع وابراج وكسائس لا هندسة لها

وليس في الغرب شيء اسمه أمن وأمان ويقضي على كل انسان ان يكون على استعداد في كل حين ليرد الاشقياء عن داره وحقله وفي غدوه ورواحه فلا ينام الاّ وسلاحه الى جنبه ولا يستطيع المرء ان يسير فراسخ قليلة دون ان يستهدف للقتل او السلب ، وقد جعل بعض ارباب القوة من نهب عروض الناس في الطرق مهنة لهم يعيشون منها يقتلون ويقتلون وما من حكومة قوية تناقشهم الحساب على ما تجني ايديهم لان الامراء كانوا مع رجال الدين اشبه برؤساء عصابات منهم بزعماء بلاد . ولم تكن اوربا كلها قد دانت بالنصرانية بل كان من ممالكها من لم يزل على مجوسيته ووثنيته . والنصرانية

(١) القيت في جامعة القاهرة الاميركية وينتظر ان تصدر مع سائر المحاضرات في كتاب على حدة يطبعه وينشره الياس انطون الياس صاحب المطبعة والمكتبة العصرية

دخلت المدن أولاً وتسربت الى القرى والديساكر بعد ازمان ، وبينما كان شارلمان اعظم ملوك الغرب
أمياً او يقرب من الامية كان المنصور والرشيده والمأمون تترجم لهم كتب الطبيعيات والرياضيات
والفلك والطب والفلسفة والصناعات . وبينما كان اهل غاليا اميين كلهم ما دونوا كتاباً ولا اخباراً ولا
عرفوا ادباً ولا شعراً ، كان العرب قد انشأوا في كل قطر نزولهم كتلاً علمية ومجالس ادبية واصبح عامتهم
يقرأون ويكتبون وخاصتهم ينظمون وينثرون ويخطبون ويؤلفون ويبحثون في العلم والفلسفة على طريقة
اشبه بطرق اهل المدينيات الحديثة على حين كان نبلاء القرون الوسطى في الغرب لا يمتازون عن الفلاحين بهذيبهم
وعلمهم وكلهم اميون جهلاء قساة الطباع يستحلون كل منكر لا هم لهم غير الشراب والطعام والصيد والغارات
وبينما كان الغرب لا يعرف حياة الرفاهية ، ومن اهله كسكان شلشويق (شلزيويك هولشتاين)

في الدانيمرك من كانوا كالوحوش يسترون عورائهم بقطع من الجلود شأن كثير من الشعوب في
شرق اوربا وشمالها ولا يحسنون لفق الجلود ولا خياطتها ايضاً كان العرب قد دخلوا في مباحج الحياة
ورفاة العيش يلبسون ونساءهم اجل الاكسية من الحرير والقطن والصوف والكتان يفسجونها في
معاملهم ويحجكونها على انوالهم وهي وافية بحاجات الحضري والقروي منهم على اختلاف الفصول
كان اول احتكاك مدني وقع بين العربي والغربي في آسيا الصغرى لانها كانت ميداناً للغارات بين
العرب والروم منذ اقتطع العرب الشام من املاك البيزنطيين وحاولوا ان يتقدموا الى فتح القسطنطينية .
وتكون الغزوات بين الفريقين سجالاتاً فيأخذ كل فريق من الفريق الآخر أسارى قد يقضون في بلاد
عدوهم اعواماً فيتعلم العربي الرومية ويتعلم الرومي العربية وبزور في ايام المهادنات والسلام بعض اهل
الطبقة العالية والوسطى البلاد المجاورة ويرى كل ما عند الفريقين من اسباب التفوق وما خلت بلاده
مما عند جاره من عوامل النهوض واساليب القوة في الامم

ولما انبلج فجر القرن الثاني زادت ساحة اخرى لتعارف العربي بالغربي وهي ساحة جنوب اوربا الغربية
أضيفت الى ساحة جنوب اوربا الشرقية بفتح العرب الاندلس سنة (٩٢ هـ) عند ما قضوا على مملكة اليزغوت
او الغوط كما كان يطلق عليهم العرب . وانحاز الاسبانيون الى شمال جزيرة ايبيريا يعتصمون في جبال جليقية
ويستأثر العرب بمعظم بلاد اسبانيا والبرتغال يستصفونها من البحر الرومي الى بحر الظلمات ويقرون
اهل البلاد على قضائهم وادارتهم ويعدلون فيهم ويقلدونهم بعض الاعمال الصغرى ينتهون منها الى
كبرياتها بعد زمن قليل . ومن عادة العرب اذا فتحوا قطراً ان يبقوا لاهله اوضاعهم ومصطلحاتهم
وترائيتهم وان يحكموه لاول الامر حكماً اشبه بالحماية ثم يحيلونه ملكاً صرفاً ، وهذا من بديع سياستهم .
وكانت الجزية التي ضربها العرب على غير المسلمين زهيدة بالقياس الى ما كانوا يستمتعون به من الراحة
والهناء وقضت شروط الصلح على ان يجعل على كل رجل حر بالغ ديناراً واحداً في السنة واربعة امداد
قمح واربعة امداد شعير ومقداراً من الخل والعسل والزيت وعلى العبد نصف ذلك وان تحفظ على اهل
البلاد دماؤهم فلا يسبون ولا يفرق بينهم وبين اولادهم ونساءهم ولا يكرهون على دينهم ولا تحرق كنائسهم
وما عثم الاسبانيون والبرتغاليون ان شاهدوا الفرق المحسوس بين ثقافة العرب الغالبين وثقافة

المغلوبين وادعى بعضهم ان حضارة الاندلس كانت لا بأس بها بدخول العرب وفاته ان القوم نسوا لغتهم بمجرد استيلاء الغريب على اسبانيا فما انقضت ثلاثون سنة على الفتح حتى اصبح الناس يندسخون الكتب اللاتينية بحروف عربية كما كان يفعل اليهود بمخطوطاتهم العربية وما مضى نصف قرن حتى دعت الحال الى ترجمة التوراة والقوانين الكنسية الى اللغة العربية ليمكن رجال الدين انفسهم من فهمها وما انت على الفتح خمسون سنة حتى اصبح الناس كلهم يتكلمون بالعربية والعقود والمواثيق تكتب بالعربية حتى بين الاسبانين انفسهم. واتخذ النصارى من اللغة العربية ترجماً لمواطنهم وقلوبهم واخذوا يحبون تلاوة قصائد العرب وقصصهم ويدرسون كتب علماء الاسلام وفلاسفتهم لا ليردوا عليها بل ليحلوا بها منطقهم، يقرأون العربية بلذة ويقتنون كتبها بالاثمان الغالية يؤلفون منها خزائن نفيسة ويذكرون في كل مكان ان آداب العرب بما يعجب به واذا حدثهم عن كتبهم الدينية اجابوك بازدرأ ان هذه الكتب غير حرة بالتفاتهم ، وما كنت تجد في الف رجل من يكتب رقعة مناسبة باللغة اللاتينية وانت اذا كلفت احدهم ان يكتب بالعربية تجد جمهوراً يعبرون عن افكارهم بهذه اللغة على صورة بديعة وقد ينظمون من الشعر العربي ما يفوق بما فيه من الصناعة شعر العرب انفسهم لم يمض قرن على فتح الأندلس حتى اخصبت القرى وكثرت المزارع واتصل العمران وتزاحم الناس بالمناكب في المدن ، وغدت قرطبة عاصمة البلاد كعواصم اوربا اليوم ، تنار ليلاً بالمصابيح يستضيء الساري بسرجهما ثلاثة فراسخ ، وكان من رجال الحسبة وهي أشبه بالمجالس البلدية ودواوين الشرطة اليوم، ان يسلطوا الشوارع واخذوا كل يوم يرفعون القمامات والقاذورات ويزال ضرر المجاري والقني لئلا يتأذى بها السكان ولا يبني من يحب البناء الا على طريقة هندسية يعينها له ديوان الحسبة ليترك فراغاً يتمتع به الجيران وابناء السبيل لا يمتنع عنهم الشمس والهواء ولا تتضايق المارة مهما كثر سوادهم . فقرطبة اذاً اول مدينة في العالم كان لها مثل هذا النظام . وما لبثت ان غدت عاصمة علم وصناعة وفن وتجارة، وكعبة يحج اليها بعض النابهين من اهل الغرب ينظرون الى ترتيب العرب وعدهم واحكامهم نظر الدهشة والاستغراب ومثلها كانت طليطلة وغيرها من قواعد الأندلس في الشمال والجنوب ونقل بنو أمة منذ كانت الاندلس احدى ولاياتهم وبعد ان فتحها عبد الرحمن الداخل الاموي فتحاً ثانياً واستقل بملكها بعد تغلب العباسيين على دولة اهلها في الشرق — اصول آلهم في ادارتهم واحكامهم واوضاعهم وطراز هندستهم في القلاع والجسور والدور والقصور والجوامع حتى لقد جعل العرب البيوت والمساكن في ارض الاندلس على الطراز الذي عرفوه في عاصمتهم القديمة دمشق كأن تدخل البيت من دهليز طويل ينتهي بفناء واسع وسطه حوض ماء وعلى جوانب صحن الدار غرف وابهاء ومقاصير يأوي اليها اهل البيت في الصيف وفي الشتاء ينزلون في الطبقة الثانية من الدار وفيها جميع المرافق وفناء الدار خاص بالازهار وبعض الاشجار المثمرة او المطلقة للهواء . والدار طبقتان فقط وتكون غرف الرجال ومناوي الضيوف منعزلة عن غرف النساء ولا يزال هذا الترتيب في البيوت محبباً الى الناس في الولايات المعروفة بالولايات الاندلسية الى يوم الناس هذا يحددون دورهم

على هذا الطراز. واصبحت الاندلس على عهد عبد الرحمن الثالث الاموي عالم الملوك وحامي الآداب والعلوم والصنائع والتجارة وعلى عهد اخلافه ولا سيما ابنه الحكم الثاني احسن الممالك حضارة وعلماً وحسن ادارة في القرون الوسطى بل ما وسع المرابطين والموحدين وان كانوا من البربر الا انهم يخدموا الحضارة العربية ، بل ان الملوك من بني الاحمر لم يسعهم فيما بعد الا ان ينسجوا في الاندلس على منوال الامويين كما لم يخدم ملوك الطوائف والمتغلبون على الاطراف مندوحة من الجري على هذا المثال في خدمة العلوم والآداب يغالون في اختيار خيرة العلماء والادباء لتقليد الاعمال . ولقد وهت في الاندلس بعد بني امية امور كثيرة ولا سيما في السياسة ولم يضعف فيها العلم والصنائع والتجارة والزراعة ، وكان ولاية الامر الى الخير في عامة احوالهم تقل الرشوة فيهم وابتعدون عن كل ما لا يبعث باصل من اصول الدين في الجملة . وكان معظم ملوك الغرب على اتصال دائم بملوك الاندلس وامراءها يوم كانوا لاول سلطانهم في عاصمتهم قرطبة وكذلك لما ضغط عليهم ملوك قشتالة وقبوعوا في عاصمتهم غرناطة . وما بقي من آثار العرب الكثيرة في جامع قرطبة وقصر الحمراء في غرناطة الى اليوم دليل ناطق بما بلغته حضارتهم من مراقي الفلاح الباهر وادخل العرب الذين جلوا الى الاندلس وسكنوا في المدن والارياف سكنى دائمة طرائق معيشتهم واصول زراعتهم وصناعاتهم على النحو الذي ألفوه في المشرق ادخلوا اليها كثيراً من اصناف الحبوب والبقول والاشجار وزرعوا القلوات واحيوا الموات وعمروا القرى والمدن وادخلوا الى الاندلس معظم الصنائع واخذوا يجرّون المياه في بسائط الجزيرة بما اقاموه من الخزانات والنواعير وبما عرفوه من اساليب الهندسة في تقسيم المياه ، واسداد بلنسية الباقية الى اليوم شاهدة بتقنهم في اعمال الري والسقيا ، وهي اثر من آثار نبوغهم في الهندسة . وغلب هذا العلم على اهل هذه الولاية حتى لنقرأ في تراجم الرجال ان فلاناً امام الجامع الاعظم كان مهندساً وفلاناً قاضي الجماعة وقاضي القضاة كان مهندساً رياضياً . وامتع العرب ابناء البلاد من النصراني — وكانوا يسموهم المستعربين كما يسمون المسلمين الخاضعين لاسبانيا المدجنين — بعامية حرياتهم يبنون ماشاءوا من بيع وكنائس ويعقدون مجامع اساقفتهم ، وقد عقدوا (سنة ٧٨٢ م) مجمعا في اشبيلية وفي (سنة ٨٥٢ م) مجمعا في قرطبة . وكان رجال الدين من النصراني يدعون الى دينهم في صميم بلاد الخليفة الاندلسي وربما وقفوا على ابواب المساجد يتسقطون المسلمين ليهتوا دينهم بينهم ويتعرضون للقتل والاهانة حتى تكتب لهم الشهادة والسعادة . والمسلمون لا يتعرضون لهم واذا مرّوا بالغو مرّوا كراماً . وبلغ من سياسة العرب في الاندلس انه اذا شجر خلاف بين مسلم ونصراني من الجند يعطى الحق غالباً للنصراني فنشأت بذلك وحدة وطنية بين الغالب والمغلوب . وكان الغالب يومئذ في أقصى قم عظمته وقوته

ولقد علم العرب الشعوب النصرانية كما قال العلامة جوستاف لوبون اثن الصفات الانسانية واعني بها التسامح ، وما تناول التبديل الذي ادخلوه الى الغرب الماديات والعقليات فقط بل تعداها الى تحسين الاخلاق ، وكان العرب ينظرون على صفات فيها الكرم والاحسان وفيها الشتم وعزة النفس مما لم يكن له اثر عند غيرهم . وانتحل الاسلام كثير من الاندلسيين وما كان لهم غير مصلحة

ضئيلة في ذلك لان النصراني في الحكم العربي كانوا يعاملون كاليهود ايضاً بقواعد المساواة ولهم ان يتولوا جميع اعمال المملكة ، وكانت تجري على سادات الاسبان احكام الاسلام فيختلطون باشراف العرب ومن ظل محتفظاً منهم بدينه نسي تقاليده ، فصار يحجب نساءه كالمسلمين ويقتدي بازيائهم والبستهم وعادتهم في مآدبهم ورفاهيتهم ولدائدهم ويزهد في اللغة اللاتينية ويحتشد في تعلم اللغة العربية وتناسى الاسبان اصولهم واستعربوا بحضارتهم واخلاقهم وانشأوا يفصحون بالعربية وصار الخلفاء يختارونهم عمالاً لاداراتهم وامناء لمشورتهم يفضون اليهم باسراهم وكان كثير من اذكىء الجلالة والقشتاليين والليونيين والنافاريين دع من كانوا في البلاد الواقعة في حكم المسلمين من ارض الاندلس يتعلمون العربية ويقصدون الخليفة الاندلسي او احد رجاله يستخدمون في ارضه

وتزوج العرب من بنات الاسبانيات والبرتقاليات وشاع هذا الزواج بين العرب وامسى ملوك النصراني على عهد انقسام الاندلس بين ملوك الطوائف يتزوجون من بنات امرء المسلمين فقد تزوج الفونس السادس بزيادة ابنة امير اشبيلية وعقد مثل هذا الزواج غير مرة وكان عدد المتزوجات من الاسبانيات والبرتقاليات من المسلمين وعدد المسلمات المتزوجات من الاسبانيين والبرتقاليين آخر ايام الاندلس كثيراً جداً حتى جرى لذلك كلام في الشروط التي تمت بين الغالب والمغلوب. ومن العرب من آثر زي الاسبانيين من الملابس والسلاح والجهم والسروج وكلف بلسانهم وكثير من اهل الطبقة العالية من المسلمين كانوا يعرفون لسان جيرانهم ويتشبهون بهم في الاكل والحديث وكثير من الاحوال والهيئات وكان بعض ملوك بني الاحمر يتزيا بزي الاسبان وكذلك اجنادهم . وذكر العلامة ابن خلدون ان الاندلسيين لعهد اخذوا يتشبهون بام الجلالة في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت وعد ذلك من علامات الاستيلاء . ولقد قالوا ان عزيز بن خطاب وكان من اكابر العلماء لما ملك على مرسية استمع خطبة الخطيب حاصر الرأس على مثال ملوك الافرنج وكذلك كان ابن هود يسير في بلاده حاسراً وعلى هذا درج بنو الاحمر . وكان يسمح لعملاء المسلمين هناك ان يرخوا ذوائبهم على مثال رجال الفنون والادب من الاسبان وأخذ النساء والبنات المسلمات يقلدن الاسبانيات في العهد الاخير بملابسهن والسفور او الحجاب الذي لا بال له» وبلغ من تسامح امرء المسلمين في الاندلس ان منذر بن يحيى صاحب سرقسطة وأذكىء ان اجري زواج ريمند الجليقي وشانجه القسطلبي من ملوك الاسبان على يديه وكتب عقد النكاح بينهما بحضرة سرقسطة في حفل من اهل الملتين . وذكروا ان بعض الاندلسيين كانوا يعرضون في قصورهم التماثيل الجميلة وفيها صور الادميين وغيرهم

كانت الاندلس العربية البلد الوحيد في الغرب الذي كانت فيه حقوق اليهود مصونة من جور الجورة فانها لو عليها من كل فيج وكثر فيها سوادهم ومنهم من انصرف الى خدمة الدولة وتعلم العلوم كالطب ونحوه ومنهم من انتفع بما ربطته حكومة الاندلس مع البلاد المجاورة من الصلات التجارية فكانوا من اول التجار الذين تسافر متاجرهم مع متاجر العرب والبربر وغيرهم على الاساطيل التجارية

مقلعة من مالقة وبجاته والمريّة ولشبونة وبرشلونة تحمل الى الشرق والى شمال افريقية وجنوب اوربا
غلال الاندلس وتأتي اليها بغلال البلاد القاصية . وبعد انقضاء عقود من السنين كان الفضل لبعض
علماء اليهود في الاندلس بنقل الحضارة من العربية الى العبرانية واللاتينية فحملوا علم ساداتهم بالامس
الى من يلقوا منهم في معظم الادوار الا المنة والارهاق ورب كتاب ضاع اصله العربي وبقيت ترجمته
اللاتينية او العبرانية على نحو ما كان من السبعين كتاباً التي نقلها في مدينة طليطلة من العربية الى اللاتينية
جيراردو دي كريمونا في القرن الثاني عشر وهي في الهيئة والنجوم والهندسة والطب والطبيعة والفلسفة
وعدنّ عرب الاندلس المناجم على اختلاف ضروبها فكانوا يبعثون بما يستخرجونه من ارضهم
ويصنعونه من السلاح في معاملهم وبالحرير والجوخ والجلد والسكر والورق الى افريقية وسائر بلاد
المشرق والمغرب واشتهرت معامل الورق في شاطبة اشتهار قرطبة بمجاودها وسلاحها وحليها واشبيلية
بحريها ومالقة بزجاجها والمريّة بوشيا وديباجها وجوخها وباجة بنسج كتانها وسرقطة بسلاحها
ورية بسجادها وطليطلة ومرسية بأسلحتها . وكانت اوربا الغربية تأخذ ورقها من الاندلس واوربا
الشرقية تستبضعه من معامل دمشق وحلب وطبرية وطرابلس من الديار الشامية . وحمل العرب الى
الغرب من جملة الصنائع صناعة السجاد وصناعة السفن فجعلوا في كل فريضة بحرية من موافي الاندلس
على البحر الرومي وبحر الظلمات دور صناعة تخرج لهم السفن الوافية بالغرض في تلك العصور . فكان
الانتفاع من البر والبحر على اتم حاله . وكانوا يستخرجون من دابة تحتك بحجارة على شط البحر في
شنترين وبرآ في لون الخز لونه لون الذهب وهو عزيز قليل تنسج منه ثياب فيتلون في اليوم الواناً ويحجز
عليها ملوك بني امية فلا تنقل الا سراً وتزيد قيمة الثوب على الف دينار لعزته وحسنه . بل بلغ من غرام
ملوك غرناطة بالملم ان فرضوا جوائز للمخترعين لينشطوهم ويلقوا المنافسة بينهم وربما ميزوهم بمميزات
خاصة وان يحجزوا بالمال الكثير من يستظهرون كتاباً يعينونه في الفن الفلاني . وكما كانت للاندلسيين
مجامع علمية تجتمع في اوقات مخصوصة من السنة كان علماءهم يؤلفون رسائل يفهمها كل انسان تكون له عوناً
على الانتفاع بالاعمال العامة اي دساتير سهلة التناول يتدارسها الصناع والعملة فتعبد لهم فيما هم بسبيله
وانتقلت بعض صناعات العرب واساليبهم الى فرنسا واسيا في الزراعة وحفر الترع والخلجان
ونظام الري وكانوا انشأوا الطرّة والجسور والقناطر لاسياح والمستشفيات والجوامع والرباطات في كل
محلة ومنزل ورأى الفرنسيون كيف عمر العرب ناربون وبروفنسيا لما استولوا عليها وكيف نظموا
اساليب سقيها وادخلوا اساليب عمرانهم الى قرقشونة ونيم واتون وسانس وافنيون ومرسيليا
وارل وبوردو ومنها ما جعلوه قاعدة لاعمالهم الحربية والبحرية ووقفوا عند حدود سبتانيا حيث
اقاموا لهم فيها مراكز دائمة وعقدوا عهداً مع اهل البلاد . وكان رجال الكهنوت في تلك الاصفاع
يؤثرون حكم العرب على حكم الغزاة من الجرمانيين لان هؤلاء ما كانوا يتخرجون من الاستيلاء
على املاك الكنائس واخذت الصلات العديدة تنعقد بين المسلمين والنصارى ولما ارتدّ العرب عن
اقليم سبتانيا سنة (٧٥٩ م) احتفظوا هناك باملاكهم وبيوتهم

آيَاتُ الْكَرْبِ فِي الْخَلْقِ

[طلب الينا نقر من اصدقاء المقتطف — وطلبهم عزيز علينا — ان ننشر في كل عدد منه فصلا في عجائب المخلوقات ، وما جهزتها به الطبيعة من وسائل العيش والكساح ، فاخترنا لهذه الفصول العنوان السابق ، وهو عنوان مقالة لثني المقتطف الدكتور صروف — رحمة الله عليه — ونشرنا المقالة نفسها توطئة للفصول التي اعددناها عسى ان يصيب القراء من مطالعة هذه الفصول لذة وفائدة]

الآيات البيئات

في ادارة المقطم والمقتطف مطبعة او آلة طباعة يديرها سير من الجلد تحركه الكهرباء فتسحب الورق من لفتين كبيرتين وتقرؤه فوق حروف الطباعة بعد ان تحيىرها وتطبعه من وجهيه وتقص منه صحتين بعد صحتين وتضع احدهما داخل الاخرى وتلصقها بها وتطويهما طولا وعرضا اربع طيات فيخرج المقطم منهما مطبوعاً مقصوفاً ملصوقاً مطوياً . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلصقها وتطويها وتعددها تفعل ذلك كله من غير ان تساعد يد او يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت ايادي الوف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لا يخرج منها عدد واحد من المقطم مطبوعاً الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الايدي في بلدان كثيرة في عمل الورق والخبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهرباء ناهيك بما يلزم للآلات الكهربائية من المواد والعمال وبما يلزم لسبك الحديد والنحاس والرصاص والسكر ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهربائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل ما يلزم لطبع عدد واحد من المقطم لبلغ عددهم الوفاً وعشرات الالوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ما وراءها من العقول يخالف كل معقول

بزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الافدنة ومساحة الفدان ٤٢٠٠ متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع عن مائتي سنبل فعدد السنابل كلها التي تنبت كل سنة

في القطر المصري وحده لا يقل عن مليون مليون سنبله اي اكثر من عدد كل سكان الارض ستمائة ضعف . وفي كل سنبله بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد ما لا يوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المشار اليها آنفاً . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي شؤونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها

واذا استنرت بنور الكيمياء وحللت دقائق حبة القمح رأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولا تحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص ما يميز القمح الصعيدى عن البحرى والهندي عن البلدى . ثم اذا علمت ان ما يزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءاً من مائة ممّا يزرع في الارض كلها ولا جزءاً من مائة الف جزء مما ينمو من سائر الحبوب والبزور رأيت ان عالم النبات وحده يذهل العقول حتى لا ترى لها مندوحة عن الاعتراف بالقوة الخالقة المدبرة

وعالم الحيوان لا يقل عن عالم النبات في غرائب . ترى حيواناً من اصغر الحيوانات الدنيا السابحة في الماء طوله جزء من ثلاثة آلاف جزء من العقدة اي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولاً في سطر واحد ما بلغ طولها اكثر من عقدة (بوصة) فلا يرى الا بالمكروسكوب . راقب بعضهم هذا الحيوان في العام الماضي ودرس طبائعه وكتب عنه يقول : - رأيتُه أولاً مستطيلاً وله ذنب دقيق طويل وعند مغرز هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسمح في الماء بتحريك هذين الذنين . وبعد ان يسمح مدة مختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن ويصير كروياً ويبقى ذنبه الطويل متحركاً متمعجاً كالافعى وحركته تجعل امواجاً في الماء تندفع اليه بما فيها من الميكروبات . وحينما تدنو هذه الميكروبات منه ينحني عليها ذنبه الطويل وتنفتح لها فتحة بين الذنين فتبتلعها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه فهو من الحيوانات المفترسة على صغر جسمه وحقارة قدره . وقد يلتقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة اخرى لابتلاعها لكنها تملصت منه وهربت بعد ان كاد يفترسها . وفي باطنه سائل حامض يهضم ما يفترسه كما تهضم معدنا الطعام . ثم يسكن مدة بعد ما يقتذي الغذاء الكافي ويعود جسمه مستطيلاً كما كان اولاً وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حينئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كل منهما مثل الحيوان الاول واما ان يتغير شكله وتضعف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويلتصق به فيمتزج الحيوانان امتزاج التزاوج الحقيقي ويصيران حيواناً واحداً كروياً فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات او اكثر ثم ينفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه وكل منها جزء من ثلاثين الف جزء من العقدة . وهذه البزور تعوم في الماء وتنمو رويداً رويداً وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان ويصير حيواناً كاملاً . اي ان

هذا الحيوان الذي لا يرى بالعين لصغره يولد ويتحرك ويغتذي ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالانقسام وإما بالولادة
وكم في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله وكم في هوائها وترباها من مثل ذلك
وكل حيوان منها يولد ويسمى وياً كل ويغتذي ويتزوج ويلد وفي بنيتِه من الاعضاء والآلات ما
يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفاً اتفاقاً واحكاماً عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي
تشعر وتدبر حركات الحيوانات وتكيفها بحسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع
وتفترس وتهتضم وتغتذي وتزاوج وتتوالد

وما هي هذه الحيوانات الميكروسكوبية الدنيا بالقياس الى الحيوانات الكبيرة ، الى الاسماك
والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالهر والاسد والفرس والفيل بل بالقياس الى الانسان سيد
المخلوقات في هذه الارض فهل يعقل ان ليس في الكون قوة خالقة مدبرة اوجدت هذه الكائنات
او اوجدت القوى التي توجدتها وتدبرها وتدبر حركاتها
هذه هي بعض الآيات البينات التي لا يغضي عقل الانسان عنها وعمّا تدلُّ عليه الا اذا تكلف
الاعضاء تكلفاً أو كان خاملاً لا يفكر ولا يقيس ولا يستنتج

الاكسجين وحياة الحيوان

عجائب الوسائل التي ابتدعتها الطبيعة

تشبّه الحياة بالشعلة . فيقال اذا طاح الردى بشابّر « اطفئت فيه شعلة الحياة » . وهذا
التشبيه ليس من ابتداع الخيال الوثّاب فقط ، بل هو قائم على اساس من الحقيقة . فالشعلة لا يمكن
ان تستمر الا اذا استمرّ تفاعل كيمائى معين ، هو اتحاد الاكسجين (الاكسدة) بمادة عضوية
لهوبة . والفرق بين شعلة النار وشعلة الحياة ، ان الاكسدة في الاولى بسيطة وشديدة ، تتم على
درجات عالية من الحرارة ، وأما الثانية فمعقّدة ولطيفة . فالخشب يشتعل ولكن الجسم الحيّ يحترق
احتراقاً بطيئاً . الشعلة حامية وأما الجسم فدافئ فقط . وفي كلا الحالين ، في الخشب المشتعل ، أو
في خلايا الجسم الحيّ ، ترى المادة تتأكسد . فالاكسجين لا بدّ منه للشعلة ولا بدّ منه كذلك للحياة
والحاجة الى الاكسجين يشترك فيها الاحياء جميعاً من ادناها وابسطها الى اعلاها وأكثرها
تعقيداً . وما مصدر الاكسجين ؟ ينفخ الهواء في الاتون بمنفاخ قوي فتستمدّ النار من تياره

الاكسجين الذي تحتاج اليه . والاحياء تستمد الأكسجين من الهواء كذلك . وليس ثمة اي مصدر آخر للاكسجين تستطيع الاحياء ان تتناوله منه . ومقداره في الهواء كبير جداً ، فالهواء الذي يملأ الفضاء فوق كل ميل مربع من الارض فيه خمسة ملايين طن من الاكسجين . ولما كان الانسان في خلال حياته لا يستنفد اكثر من طن واحد من الاكسجين ، فلا خوف اذاً من ان يصاب الناس بقحط الاكسجين يوماً من الايام ، اذا ظلت الاحوال الجوية على ما هي عليه الآن

والمسألة التي تهتم الاحياء ، ليست « هل هناك مقدار كاف من الاكسجين » لان المقدار يفوق ما تحتاج اليه ، وانما « ما هي الوسائل التي تمكنها من الحصول عليه » . ان الاحياء الدنيا تعيش في الماء ، بل المرجح عند علماء الحياة ، ان الحياة نفسها بدأت في البحر لا على اليابسة . فالاحياء الاولى كانت بعيدة عن الهواء ، فكيف كانت تستطيع الحصول على الاكسجين الكافي لافعال الحياة ؟ والجواب عن ذلك ان الاكسجين ، يمكن حله الى حد ما في الماء ، فاذا تكسرت الامواج او ازبد البحر ، حل بعض الاكسجين الذي في زبد الامواج في المياه ، وكذلك لا يعسر على حي يقطن البحر من الحصول على قدر من الاكسجين ، اذا كان جسمه مجهزاً بآلة لذلك ، واذا كان مسكنه غير بعيد الغور

ولكن هل تستطيع الاحياء البحرية ان تتناول كل ما تحتاج اليه من الاكسجين مما ذاب منه في الماء ؟ الغالب ان حاجتها الى الاكسجين يسيرة ، فمعظمها صغير الحجم ، والحيوانات ذوات الخلية الواحدة منها لا تزيد على رأس دبوس او هي اصغر . فالمقدار الذي تحتاج اليه من الاكسجين يسير . وهي تستمدّه من الماء ، بامتصاصه ، كما تمتص قطعة السكر ، الشاي او القهوة ، اذ يُصَبُّ أحدها في الفنجان . على ان قلة ما تحتاج اليه الحيوانات الواحدة الخلية ، من الاكسجين ليس سبباً صغراً حجمها فقط ، بل كونها باردة وقليلة الحركة كذلك . فاذا اخذنا حيوانين متساويين حجماً وكان احدهما بارداً قليل الحركة ، وكان الآخر ، دافئاً نشيطاً كثير الحركة ، كانت حاجة الثاني الى الاكسجين اعظم من حاجة الاول

على أن البحر يحتوي على حيوانات ، بلغت درجات متفاوتة في سلم الارتقاء . وهي في ارتقائها اصبحت معقدة البناء كبيرة الحجم . خذ مثلاً حيوان التوتياء (الرنسا) فهو حيوان شائك ، لم يبلغ درجة عالية في سلم الارتقاء ، ولكنه لا يقل عن البيضة حجماً وقد يبلغ حجم رأس الطفل . هذا الحيوان لا يمكن للاكسجين ان يخترق سطحه ، كما يتغلغل الشاي في قطعة من السكر . ثم اذا اعتمد حيوان التوتياء على امتصاص الاكسجين ، وتغلغله في الجسم ، تعذر عليه العيش لأن الامتصاص والتغلغل بطيئان ، وجسم التوتياء في جميع اجزائه يحتاج الى هذا الغاز الذي يحفظ شعلة الحياة متقدة في جسم صاحبها . لذلك ابتدعت الطبيعة لهذا الحيوان جهازاً من الاقنية تطوف

بكل اجزاء الجسم ، يدخلها ماء البحر ، فيتصل كل جزء من الجسم بالماء الذي فيه الاكسجين ويمتص منه ما يحتاج اليه ، او ما يستطيعه
قلنا ان السائل الذي يدور في اقنية التوتياء ماء ، والواقع انه ليس ماءً لانه اذا وضع في الهواء تخثر . بل انه نوع بدائي من الدم او هو من المحاولات الاولى التي حاولت بها الطبيعة خلق سائل يؤدي وظيفة الدم

نلتفت الآن الى حيوان اعلى مرتبة في سلم النشوء . هو الكركند (القريدس في سواحل الشام والجزيري في مصر — معجم الحيوان) وهو من الحيوانات البحرية عشارية الارجل . حركة هذه الحيوانات اشد من حركة التوتياء فاجتته الى الطاقة التي مصدرها اتحاد الاكسجين بالمواد العضوية اعظم من حاجة التوتياء . ومن الطبيعي ان ننتظر ان تكون الوسائل التي جهزته بها الطبيعة لتناول الاكسجين اوفى من وسائل الحيوان السابق . فللكركند ، اقنية يندفع فيها السائل الحاوي للاكسجين ، ويصح ان ندعوها اوعية دموية . وله قلب يدفع هذا السائل ، وله علاوة على ما تقدم ، وسائل خاصة يستطيع ان يتناول بها الاكسجين من ماء البحر هي نوع من الخياشيم التي نجدها في الاسماك . فالصدفة التي تغطي ظهر الكركند يتدلى منها ترسان تغطيان جانبي الحيوان من دون ان تكون ملتصقة بهما . فاذا ازيل الترسان رأينا تحتهما اجساماً تشبه الريش في بنائها . وكل ليف من الياف هذه الاجسام يحتوي على اوعية دموية في داخلها . فالدم الذي يدور في هذه الاوعية ، مفصول عن ماء البحر المحتوي على الاكسجين ، بغشاء رقيق جداً ، بنيت منه جدران الاوعية ، وتقيه الترسان من صدمات الاجسام الصلبة في البحر . فاذا جاء الدم من انسجة الكركند الى هذه الاوعية المكشوفة لماء البحر ، كان خالياً من الاكسجين فيمتصه من الماء الذي يحيط بجدران الاوعية ويعود الى الانسجة ليغذيها به

ولكن هنا شيء عجيب . ذلك ان الاكسجين تصعب اذابته في الماء . بل هو يختلط به بنسبة جزئين الى مائة جزء حجماً . واذاً فعلى الكركند ان يتناول قدراً كبيراً من ماء البحر لكي يستخرج منه المقدار الذي يحتاج اليه من الاكسجين . لذلك ابتدعت الطبيعة مادة كيميائية يسهل حلها في الماء ، فاذا حلت فيه ، سهل على الماء حمل مقدار كبير من الاكسجين . اي ان هذه المادة تسهل انحلال الاكسجين في الماء . ولهذه المادة صفة اخرى عجيبة . ذلك انه اذا وصل الدم الحامل للاكسجين الى انسجة الكركند ، تخللت هذه المادة عن الاكسجين الذي نقلته من الاوعية الجانبية — وهي بمثابة رئات لهذا الحيوان . وتدعى هذه المادة « هيموسيانين » وهي من مركبات النحاس . وهي تذكرنا بالهيموغلوبين الذي في دم الانسان ، ووظيفته امتصاص الاكسجين من

الرئتين وحمله الى الانسجة . ولكن اذا قرَّ الحيوان ولم يتحرك الماء حواله فقد الأكسجين من الماء الراكد ، فتعذر عليه الحصول على ما يحتاج اليه منه ، ولذلك ترى في الكركند جهازاً آخر كالمجذاف دائماً الحركة ، الغرض منه تحريك الماء ، بغية اقضاء الماء الذي نفذ منه الأكسجين ، ليحل غيره محله

فشكلة الحصول على الأكسجين في الحيوانات العليا ، تتمثل لنا في حياة الكركند فهي أولاً تجهز الجسم بعضو يستطيع ان يمتص الأكسجين (العضو الشبيه بالخيشوم في الكركند والخياشيم في السمك والرئة في الانسان) ثم جهاز آخر لنقل هذا الأكسجين من مكان امتصاصه الى كل جزء من الجسم ، ثم جهاز ثالث لتجديد المادة التي يؤخذ منها الأكسجين سواء كانت ماء في حالة الحيوانات البحرية او هواء في الحيوانات العليا التي تقطن اليابسة . وليس جهازا التنفس والدورة الدموية الا الوسائل التي ابتدعتها الطبيعة — مع تباين في درجة ارتقاؤها — لتحقيق هذا الغرض

والحشرات شبيهة بالحيوانات المفصلية الارجل (كالكركند) التي تعيش في الماء . ولكن الحشرات تعيش في الهواء ، وهي اقرب اتصالاً ، بالأكسجين . على ان الوسائل الطبيعية التي يستعملها الكركند لتناول الأكسجين من الماء وتوزيعه في الجسم لا تجد لها نفعاً . لذلك نشأ في اجسام الحشرات نظام آخر ، هو انابيب تمتد من سطح الجسم ، الى داخله حيث تتشعب فيه . ولكن هذه الانابيب ليس فيها جهاز ينفخ الهواء فيها او يخرجها منها . فاذا طالت الانابيب ، اي اذ كبر حجم الحشرة تعذر عليها التنفس . ولذلك ظلت الحشرات بوجه عام صغيرة الحجم ، لهذا السبب . وذبابه التنين من اكبر الحشرات ، ولكن جسمها ليس ضخماً ، فلا يقتضي انابيب طويلة ، لا تصلح للتنفس متى طالت

فاذا انتقلنا الى الحيوانات الفقرية ، رأينا كيف جهّزتها الطبيعة باوفى الاجهزة للتنفس . فالاداة الاولى اللازمة لتناول الأكسجين هي الرئة والرئة في الانسان عبارة عن اكياس صغيرة ، كل كيس منها مقسم الى خلايا او حبر صغيرة ، يدخلها الهواء بواسطة الاستنشاق . وفي جدران الحبر اووعية دموية دقيقة ، رقيقة الجدران تمنع الدم من اختراقها ولكنها لا تمنعه من امتصاص الأكسجين من الهواء في الرئة . وهذا البناء يعرض اكبر مساحة من دم الانسان للهواء حتى يمتص اكبر قدر منه يحتاج اليه

وتختلف طرق نفخ الرئة وتفرغها باختلاف الحيوان . ولكنها يمتدنان عادة بحركة عضلية يسيطر عليها الجهاز العصبي . فالضفدع تملأ فيها ماء ثم تطبق فيها وتسد منخارها ، فيجري الماء الى الرئتين ، وفيها يتصل الماء بالاووعية الدموية فيمتص الدم الأكسجين منه . ثم تفرغ رئتيها بفتح الانف

اما طريقة نفخ الرئة في الطيور وتفرينها فلا تزال الى حد ما لغزاً من الالغاز . ذلك ان رئة الطير ، ليست كرئة الانسان كيمساً قائماً عند نهاية انبوب ، كالفصبة في الانسان ، ولكنها عبارة عن رئات كثيرة صغيرة ، قائمة على جانبي انبوب . ويظن بعض العلماء ان الطير في اثناء طيرانه يستنشق الهواء ويزفره وفقاً لكل حركة من حركات جسمه ، تحدثها عضلاته . وهذا النظام يسهل على الطير الطيران مسافات طويلة من دون ان تلهث تعباً ، لان الاستنشاق والزفير في الانسان من اصعب الامور في خلال العدو السريع

اما الحيوانات الدافئة الدم ، فالدماع فيها مسيطر على حركة اعضاء التنفس شهقاً وزفيراً . فاذا كان التنفس عنيقاً ، حدث تغيير في تركيب الدم ، فتتأثر بذلك مراكز الدماغ المسيطرة على التنفس لتبطل الحركة العضلية الخاصة بذلك ، ويضعف التنفس . واذا كان التنفس ضعيفاً وحاجة الجسم الى الاكسجين غير كافية ، تغير كذلك تركيب الدم . فتتأثر بتغييره المراكز العصبية ، وتبعث بالرسائل العصبية الى العضلات الخاصة فيشتد التنفس ويسرع

بقيت كلمة نقولها عن الانسان . فقد ارتقى فيه الشعور بارتقاء الجهاز العصبي وقوى الشعور والادراك فيه هي اول ما يتأثر في جسمه ، بنقص الاكسجين في الدم . بل ان شدة احساس الدماغ بنقص الاكسجين بلغت درجة ، يصعب معها الاحتفاظ بالوعي من دون اكسجين ، اكثر من يضع ثوان . فليس في الرئتين من الاكسجين الا مقدار يكفي الانسان نحو دقيقتين وفي الدم مقدار يكفي مدى دقيقة واحدة . فاذا منع الانسان من التنفس تعذر عليه الاحتفاظ بوعيه اكثر من دقيقتين او ثلاث دقائق

وقد وصف احد الرحالين ، الغواصين على اللؤلؤ ، فقال انهم يغوصون ، ويظلون غائصين لا يتنفسون ، حتى يكاد الاكسجين كله ينفد من رئاتهم ودمهم ، ولا يصلون الى سطح الماء الا وقد اصيبوا بالاغماء ، فينتشلون ، ويلقون حيث التنفس سهل عليهم ، فلا يكادون يستعيدون قواهم بالتنفس السوي ، حتى يستعدوا لغوصه اخرى

ولا يخفى ان الانسان يجد في الطبيعة آناً وفي الحضارة آناً آخر ، ما يدفعه الى اختراق طبقات الجو ، او الى الهبوط في المناجم العميقة طلباً للفحم والحديد والذهب والماس . وهو في كلا الحالين يبلغ اجواء اكسجينها اقل من اكسجين الجو العادي الذي يعيش فيه ، فيحتاج الى زيادة العنف في حركة التنفس طلباً للاكسجين . فاحياناً يزيد الهيموغلوبين في الدم ، وهو المادة التي تمتصه من الرئتين وتحمله الى الانسجة . واحياناً يتضخم الصدر حتى تزداد مقدرة الانسان على الشهيق والزفير . وكل ذلك تلبية لداعي حاجة الجسم الى الاكسجين

الجوع والتاريخ

تلخيص عن ولز
لإسماعيل مظهر

للاشتغال بفلاحة الأرض واستغلالها أثر كبير في تكوين التاريخ الانساني . فان بدء استغلال الأرض وفلحها يعتبر فتحاً جديداً في تطور الحضارة . وللأشتغال بالزراعة تدرجات دقيقة وخطى تطويرية تكونت حلقاتها خلال ازمان طويلة ترجع الى ما لا يقل عن عشرين الف سنة على الاكثر وثمانية آلاف سنة على الاقل وقبل هذا التاريخ كان الانسان حيواناً من الحيوانات النادرة الوجود . كان الانسان من السوائم المفترسة ، لا يمتاز على بقية الحيوانات الا بميزتين : الاولى — انه كثير التنقل محباً للمهاجرة من مكان الى مكان . والثانية — انه يستخدم ادوات خاصة . وعلى الجملة كان متوحشاً ، يعيش في جماعات صغيرة ، قدرتها على التفاهم بالكلام لم تكن كاملة في الراجح . وكانت ملكيته تنحصر في الاشياء المنقولة دون الاشياء الثابتة ، وينفق كل حياته جاداً وراء الصيد طلباً للغذاء ، وتتعاقب عليه فترات طويلة لا تنسق فيها احواله فن فترة مفردة الطول يطوي فيها على الجوع والحاجة الشديدة ، الى اخرى ينعم فيها بالامتلاء وما فوق الكفاية . كان يتبع مسير الحيوانات وجولاتها التي تطلب فيها الغذاء ، او الهجرة انقاء تغاير الفصول . كان حراً . وكان محتاجاً . حياته اذن كانت محوطة بالخطر الدائم . مدخولة بالمخاطر التي لا بد منها

انتقل الانسان من هذه الحالة الى حالة اخرى ينتج فيها طعامه ويحفظه للحاجة . بدأ أولاً بابلاف قطعان من بهائم الانعام التي يصيدها ، ولا يكثر للبقاء في مكان اللهم الا حيث يجد حبوباً او جذوراً او ثماراً يكتفي بها عن اللحوم . غير ان جولاته في الصيد كانت تقتيد حينذاك بوجود المراعي التي تغتذي بها قطعانه التي ألّفها ، بانتظار الغلة مما زرع . ثم تكاثرت لديه الادوات وتعددت الوسائل . فكان ذلك سبباً في ان يتكاثر الانسان في بعض البقاع تكاثراً لم يعرف من قبل ثمانية آلاف خلون من السنين . بل بلغ تكاثره حدّاً لم يفقه فيه اي نوع من انواع القرود العليا . فبنى البيوت وحاز الاملاك . وتبدل من السعي وراء الغذاء بالصيد ، حالة استقرار اشتغل فيها بالزراعة مستهدياً بتعاقب الفصول ينتج غذاءه بعرق جبينه . وخزن الطعام . وهنا بدأ الانسان طور العمل وبدأت مشكلة العمل تأخذ صورها البدائية . فن وجبات كانت تأتي عفواً وبحسن الطالع حيناً ، وبالمخاطرة والمغامرة حيناً آخر ، وقت الانسان وجباته ونظمها . وكان هذا طور انتقال عظيم الاثر في تاريخ الحضارة . فان الانسان قد انتقل فيه من حيوان يعيش عيش المصادفة والاتفاق ، الى حيوان «اقتصادي» نظيم الحياة

والانسان هو الحيوان الوحيد من بين ذوات الثدي - Mammalia - الذي خطا هذه الخطوة الكبيرة . فان تاريخ الطبيعة لا يدلنا على حيوان من ذوات الثدي استطاع ان يجتاز هذه المفازة المخيفة من مفاوز الحياة . فالقندس - Beaver - يبتني ويخزن والسنجاب يؤلف قطعاناً وجماعات ، والكلاب تدفن العظام . ولكن لا يجب ان ننسى ان هذا ليس بكاف لتنظيم الحياة على الصورة التي استطاعها الانسان . اما الحشرات فقد سبقت ذوات الثدي في هذه الناحية وحياة النمل والنحل وتكوينها جماعات تعاونية رشيدة ، لا أسمى المثل التي نضربها

وقبل ان يأخذ الانسان بعادة الاستقرار ، غشيه عهد التنقل والتجوال ، فخطوه الاشفاق والوجل وعضته الحاجة بنابها السام . مرت بالانسان كل هذه الاطوار قبل ان يضع نظام العمل المنتج . ولقد بدأ العمل في عهد الانسان الطّراني القديم - Paleo-lithic ولكنه كان عملاً بالصدفة وللمجرد التسلية . فكان يكب على عمل الادوات التي تلمزمه حيناً بعد حين ، ولكنها كانت تُجَبَّلُ بأيدي الذين يحتاجون اليها عادة . وعكف على دبغ الجلود . وانصرف البعض الى الصيد ، كما تفرغ غيرهم الى العناية بالنار يذكونها بالوقود لثلاً تسخّبوا . فان من اكبر الكوارث التي كانت تنزل بالانسان في ذلك العهد العهيد ، ان تحبوا ناره . ويذهب بعض ثقافة الباحثين ان جماعات الانسان الاولى كانت تعمد الى فئة منهم بمخدمة النار ليكونوا مسؤولين عنها . ومن ذلك انحدر الينا بعض الطقوس التي لا تزال مقدسة في بعض الاديان . والغالب ان عبادة النار طرف موروث من هذه العادة القديمة . وبالجملة نريد ان نقول ان في العصر الذي اتخذ فيه الانسان الصيد وسيلة لمعاشه ، لم يكن هنالك من نظام للعمل على ما يفهم من معنى العمل الدوري المنتظم المرهون بظروفه اي العمل كما نفهمه الآن

على ان اكثر العمل المضني الذي كانت تحتاج اليه الجماعة كان من نصيب النساء . فان الانسان البدائي لم يكن يفهم للشهامة ولا للنخوة او النجدة معنى . فكانت الجماعة اذا عزمت على الانتقال من مكان نزلت فيه ، حمل النساء والشابات كل ما يوجد من المتاع ، ومشى الرجال بغير شيء الاّ اسلحتهم وهم على استعداد لدفع الطوارىء . ولا شك في ان العناية بالاطفال كانت ايضاً من نصيب النساء كانت هذه الحالة سبباً في ان يذهب البعض الى القول بان النساء كنّ اول من بدأ في فلاح الارض وهذا المذهب لا تنقصه المرحجات الكثيرة . فان جمع الحبوب ومواد الاكل الخضرية كانت من عمل النساء ، لان الرجال كانوا يخرجون دائماً في جولاتهم الطويلة للصيد والقنص . ولا يبعد ان يكون النساء هنّ اللاتي لاحظن ان الحبوب تنمو في الامكنة التي كانت من قبل مخيمات لجماعات آخر ، يكونون قد بذروا الحبوب على وجه الارض قرباناً لآله من الآلهة عسى ان يعوّض عليهم ما بذروا اضعافاً تعد بالمئات . وعلى هذا لا نشك في ان اول طور من الاطوار التي تدرجت فيها الزراعة ، كانت عبارة عن استلاب محصول بذره الغير فان الجماعات التي كانت لا تزال في طور « الرعاة » - Pastoral - يرجح ان يكونوا قد زرعوا ، ليحصدوا اذا اتقلبوا راجعين الى مكانهم الاول . وليس مما يبعد

احتماله ان يكون بين عادة التضحية بالنفس البشرية والبذار ، علاقة بدأت منذ ذلك العهد الذي عكف فيه الانسان على استلاب المحاصيل الزراعية التي كانت تترك ليطم نضجها . فان انساناً كان يُدبح ويترك حيث كان البذار ليحرس الزرع حتى يعود اصحابه اليه . ويغلب ان تكون الزراعة قد بدأت في قطع صغيرة من الارض تفلحها النساء بايديهن . فكانت مصدراً إضافياً للغذاء . والمرجح ان الزراعة لم تصبح شيئاً ذا بال في حياة الجماعات البدائية ، الا تحت تأثير ظروف استثنائية

وأنه ليسهل عليك ان تتصور كيف ان الانسان البدائي قد لاحظ الفائدة من الزرع في الاراضي التي ينتابها الفيضان في ازمان دورية من السنة . فانهم كانوا يبدون مادة عيشهم في الماء قبل انحساره تماماً ، فيجدون انه ارتد اليهم اضعاف ما كان بين ايديهم . ويقول الاستاذ « اليوت سميث » ان الزراعة النظامية باعتبارها حاجة لاسلوى وعبثاً ، بدأت في مصر . والحق أنه لا يوجد على ظهر الكرة الارضية بقاع من الارض اكثر ملاءمة من مصر لتعليم الانسان ضرورة الزرع في ازمان دورية . والراجح ان الزراعة النظامية بدأت في اراض كانت تنتابها الفيضانات . ومن هنا لا يصعب على الانسان ان يفكر في الوسائل التي يكرر بها فعل الطبيعة . فالطبيعة تغمر الارض بالفيضان ، وهو يغمرها بطرق الري الصناعي بيد انه لا يجب ان يغيب عنا ان الزراعة ليست حضارة . فان زراعة الحنطة قد ذاعت الى شواطئ المحيط الاطلانتيقي — بحر الظلمات — والمحيط الهادئ ، بانتشار الانسان الظّراني الحديث — Neolithic — ويرجع ذلك الى ١٥٠٠٠ او على الاقل الى ١٠٠٠٠ سنة قبل أن تبدأ الحضارة في ان يكون لها وجود حقيقي . ذلك لان الحضارة شيء اكثر من العكوف على زرع الحنطة في ازمان دورية . انها عبارة عن استقرار جماعة من الناس في بقعة ما يمتلكونها ويزرعونها على التوالي . جماعة تعيش مستقرة في مشيدات تأهل بهم ، فتكون مدينة او قلعة ، ويكون لهم فوق ذلك اصول من العرف او القانون تجري عليها المعاملات

ان اول الاشياء الضرورية التي احتاج اليها الانسان الطّراني الحديث ليستقرّ استقراراً تامّاً في مكانٍ ، بعد ان كان استقراره مرهوناً بكثرة الارزاق ، كان من غير شك نبعاً زوّده بحاجته الدائمة الى الماء ، ووجود العلف الكافي لبهائمّه ، والغذاء اللازم له ، ثم وجود المواد التي يشيد منها مساكنه . كان من الواجب لكي يستقر ان يجد كل الاشياء الضرورية على مدار الفصول ، بحيث يُكفي الحاجة التي تلجئهُ الى التجوال . ولا ريبه في ان هذه الضرورات كان من الممكن ان يحصل عليها الانسان البدائي اذا ما هبط اي وادٍ من وديان اوربا او آسيا التي تجري فيها الانهار . وفي مثل هذه الوديان استقرّ الانسان منذ ازمان موعلة في القدم ، كما نستدل على ذلك بقدم مساكن البحيرات في سويسرا غير اننا لا نقع على بقاع اجتمعت فيها هذه الظروف ، فكانت اكل او اشد ملاءمة مما هي في مصر وما بين النهرين — دجلة والفرات — وعلى شواطئ الخليج الفارسي

في هذه البقاع ينابيع للماء لا تغيض . وقوة الاشعة التي ترسل بها الشمس مما تحتمله الاجسام البشرية . ناهيك بغلات تكاد تكون محققة النتائج عاماً بعد عام . ويقول هيرودوتس ان الحنطة كانت

تغل للمزارع مائتي ضعف ما يبذر ويذكر بلنيوس انها كانت تحصد مرتين ، ثم تكون بقاياها علفاً للاغنام . وكانت تلك البقاع غنية بالنخيل وكل صنوف الثمار الاخرى . اما مواد البناء فصر غنية بها والوسائل كثيرة . وما بين النهرين تكاد تعدل مصر من هذه الوجهة

وفي مثل هذه البقاع يمسك الانسان عن التجوال ويستقر من غير ان يفكر فيما يمكن ان تحيىه الاقدار . وقد يتكاثر النسل ويلهي الناس التكاثر حتى يخيل اليهم ان كثرتهم دريئة لسكل خطر يأتي من ناحية الغزو الخارجي . ولقد تكاثر الناس في هذه البقاع فعلاً حتى بلغ عددهم مبلغاً لم يبلغ مثله في أية من البقاع الاخرى وعلى مدى تاريخه الماضي . وعني الانسان بسكنه فاصبح امعن في المادية وانقرضت الحيوانات المفترسة من مساحات كبيرة من الارض ، وزاد الامن على النفس ، فاعتاد الناس ان يمشوا في الطرقات وفي خلال المزارع غير مثقلين بالسلاح شأن اسلافهم ، وبدأ السلام بين الناس ان يكون ضرورة ، فسالوا . وباجلثة فان الانسان في هذه البقاع قد امتدت جذوره أكثر مما امتدت في اي بقعة اخرى من الارض

وكانت مصر وما بين النهرين اصلح البقاع وأكثرها ملاءمة لاستقرار الانسان . على ان جغرافية هذه البقاع قد تغيرت عما كانت عليه منذ سبع آلاف سنة مضين . فان وديان البحر الاحمر ووديان شرقي البحر المتوسط ، كانت مغمورة بالمياه في ذلك الحين . ولكن شواطئ بلاد العرب ، وعلى الاخص الجزء الجنوبي الغربي منها ، كانت أكثر خصباً مما نعرف في كل ما تبع ذلك من العصور . وكان البحر الاحمر يتصل ببوغاز طبيعي بالبحر المتوسط ، كما ان الخليج الفارسي كان أكثر امعناً في الامتداد الى الشمال

في الوقت الذي بدأ الانسان يستعمر فيه وديان الانهار العظمى ، كانت تتكوّن في بقاع اقل خصباً وارقّ حالاً وأكثر بعداً عن الملاءمة لحياة الاستقرار ، كغابات اوربا الواسعة العريضة ، والصحاري العربية ، وسهول آسيا التي ما كانت الطبيعة تجود عليها بخير أكثر من انها تصبح مراعى صالحة خلال ادوار معينة من السنة — كانت تتكوّن جماعات من الناس اقل عدداً ، ولكنهم انشط وأشجع وأصبر على المشاق ، نشأوا من سلالات تختلف عن السلالات المتحضرة ، فكانوا الذين ندعوهم جماعات البدو البدائية . وعلى الضد من الجماعات التي استقرت وعكفت على الزراعة ، كان هؤلاء البدو يعيشون في اباحة من عرف الحضارة مروّعين مخاطرهم بأنفسهم وبأموالهم وأولادهم . كانوا بالقياس الى الاولين تخاف الاجسام جوعى . ما يجمعهم شيء بقدر ما يجمعهم التعاون على الصيد . وما يحفزهم الى الحرب مع جيرانهم الاّ رغبة الحصول على المراعي ليسدوا من قطعانهم رمقاً ليس من دونه شيء الاّ الموت . ولقد يحدث ان ينتقل اليهم اسلوب عمل السلاح واستخدام المعادن الذي استكشفه المتحضرون ، فيزدادون قوة وفروسة . وبذلك انتقلوا بجهد المتحضرين من العصر الظّراني الحديث

Neolithic الى العصر البرونزي — Bronze Age — فاشتد بهم السعي للقتال وألحت عليهم الرغبة فيه ، لما ان ارتقى سلاحهم فأصبح امضى وأقتل . ناهيك بأنهم كانوا خفاف الحركة سريعي الانتقال لما ان حفزتهم الحاجة الى ان يكونوا اخف وأسرع ، فكانوا

على انه لا يجب ان يخيّل اليّنا ان حالة البدو طور ضروري يجب ان يسبق حالة الاستقرار والتحضّر . فان الانسان لم يكن بدياً الاً حيواناً بطيء الحركة والانتقال يتبع صيده ويمضي الى غذائه على قدر الحاجة . ثم اختلفت الطرق . فزعت جماعات الى ترك عادة الانتقال بته فاستقرت وتحضرت ، وجدت اخريات الى زيادة السرعة والتنقل فكانت بدواً رحلاً . وأخذ المتحضرون يعتمدون في حياتهم على الحبوب لتكون غذاءهم . وعمد البدو الرحل الى اللبن ليكون رأس غذائهم . وبهذا رى ان اختلاف اسلوبي الحياة انتهى بتقيضين

ولم يكن من مفر ان يتصادم النقيضان ، المتحضرون والبدو ، وان يظهر البدو للمتحضرين في ثوب برابرة اجلاف ، وان يظهر المتحضرون للبدو في لباس الليونة والحنث ، فيتخذون منهم مرعى خصيباً ومورداً للسلب والنهب . فكانت نخوم الحضارات الناشئة مسرحاً للغزو المتتالي والصدام الدائم ، بين قبائل البدو والقبائل الجبلية من ناحية ، وبين المتحضرين الذين هم أكثر عدداً ، ولكنهم اقل في الطعان جلدأ

ولم تتجاوز هذه الحال ان تكون مناوشات او غزوات على التخوم . فان المتحضرين كانت لهم غلبة العدد . وكان البدو يغزون ليسلبوا ، اذ لم تكن الاقامة في مستطاعهم . وهذا التناوب المتبادل قد يستمر على ما صورنا اجيالاً عديدة . ولكن لا تلبث الحال على هذا طويلاً ، حتى يبرز في الميدان زعيم (او قبيلة) من خلال هذه القوضى المستحكمة في حياة البدو ، فيكون اشد عزمأ واصلب عودأ فيفرض عليهم بنفوذ قبيلته ان يدينوا بالاتحاد لقوته . فاذا دانوا له ، فالويل اذن لا قرب حضارة تتجه اليها انظارهم . ينقضّشون عليها كالسيل المزبد ، ويحتاجون السهول المذلة المسالك المجردة عن السلاح ويبعدون حرباً للغزو والاقامة ، فبدلاً من ان يحملوا بعد الغزو سلاحهم وغنائمهم ، يستقروا في الأرض المغزوة ، وتصبح برمتها لهم غنيمة وسلباً . ويرتد اصحاب الارض من المتحضرين عبيداً يدفعون الجزية او قطاع اخشاب او حمألى ماء ، وينقلب البرابرة الاجلاف ملوكاً وامراء واسياداً لهم صفة الارستقراطية والسُّبُل . ثم يأخذون في التحضر ويتعلمون من المهزومين المغلوبين على امرهم الفنون واساليب الترف التي يعكف عليها عبيدهم المتحضرون ، ثم تمتد الرّالة الى اجسامهم ، ويعرف الشعب طريقه الى بطونهم ، ولكنهم يظلون اجيالاً عديدة حائزين لكثير من صفاتهم البدوية كما كفين على الكثير من عاداتهم القديمة ، فيخرجون للصيد ويزاولون الالعاب الرياضية ، فيركبون الخيل او يستبقون بالمركبات ، في حين انهم ينظرون الى العمل وعلى الاخص الى الزراعة ، نظر من يؤمن بأنه نصيب المغلوبين ومن حظ السلالات الدنيا والطبقات السفلى في المجتمع

النيل في العهد الفرعوني

جغرافيته . فيضانه . مقاييسه

للككتور حسن كمال

النيل أطول أنهار القارة الافريقية وثاني أنهار العالم طولاً . وهو يروي الجزء الشمالي الشرقي من إفريقيا مبتدئاً بأقليم خط الاستواء عند منطقة البحيرات ومنتهياً عند البحر الابيض المتوسط . ويبلغ طوله ٣٤٧٣ ميلاً . وكان له عند قدماء المصريين عدة أسماء منها « حعبي » وهو اسمه المقدس . وقد ظلَّ هذا الاسم يطلق عليه حتى زوال الوثنية ومنها « البحر الكبير » او (أور) وقد استعمل كثيراً في العصور المتأخرة وفي العهد القبطي . اما في الكتاب المقدس فقد ورد اسمه « يور » ومعناه « نهر » . اما اليونان والرومان فسموه « نيلوس » . ولما أتى العرب أطلقوا عليه اسم « النيل » او « نيل مصر »

وقلما تجد بين كائنات هذا العالم ما أثر في نفس الانسان وانضى تفكيره واذكى خياله مثلهما أثر نهر النيل في سكان واديه . ويظهر من الآثار ان قدماء المصريين عرفوا مجرى هذا النهر من البحر الابيض المتوسط شمالاً الى ملتي النيلين الازرق بالابيض جنوباً . ولا يبعد انهم عرفوا أيضاً مجرى النيل الازرق حتى منبعه ومجرى النيل الابيض حتى بحر الغزال . ثم وقفت في وجوههم منطقة السدود فعجزوا عن الوصول الى اقليم البحيرات . والمعلومات التي اكتسبها هؤلاء القوم اخذها عنهم الفرس واليونان . اما هيردوتوس (حوالي ٤٥٧ ق . م .) فقد تتبع مجرى النيل حتى الشلال الاول وكان يظن ان منبع النيل عند بحيرة (تشاد) . ورسم اراتوستينيس Eratosthenes امين مكتبة الاسكندرية عام ٢٥٠ ق . م . خريطة لوادي النيل قريبة من الصواب تبين مجراه حتى موقع الخرطوم ورسم أيضاً نهري العظيرة والنيل الازرق . وكان اول من أشار الى وجود بحيرات استوائية كمنبع لنهر النيل

فلما جاء عام ٢٠ ب . م . كتب يوبا Juba الثاني ملك موريثانيا في كتابه المسمى Libyca — وقد اورد ذلك بليينيوس في كتاباته — ان نهر النيل ينبع من بلاد موريثانيا الغربية بالقرب من المحيط من بحيرة حيواناتها تشبه حيوانات النيل . ومن ثمَّ يتخذ النهر مجرى تحت الارض بضعة ايام حتى يبلغ بحيرة اخرى مماثلة للاولى في اقليم موريثانيا القيصرية . بعدها يستمر سائراً في مجراه تحت الارض مدة عشرين يوماً حتى يصل الى منبع يقال له نجريس Nigris على حدود افريقية واثيوبيا . ثمَّ يخترق

اقليم إثيوبيا حيث يسمى باسم استابوس Astapus . وقد استرعت هذه النظرية عناية كثير من الباحثين ولا يبعد أنها كانت سبباً في النظرية القائلة بأن نهر النيجر فرع من النيل وصعد استرابون في النيل حتى اسوان (وكان معاصراً للملك يوبا السالف الذكر) وقال ان الباحثين الاقدمين عزوا فيضان النيل الى الامطار الصيفية التي تهطل على الجبال الجنوبية. وهذا الرأي اثبتته البعثة التي ارسلها بطليموس الى تلك الاقاليم . وفي هذا الوقت ظهر رجل يوناني يقال له داليون Dallion قيل عنه انه تتبع مجرى النهر حتى النيل الابيض . وارسل نيرو بعثتين لاستكشاف نهر النيل وقال سنيكا Seneca ان رجال هاتين البعثتين وصلوا الى اقليم المستنقعات (وهو قسم النيل فوق الصوبات) . وفي ذلك الوقت ايضاً توغل التجار اليونانيون في افريقية حتى شاطيء زنجبار . وفي عام ٥٠ بعد الميلاد قدم تاجر يوناني من شاطيء افريقية الشرقي واخبر سوريا من طيرة يهتم بعلم الجغرافية يدعى مارينوس Marinus انه لما توغل في افريقية مسافة خمسة وعشرين يوماً بلغ اقليماً به بحيرتان كبيرتان وسلسلة جبال مغطاة بالثلج وان النيل يبدأ من هاتين البقعة . ولم نعرث للآن على رواية مارينوس نفسه انما عثرنا على ملخصها في كتاب بطليموس (راجع دائرة المعارف البريطانية : طبعة ١٤ مجلد ١٦ ص ٤٥٥)

الى هنا انتهى باختصار تاريخ جغرافية نهر النيل القديمة من اقدم العصور الى العهد المسيحي اما ما يتعلق بجغرافية قسمه المصري فقد سبق ان معنا الى ان قسمه الواقع بين الشلالات والقاهرة لم يتغير كثيراً على مرور الزمن

اما قسمه الشمالي للقاهرة فقد كان اولاً مغموراً بالبحر الملح ومتصلاً بالفيوم . وكانت الدلتا في تلك المدة حمأة مستوحلة فأخذ النيل يقذف طميه السنوي في هذا الجون حتى ملأها وكان تياره محولاً على الشاطيء الشرقي ثم اخذ يخترق له طريقاً في الجون وهو مستمر في جريانه الى ان صدم كشياباً من الرمال لا تزال آثارها باقية عند بنها . وكان كل ما اقتطعه من الشاطيء القاه في تلك الكشبان فيرسب ويتراكم بعضه فوق بعض حتى تكونت منه الدلتا ولذلك قال هيرودوتس عنها انها هدية النيل . ثم ان طمي النيل اخذ يتراكم الى ماوراء بنها وظل مستمر في رسوبه وامتداده حتى تلاقي برأس أبي قير فوقف عندها . ثم ان ذلك الطمي المتراكم اخذ يحف ويتجمد ويعلو شيئاً فشيئاً حتى نشأت عنه الاراضي وقد قدر علماء طبقات الارض المدة التي اخذ النيل يواصل بطميه مصر باكثر من ٧٤ الف سنة حتى أتم تكوين وادي النيل والدلتا معاً . قال ماسيرو ان هذه المدة مبالغ فيها لان الطمي كان سريع السير في المدة القديمة اكثر منه الآن

قال المرحوم كمال باشا في كتابه الحضارة المصرية القديمة — « أما فروع النيل الاصلية فكانت ثلاثة اولها الفرع الكانوي اي فرع أبي قير وكان يجري الى الغرب ويصب في البحر الابيض المتوسط بقرب أبي قير في النهاية الغربية من القوس السالف الذكر الذي كان يحدد خط الساحل . والثاني الفرع البيلوزي اي فرع الطينة وهو الفرع الشرقي وكان يجري في طول سلسلة جبال العرب ماراً بالنهاية



شكل ٣ - صورة لانموذج مجسم لافرع النيل في عهد بطلميوس في القرن
الثاني الميلادي عن صاحب السمو لاميير الجليل عمر طوسون
تصوير الدكتور حسن كمال



شكل ١ - صورة لانموذج مجسم لافرع النيل في عهد هيردوتوس . عن صاحب السمو
الامير الجليل عمر طوسون - القرن الخامس قبل الميلاد . تصوير الدكتور حسن كمال



شكل ٢ - صورة لانموذج مجسم لافرع النيل في عهد استرابون في القرن الاول
الميلادي - عن صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون . تصوير الدكتور حسن كمال
مقتطف يناير ١٩٣٤
امام صفحة ٥٣



الشرقية من قوس الساحل . والثالث الفرع السبتي أي فرع سمندود وكان يقسم المثلث المحصور بين فرعي أبي قير والطينة وبين البحر الابيض المتوسط الى قسمين متساويين منذ التي سنة تقريباً . ومبدأه من قرية تسمى (كاركاسو) او (كركسورا) كانت على مقربة من امبابه وعلى بعد ستة كيلو مترات من الجهة البحرية للقاهرة الآن . ولما ملئ فرع الطينة زال انقسام المثلث . وكانت تلك الفروع الثلاثة تجتمع في ملتقى يخرج منه رياحات وترع وجداول بعضها طبيعي والبعض الآخر صناعي . وكانت تارة تنسج وتارة تسدّ وطوراً تفتح واحياناً تنقل ثم تنشعب الى عدة فروع تجري في اراضي الوجه البحري ويبقى فيها الطمي حتى أصبحت خصبة صالحة لانبات الزرع

قال هيردوتوس : للنيل قديماً سبعة افواه تعرف الآن بالاشايم وهي تصب في البحر الابيض فيما بين الاسكندرية واراضي الجفار . وذلك ان النيل كان يتفرع من جهة القناطر الخيرية الى ثلاثة افرع كبيرة احدها بحر الطينة وهو الشرقي وثانيها البحر الغربي يجري الى الرحمانية فينقسم الى فرعين وهو فرع كانوب وفرع رشيد وثالثها بحر الوسط يستمر الى اريب فيخرج من بحر موسى ثم الى سمندود فيخرج منه بحر ويش ثم يستمر الى المنصورة تقريباً فينقسم الى البحر الصغير وبحر دمياط فيكون مجموع فروع النيل سبعة وهي : —

الاول بحر الطينة: — كان كبيراً جداً وله فروع ويشق القليوبية والشرقية ويصب في البحر الابيض المتوسط عند مدينة الطينة . وكان عليه وعلى افرعه مدن عظيمة منها الطينة التي عرف بها البحر ومنها مدينة رمسيس فوق التربة الاسماعيلية وهي التي خرج منها بنو اسرائيل مع موسى عليه السلام ومنها مدينة القرما ومدينة القناطر من اسم قنطرة كانت على هذا البحر تمر عليها القوافل بين مصر والشام

الثاني بحر موسى : — والغالب انه بحر السردويس المعروف الآن ببحر صان وبالبحر المنديسي وهو بحر بمديرية الشرقية يتجه الى صان فيصب في البحر الابيض المتوسط من اشتوم ام فرج ببورسعيد وكان له معاطف وفروع كبيرة آثارها باقية الى الآن في الارض المسبخة

الثالث البحر الصغير : — يشق بلاد الدقهلية ويمرّ بأشمون وطناح والمنزلة وكان يصب في البحر الابيض المتوسط من اشتوم الديبة . والارض التي بين المنزلتين وبين هذا الاشتوم كانت تزرع وكان بها قرى عامرة ازالها عوامل الايام

الرابع بحر ويش : — كان يمرّ بمديرية الغربية ويصب في البحر الابيض المتوسط عند مدينة (بوتو) القديمة وكان بها معبد كبير لهذه المعبودة كانت تزوره الناس في كل سنة . وكان لهذا الفرع فروع مشعبة تمتد يمينا وشمالا . ولذلك كانت تلك الجهة خصبة ثم فسدت بعدئذٍ باضمحلال الفرع وصارت تلالاً وسياخاً . وقد سدّته واوصل بالبحر الشبيني وسمي ببحر بسنديلة

الخامس فرع دمياط : — يخترق الوادي الخصب الواسع ويصب في البحر الابيض المتوسط
السادس فرع رشيد : — يجري موازياً لجبل برقة جهة الشمال الى رشيد ثم يصب في البحر
الابيض المتوسط

السابع بحر كانوب : كان يشق مديرية البحيرة من اسفلها الى ان يصب في البحر الابيض المتوسط
بقرب ابي قير وكان له فروع من الجهتين وارض جيدة ذات مزارع وبساتين وكروم ومدن عامرة
منها مدينة مريوط التي اشتهرت قديماً بجودة النبيذ ومنها مدينة كانوب التي عرف بها هذا الفرع
وكان بها دير ومعبد تحتمي فيه الارقاء وكانت تحججه اغلب الناس . وكان في الشاطئ الآخر من هذا
الفرع حزاء مدينة كانوب مدينة اقدم منها تسمى بالينيوس اندثرت واشتهرت بعدها مدينة كانوب
ثم غرقت هذه ايضاً بسد ابي قير وصارت بحيرة ثم نضب ماؤها وصارت سباحاً . ولا تزال اطلالها
باقية الى الآن» (شكل ١ و ٢ و ٣)

وبديهي ان آراء المصريين الاقدمين عن منبع النيل كانت عرضة لكثير من التغيير . فقد
كانوا يتصورون اولاً ان النيل ينبع بين صخور منطقة اصوان واستمروا على هذا الرأي مدة
طويلة . لكنهم لما توغلوا في افريقية طمعاً في الفتوحات او اضطراراً الى الغزوات تبين لهم خطأهم .
ويظهر انهم لما يتسوا من معرفة منبع النيل الحقيقي نسبوه الى اصل سماوي واحاطوا هذا الرأي
بعده خرافات وخزعبلات . ومما ساعد على ثبات هذه الخرافات مكانة هذا النهر المقدسة عندهم وشدة
تبجيلهم له على مدى العصور . لذلك زعموا ان النيل يخرج من نيل سماوي في يومه الموعود وان
سبب فيضانه السنوي ان المعبودة (ايزيس) لما فقدت اخاها وزوجها وهو (ازوريس) بقيت مدة
من الدهر لا صديق لها حتى ان ذرية عبادها نسوا اسمها . وكانت في ١١ بؤونة من كل سنة تدمع
على زوجها دمعاً واحدة فتزل تلك الدمعة في النيل السماوي فتفيضه ويزداد به النيل الارضي ويسمون
ليلة زولها ليلة اللجة المنهمرة من دموع المعبودة الكبيرة (راجع فصوص هرم اواناس) ولا تزال
هذه الرواية متناقلة بين عامتنا الى يومنا هذا فتراهم يقولون بزول النقطة من السماء الى النيل ليلة
١١ بؤونه التي توافق ١٧ او ١٨ يونيه . وحينئذ يبتدىء فيضان النيل الذي هو في الحقيقة نتيجة
هطول الامطار على جبال الحبشة كل سنة ابتداء من يونيه الى سبتمبر . ومعروف ان هذه المياه
الغزيرة تقذف معها مقادير كبيرة من الغرين الذي يرسب على اراضي مصر والذي تولدت منه الدلتا
من قديم الزمان . ويقدر مقدار مياه الفيضان النيلي التي تمر بالنيل الازرق كل ثانية بحوالي ٣٥٠٠٠٠
قدماً مكعبة او تزيد وبالنسبة الى غزارة هذه المياه تجد مياه النيل الابيض محبوسة وقتئذ ولا تساهم
بنصيب يذكر في الفيضان

وعلى الفيضان النيلي تتوقف آمال الفلاح المصري القديم (والحديث ايضاً) لانه اساس دخل
الخزينة الفرعونية التي تعتمد على اموال الاراضي المنزرعة ومقادير الجبوب التي تصدر الى الاسواق

الخارجية. أثم ان الفيضان اساس نعيم الاهالي لان الوجه القبلي يكاد يكون عديم الامطار ولا يعتمد اهله مطلقاً على الامطار في مزارعهم. اما الوجه البحري فقليل الامطار، لذلك كان المصريون شديدي الاهتمام بأمر الفيضان حتى ألهّوا النيل ورسموه بشكل آدمي بين الذكر والانثى حاملاً فوق رأسه زهور البردي بدل التاج المصري. وكثيراً ما رسموا رسمين لمعبود النيل يقدمان لفرعون مصر قطري مصر العلوي والسفلي ممثلين في نبات اللوطس والبردي ويعملوها لفظة «الضم». وهذه الطريقة كانوا يزينون عرشهم مظهرين بذلك خصب القطر وغناه في عهد ذلك الملك

والفيضان الواطئ يعرف مرافق البلاد الاقتصادية كل العرقلة وقد وردت عدة قصص على الآثار للقيحط الذي حل بالقطر من جراء انخفاض الفيضان مما يشير الى عظم تأثير هذه النكبة في نفوس القوم وقتئذ. واهم ما ورد عن ذلك هو الشرح المدون على الحجر الصوان المعروف بحجر السبع سني القحط الذي اكتشفه المستر ويلبور الاميركي في ٦ فبراير سنة ١٨٨٩ اثناء مباحثه في مصر ثم ارسل نقوشه وصوره الى الاستاذ بروكس الاثري الالماني عام ١٨٩١ واليك ترجمة الجزء الاول من هذا الاثر: في السنة الثانية عشرة من حكم ملك مصر (زوسر) ارسل جلالته الى الامير (معدو) رئيس معابد الوجه القبلي والبحري ومدير قسم اصوان رسالة قال فيها — «انني اجلس فوق عرشي في بؤس وضيق. فقلبي متألم لما صدعت به بلادي من قلة فيضان النيل سبع سنين. فقد نفدت الحبوب والخضروات والمأكولات وكثرت السرقات والتعديات. فاذا هم القوم يمشون خائفين قواهم فالشبان يجرون اعضاءهم جراً. وقلوب الطاعنين يئست من الفرج. فعجزوا عن السير وسقطوا على الارض. وأمسكوا بطونهم بأيديهم تألماً وتضجراً من الجوع. اما وزرائي فقد عجزوا عن النصيحة وطرشوا. وأما المخازن ففارغة هالوة. وأما البلاد فخربة تعسة». (راجع مقالتي بالمقتطف عدد فبراير سنة ١٩٢٤ صفحة ١٥٢) هذا الوصف يظهر درجة القحط الذي اصاب القطر المصري في تلك العصور. ولكي اظهر للقاريء عظم الكارثة في مثل تلك الاحوال اورد هنا ما شاهده عبد اللطيف البغدادي اثناء اقامته في القطر المصري سنة سبع وتسعين وخمس مائة هجرية (راجع الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي صحيفة ٤٩)

«ودخلت سنة سبع (أي سبع وتسعين وخمس مائة) مفترسة اسباب الحياة. وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار واقحطت البلاد وأشعر اهلها البلاء. وهرجوا من خوف الجوع وانضوى اهل السواد والريف الى امهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد ايادي سبا. ومزقوا كل ممزق. ودخل الى القاهرة ومصر خلق عظيم. واشتد بهم الجوع. ووقع فيهم الموت. وعند

زول الشمس الحمل وبني الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبقر والارواث . ثم تعدوا ذلك الى ان اكلوا صغار بني آدم . فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون او مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل »

ومما يدل على الجهد العظيم الذي كان يبذله المديرون ايام انخفاض الفيضان ما ورد في مقبرة امنمعت (الاسرة الثانية عشرة ببني حسن) هذا تعريبه : —

« ولما حلت سنوات القحط هممت بنفسي وحرثت الحقول في حدود مديرتي من اقصاها الشمالي الى اقصاها القبلي وهكذا مكنت الخلق من المعيشة ويسرت لهم الغذاء فلم يوجد جوعان لدي واطعمت الارملة كما اطعمت المتزوجة ولم اميز في عطائي الابن البكر على سائر الاخوة بل كانوا جميعاً سواء امام عيني . ولما ارتفع ماء النيل (وحل الفيضان العظيم) كثر القمح والشعير وكل شيء فلم ارض على الناس بشيء من الزيادة لاحتفظ به لنفسي »

وهناك نصوص وردت بمقبرة رجل مصري اسمه (بابا) ولقبه (ابانا) بمدينة الكاب يرجع تاريخها الى حوالي زمن الاسرة الثالثة عشرة ترجمها المرحوم كمال باشا ومنها يستدل على عظم اهتمام كبار القوم بأهل بلدتهم وقت القحط الناجم من قلة فيضان النيل . واليك نصها : —

« كنت ذا قلب رؤوف لا آلف الغضب . ولذا اكرمني المعبودات بالخير الجزيل في دار الدنيا وكان اهل بلدي وهي الكاب يهنئونني بالصحة والسلامة . وكنت اقتص من المسيئين . ورزقت من الاولاد مدة حياتي باثنين وخمسين ولداً (بين ذكر وانثى) وكان لكل واحد منهم سرير وكرسی ومائدة وكانوا يأكلون كل يوم ١٢٠ هنّا من القمح والحبوب . وكانت لهم ثلاث بقرات حلوبة و ٥٢ رأس من الماعز وثمانية حمير . وكانوا يحرقون من البخور ما ينوف على الهن (مكيال مصري قديم) ويصرفون من الزيت ملء زجاجتين . فان ناقضي احد وطن انه اخجوة فأشهد المعبود (مونت) على ما قلته من الحق . وانني احضرت جميع ذلك في بيتي . وكنت اعطي اللبن الرائب في قدر والبوظة في قدر طويل ضيق الرأس يعرف بالدلق بمقدار يزيد على الهن . وجعت قمحاً كثيراً محبة للمعبود الطيب (اي الملك) . وكنت متيقظاً وقت الزراعة في السنين المخصبة . فلما حصل القحط مدة سنين كثيرة كنت اعطي القمح لاهل المدينة في كل مجاعة »

من ذلك يتضح ان لفيضان النيل تأثير كبير في نفوس القوم لأن سعادتهم ووجودهم في هذا الكون يكادان يعتمدان عليه بخلاف الحال في البلدان الاخرى التي تعتمد على الامطار في مزارعها

وقد تمكن المصري على مرور الزمن من معرفة مقدار محصول القطر بوجه التقريب من مقدار فيضان النيل فكان يجهز الاراضي الممكن زرعها ويتخذ العدة لذلك قبل زوال الفيضان . وهذا الاهتمام بالفيضان هو الذي اذكي فيهم الحمية لايجاد طريقة لقياسه فابتكروا مقاييس النيل وسجلوا ارتفاعات الفيضان على مدى العصور وشادوا في كل جهة من جهات القطر الرئيسية مقياساً تتبعوا به يومياً حالة الفيضان من حيث الارتفاع والانخفاض . وكانوا لا يسمحون للمياه ان تدخل الترع والرياحات الا اذا بلغ الفيضان حداً معيناً وجرت العادة ان يصحب ذلك مهرجان تشترك فيه الناس وتقوم فيه بالعبادات والقربان لمعبوداتهم . لانهم اعتبروا كثرة المياه من علامات رضى الالهة وقلتها عارضاً لغضبهم كما يلاحظ ذلك في بعض نصوصهم . ولا يبعد ان يكون ارتفاع مستوى النهر وقت فيضانه الآن هو نفس ما كان عليه قديماً . لكن قاع النهر ومسطح الاراضي المزروعة عرضة دائماً للتغيرات فنجري النيل وقوة اندفاعه من جهة ورسوب الغرين على الاراضي الزراعية اثناء الفيضان من جهة اخرى يغيران كثيراً من منسوب الاراضي بالنسبة الى النهر على مرور الزمن . لهذا السبب فسر بعضهم عدم تناسب المقاييس المدونة على جزيرة اسوان مع حالة الفيضان الحالي حيث لوحظ ان اعلى العلامات القديمة هي الآن دون حد الفيضان الحالي بمسافة كبيرة

ومن اقدم النصوص التاريخية التي لها صلة بقياس النيل هي الواردة على حجر بالرمو الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الاولى على الارجح . وتوجد بدار التحف المصرية قطع صغيرة منه متممة للحجر الاصلي . وقد ورد على هذا الاثر اسماء ملوك كانوا يحكمون مملكة الوجه البحري (اي قبل ضمه الى الوجه القبلي في عهد الملك مينا) . ومدون مع كل منها اهم الحوادث التاريخية التي حصلت في عهده . وقد ورد ذكر ملوك آخر غير ملوك العهد السابق لعصر الاسر مثل الملك سنفرو (الاسرة الثالثة) وسحورا ونقركارع وغيرهم . ومن ضمن الحوادث المنقوشة على هذا الاثر مناسيب النيل التي بلغها فيضانه السنوي . وبفحصها يتضح ان ارتفاع النيل وقت الفيضان كان يتراوح بين ذراع وثماني اذرع عن مستواه المعتاد . وهذا المقدار يتفق مع حالته في العهد الروماني وحالته الراهنة ايضاً والمعروف ان المصريين كانوا يقيسون زيادة نيلهم بذراعهم المقدرة بأربعة وخمسين سنتيمتراً . فاذا بلغ اربع عشرة ذراعاً نادوا بحسن زيادته . ولعل المناداة الآن مأخوذة عنهم

ولضبط اعمال الميزانية والضرائب كان الوزير الجنوبي يقدم للملك تقريراً شهرياً عن المصروفات والابرادات يعاونه في ذلك رؤساء الاقلام وكبار الموظفين . ولما كانت الضرائب مرتبة على نتاج الارض وهذا ايضاً مرتباً بدرجة فيضان النيل كالمنا الآن كانت ترسل الى وزير الجنوب بلاغات رسمية عن حالة فيضان النيل (برستد)

عجائب التلفزة

عين صناعية لها شبكية من البطاريات

بشّر تنّا مجلة العلم العام الامريكية ببشرى ثلجت لها صدور الباحثين في المخترعات العلمية ، وهي أن فوجاً من المهندسين الاميركيين قد جربوا من عهد قريب صندوقاً صغيراً أسود ، مجهول التركيب ، كان موضوعاً على ركيزة مثلثة القوائم . وكان في رأس ذلك الصندوق ، الشبيه بالبرج ، عدسة ناتئة منه تتوّجا يحيل لناظره انه صندوق آلة تصوير شمسي . والواقع انه كان يحوي آلة تصوير فذّة في نوعها ، قضى مخترعها في اختراعها عشر سنوات كاملة . وهي اقرب الآلات الميكانيكية المصورة شبيهاً للعين البشرية . واسمها ايكونوسكوب اي منظار الاشباح ومخترعها الدكتور زوريكين Dr. Vladimir R. Zworykin . ويقال ان ذلك المنظار سيدتلّ العقبات التي ما زالت تحول دون بلوغ التلفزة الشأو العملي الذي ينشدها العلماء . فيتاح وضع طائفة من بطاريات عيون التلفزة بمجوار ميكروفونات الراديو في ميادين الالعب الرياضية ، وفي غيرها من محال الاحتفالات العامة الجليلة ، فتلقط توتاً مناظر الوقائع والاصوات الحقيقية ، وترسلها في الجو نبضات كهربائية ، فيستطيع كل من كان لديه تلفاز في داره ، وهو جالس بازائه ، التمتع برؤية الحوادث التي تقع على بعد أميال من سكناه

ولا غرو اذا أوشكت ان تتحقق نبوءات العلماء الاعلام الذين سبق أن تنبؤوا بذلك منذ سنين فقد تمّ الشطر العلمي من ذلك الاختراع « ولم يبق الا شطراه التجاري والمالي ، وما يلحقهما من المضلات الواجب حلها قبل بلوغ المرام . ولعل ذلك قريب ، فقد صرّح الدكتور زوريكين أن العين الميكانيكية التي اخترعها قد حلّت المضلات التي أبقت التلفزة في طور الاختبار العلمي حتى الآن ولكل من المزايا الثلاث لتلك العين الصناعية « الايكونوسكوب » شأن خطير في تقدم التلفزة واليك البيان : —

فالزيرة الاولى للايكونوسكوب ، خفته وسهولة نقله من مكان الى آخر فيتيسر للمرء حمله على عاتقه معلقاً بسير أسوة بجعله آلة تصوير الصور المتحركة المألوفة ، ولذلك يسهل نقله الى اماكن الحوادث وثاني مزايا الايكونوسكوب احساسه بالنور فيتمكن به المصور من تصوير الحوادث في ريعان النهار في المحترفات Studios كما يصورها في الخلاء ، ويرسلها في الاجواء

وثالث مزاياه كونه عيناً للتلفزة ، مجردة من الاجزاء الميكانيكية المتحركة ، خالية من الاقراص الدوارة والمحركات الداوية . وهذا مما لا يقيد سرعة الايكونوسكوب في التقاط صور الحوادث ولما كان احراز جميع هذه المزايا ، نتيجة اتباع القواعد الاصلية للتلفزة ، فلا مندوحة لنا عن

يراد تلك المبادئ فيما يلي لكي يسهل على القارئ فهم أحدث اختراع فيها
فاول قاعدة للتلفزة ، وضع الصورة في المرسل الكهربائي ، ثم تلقاها حالاً في مكان قصي وذلك
بالجهاز اللاقط . وكانت الوسيلة الاولى لذلك النقل بطارية السليسيوم ، ثم حلت محلها حديثاً اختراعها
الاشد احساساً منها بالضوء ، وهي البصاصة الكهربائية او العين الكهربائية . وتلك البطارتان
تحولان الضياء نبضات كهربائية تذاع اما بالاسلاك ، واما بالامواج الكهربائية اللاسلكية

فان اردنا استعمال تينك البطارتين ، لا بد لنا من تجزئة الصورة اجزاء ، يذاع كل جزء منها
نبضات كهربائية ، اما قوية ، واما ضعيفة ، بحسب ذلك الجزء ، نيراً كان أو معتماً . ويمكن ارسال
تلك النبضات توتراً الى الجهاز اللاقط حيث تحول نوراً كما كانت ، فيُعاد تكوين الصورة المنقولة

وأسهل اسلوب لاتمام تلك الغاية ، عرض الصورة المراد نقلها على لوحة ذات مربعات مكونة من
بصاصات كهربائية ، منسقة بعضها بجانب البعض ، ثم ارسال جميع النبضات الكهربائية التي تتولد من
تلك البطاريات الحساسة بالنور مرة واحدة الى مصابيح كهربائية مطابقة لها . (او توجيهها الى غلف
عدسات جهاز مربعات مشابه للنوع المتقدم موضوع خلف ستار الجهاز اللاقط) وقد نجح في هذه
الطريقة عالمان فرنسيان منذ سنة ١٩٠٦ فأرسلنا نماذج بسيطة من الصور بواسطة جهاز مؤلف من
٦٤ بصاصة كهربائية كل منها يتصل بغلاف العدسة التي في الجهاز اللاقط بواسطة سلكين . فان
أريد الحصول على صورة واضحة كاملة وجب توليد ٧٠٠٠٠ جزء مختلف على الأقل من عناصر
الصورة الاصلية ، النيرة منها والمعتمة ، كل جزء منها على حدة . ومن البديهي انه يستحيل نقل
مثل ذلك العدد الفاحش من النبضات في آن واحد لانه يستوجب استخدام ١٤٠٠٠٠ سلك من
الجهاز الناقل الى كل جهاز لاقط . ومن ثم نشأ مشروع اما استطلاع Explore الصورة واما Scan
تقصيها جزءاً فجزءاً من الوجه الى سائر الاعضاء ونقلها جزءاً فجزءاً بدلاً من نقلها مرة واحدة
وهذا لا يحتاج غير سلك واحد او مجاز لاسلكي مفرد

ولا مرء ان التجارب الحديثة في التلفزة ما زالت كلها قائمة على ذلك الاساس . وقوامه اقراص
دوارة مرصعة بعدسات او منقوبة ثقوباً بحيث يمر كل جزء من اجزاء الصورة المراد نقلها من ذلك
الثقب ، او يمر على عدسة احدي البصاصات الكهربائية ، نيراً كان ذلك الجزء او معتماً . فيتولد من
مرور الاجزاء على البطاريات الحساسة بالنور ، سلسلة من النبضات الكهربائية تذاع في الجو . وفي
الجهاز اللاقط تتحكم النبضات الكهربائية في الضوء الذي يجتاز مجرى ملاماً على ستار الالتقاط لكي
تعيد تكوين الصورة . وقد يتم ذلك العمل سريعاً بحيث ان ار شعاعه النور في الجهاز اللاقط
يصير صورة تامة وحيدة . وتكرر هذه العملية عدة مرات في كل ثانية من الزمن لكي تظهر
للناظر صوراً متحركة

وقد صادف مهندسو التلفزة من عهد حديث عقبة ، وهي عدم تمكنهم من تحسين الصور اكثر
مما هي عليه ، لان تحسينها يستوجب ادارة الجهاز المرسل اسرع من المعتاد لكي يحوي نقطاً مفردة

من نقط الصورة اكثر من المعتاد . اذ كانوا يعجلون ادارة آلاتهم بحيث لا تكاد تستطيع البصائت الكهربائية المثبتة في الاجهزة المرسله مجاراتها في التقاط كل جزء من اجزاء الصورة التي تدور أمام البصائت الكهربائية . ولذلك لم يتمكن العلماء من القيام بالتلفزة العملية الا في محرفاتهم بواسطة ضوء الشمس الباهر

ولئن فشل العلماء في اقتحام تلك العقبة التي خيل لهم استحالة التغلب عليها ، فقد اتى الدكتور زوريكين الفوز بأن يبد جميع الوسائل الحالية ، وعدل الى المبادئ الاساسية للتلفزة ، فبلغ ما كان يطمح اليه ، فاخترع عيناً ميكانيكية تعد معجزة في التلفزة . ونعني بها الايكونوسكوب ذا العدسة التي تعكس صور المشاهد على شبكية صناعية مثل شبكية العين الطبيعية . وهذه الشبكية العجيبة هي دعامة الاختراع كله . وتتركب شبكية العين الصناعية التي اخترعها الدكتور زوريكين من ملايين من البصائت الكهربائية الدقيقة متصلة بعضها ببعض كشبكة العين البشرية المكونة من مستقيبات ومخروطات لا تحصى ، مطابقة للضوء . وتلك البصائت من معدن يحس بالضوء ، يرسب فوق واجهة صفيحة رقيقة من معدن الميكا - الطلق - بتبخير المعدن في اثناء مفرغ من الهواء . ثم ان الغشاء المعدني المغشى به ظهر تلك الصفيحة الطلقية العازلة للكهرباء ، وكذلك الجزء المفضل من الانبوب المحتوي على الشبكية الصناعية ، يقوم مقام قطبي الدائرة الكهربائية ، فيمثلان العصب البصري في العين البشرية الذي ينقل ما تراه شبكيتها

ولكن بقيت امام الدكتور زوريكين عقبة اخرى وهي كيفية جمع العين الميكانيكية للنبضات من تلك البطاريات التي تعد بالملايين حتى تتكون صورة واحدة فرأى انه لا محيص له من الانتجاع قليلاً الى (طريقة الحملقة) فأتى له اختراع طريقة جديدة ، من كل الوجوه ، لتلك الغاية بأن وضع الشبكية في أنبوب من انابيب كروكس التي تولد الاشعة السلبية والتي تطلق شعاعة من الكهارب (الكترونات) على البطاريات الكهربائية الحساسة بالنور المختلطة بعضها ببعض^(١) . ولما كانت الشعاعة السلبية يمكن تحريفها من موضعها بالمغناطيس ، وضع الدكتور زوريكين ذلك الانبوب بين اربعة قضبان مغناطيسية كهربائية تحرك الشعاعة تحريكاً امامياً وخلفياً تجاه الشبكية الصناعية بمعدل عشرين ميلاً في الدقيقة فتمر على كل مصباح دقيق من مصابيحها عشرين مرة . وفي اثناء تحرك الشعاعة ، تشحن البطاريات الكهربائية الدقيقة الحساسة بالنور ، كلما تعرضت للنور . وكلما سطعت الشعاعة السلبية المتحركة على بطارية حساسة بالنور ، افرغت شحنتها الكهربائية كما تنطلق البندقية اذا تحرك نابضها . فتتولد من ذلك موجة او نبضة فجائية في جهد الدائرة الكهربائية المشتركة بين جميع البطاريات الحساسة بالنور

وعلى ذلك النمط تنتظر كل بطارية من ملايين البطاريات الحساسة بالنور ، دورها ، فتنتطلق في

(١) المقتطف : المستنط الاول لهذه الطريقة هو حسن كامل الصباح المهندس في معامل الشركة للكهربائية العامة باميركا . وقد استخرج بها « بانته » وذكر استنباطه هذا في مقال نشره المقتطف سنة ١٩٣٠ عدد مايو

الجو وتذيع ما التقطته من صورة المشهد الاصيل ، نوراً كان او قتماً فتؤلف الصورة التي يلتقطها الجهاز اللاقط من مجرى النبضات الكهربائية التي تذاع في الجو من الجهاز اللاسلكي المرسل وقد تتم تلك العملية عاجلاً بحيث يحدث التقصي في الصورة ٢٠ مرة في الثانية . وفي فترة الانتظار التي تنقضي قبل اذاعة الصورة في الجو ، تشحن كل بطارية حساسة بالنور شحنات كهربائية تفوق شحنتها بالوسائط الاخرى ألوف المرات ، اذ تكون البطاريات محمّلة في الصورة دائماً ، لا متغاضية عنها — ولذلك ترى (الايكونوسكوب) يعمل في الخلاء وفي داخل البيوت في اي نور مما كان يعتبر بالامس غير ممكن استعماله للتلفزة . فصار كل نور يستطيع به التقاط الصور بالفوتوغرافيا المألوفة ، صالحاً الآن للتلفزة

ولو سمعت ، اول وهلة ، شرح هذه القاعدة العويصة ، ثم رأيت الآلة نفسها ، لدهشت من خفتها وفائدتها وبساطتها وظيفتها . وقد سبق الدكتور زوريكين ان اخترع منذ عدة سنين تلفازاً للبيوت صالحاً لالتقاط الصور سماه Kinescope كينوسكوب ، قوامه انبوب من أنابيب الأشعة السلبية يشبه الانبوب المستعمل في الجهاز المرسل وانما يختلف عنه باستبدال الشبكية فيه بنافذة من مادة مضيئة تنار كلما صوبت اليها الشعاع السلبية . ثم ان قضبان المغناطيس الكهربائي تحرك تلك الشعاع تحريكاً مطابقاً له في الجهاز المرسل ، فيتم احداث التموج في الشعاع نفسها في اثناء ذلك بالنبضات اللاسلكية الآتية من الجو . فترى الشعاع المتحركة تنقضي الصورة متبعة اجزاءها النيرة والمعتمة التي تقع على النافذة النيرة في الانبوب . فان جلس امرؤ تجاه الآلة في داره ، ابصر صورة متحركة ، طولها نحو خمس بوصات ، وعرضها نحو اربع بوصات ، ان شاء كبرها ، والا ابقاها كما هي عليه . ويرى الحوادث القاصية كأنه يشهدها بنفسه . والعجيب في ذلك الجهاز خلوه ، من اوله الى آخره ، من اي جزء ميكانيكي متحرك حتى التيارات النابضة نفسها التي تحرك قضبان المغناطيس الكهربائي في الجهازين المرسل واللاقط ، فانها تتولد من ضرب من الانابيب المفرغة من الهواء . فلا بأس باستعمال اي تلفاز لاقط من التلافيز المصطلح عليها لالتقاط الصور من الايكونوسكوب ومنها الاشكال الحالية التي تلتقي بها الصور الكبيرة على ستائر المسارح اذن يسوغ لنا ان نتوقع بناء مسارح جديدة تعرض فيها على روادها ، حوادث العالم عند وقوعها ، بدلا من عرضها عليهم بعد ساعات او ايام بشرط السينما . وسيتاح بهذا الاختراع بلوغ التلفزة ، الى المنزلة التي تسهلها في البيوت والمحال العامة . ومتى تم ذلك سيوجد زمن كاف لانشاء وظائف اخرى لهذه العين الميكانيكية في زهني الحرب والسلم ، وفي عالمي الصناعة والعلم . كأن توضع تلك العين في عدسة ميكروسكوب قوي ، لم يصنع مثله حتى اليوم ، ثم تنار بشعاع من الاشعة التي فوق البنفسجية ، فتظهر عجائب لم يسع العالم رؤيتها الا بالفوتوغرافيا . وهذا الاختراع كغيره من المخترعات الخطيرة لا يمكننا الآن التنبؤ بما سوف يترتب عليه من المعجزات

السفن والملاحة بمصر

للركنور على مظهر

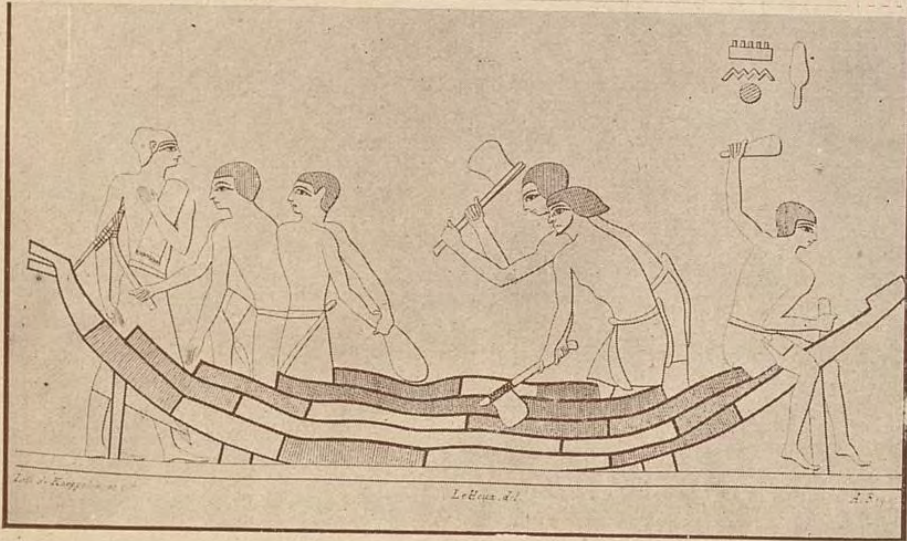
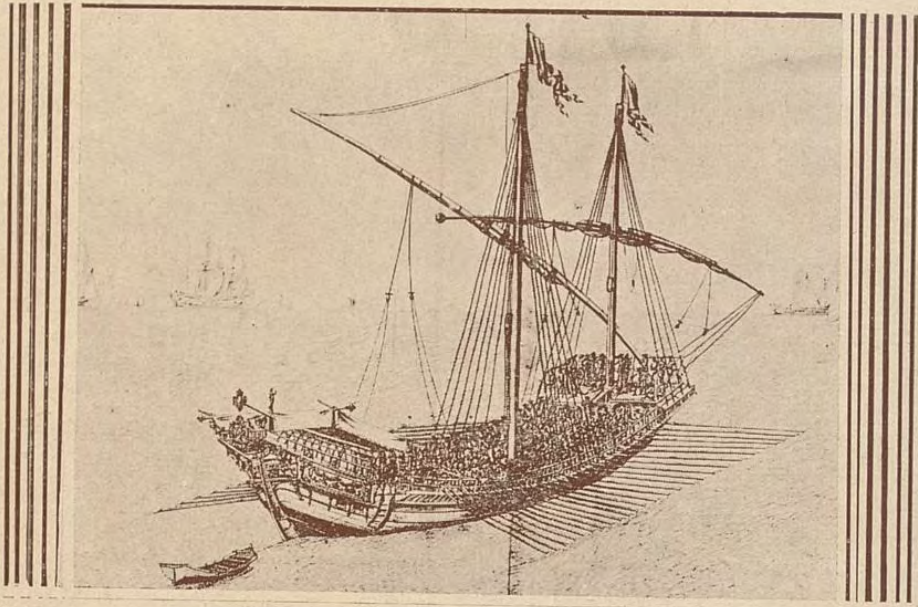
مصر القديمة

ان صح ما نقله المفريزي الينا في خططه (ص ١٩ ج ١) كان مصر ايم حفيد نوح هو اول من صنع السفن في النيل ولكن ذكر ان اول سفينة كانت ثلاثمائة ذراع طولاً في عرض مائة ذراع ونحن نرتاب في هذا الامر ونعتقد ان حجم تلك السفينة مبالغ فيه

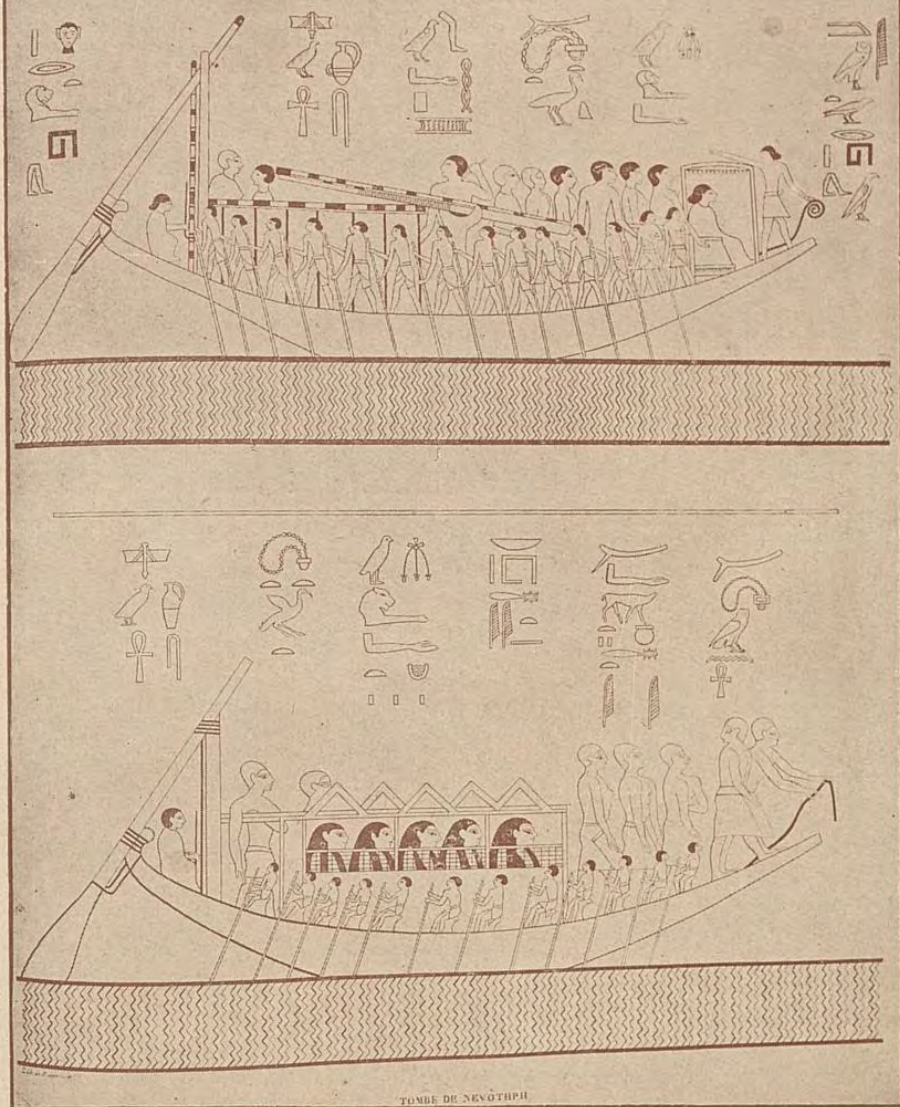
ويظهر ان سكان مصر في العصور القديمة كانوا يعنون ببناء السفن سيان كان ذلك في النيل او في البحار الماخلة وقد كان النيل هو اهم طرق المواصلات في القديم وربما كانت سفن النيل من اسرع هاته السبل واقلها كلفة ومشقة . كما ان سواحل مصر نفسها على البحرين الابيض والاحمر وسواحل البلاد التي افتتحتها كبلاذ الشام وغيرها وحاجة مصر الى نقل جندها الى البلد الذي تريد وحماية تلك السواحل والقيام على حراستها وحاجة مصر الى ان تكون على صلة تجارية او غير تجارية مع البلاد الاخرى جعلها تعنى ببناء السفن وصنع الاساطيل لما قدمنا من الاسباب

والزائر لآثار مصر الباقية يرى رسوماً عديدة لسفن تمخر البحار وقد رأينا كثيراً من ذلك في المقابر القديمة والبنائات التي تركتها لنا يد الحدثان وقد روى كثير من المؤرخين ان اول من صنع السفن بعد الطوفان هو « مينا » قبل الميلاد بنيف وخمسة آلاف سنة (١)

وكثر اختلاط قدماء المصريين بالأمم الاخرى لاسيما الفينيقيين الذين بزوا غيرهم في العصور القديمة في صناعة السفن وركوب البحر ولذا أخذ المصريون يتقنون صناعة السفن حتى وصلوا الى مكانة حسدوا عليها في تلك العصور . ولما اخضع فراعنة مصر فينيقية لسلطانهم زادت تلك الصناعة عندهم خطراً وكان اهل مصر كثيرهم يستعملون الشراع والمجاذيف في اسفارهم النيلية وكانوا يشدون القلاع على الصواري على هيئة المربع (وليس على هيئة المثلث كما يرى الآن) . واذا ما انحدروا من أعلى النيل انزلوا الشراع ونكسوا الصواري واستعملوا المجاذيف (٢) . وكانت السفن المعدة للبحار الملحقة تشبه السفن النيلية في الشكل والاستعمال ولكنها كانت اكثر صلابة واكبر من سفن النيل وكانت السفن تحمل الأحجار اللازمة للبناء كما كانت تسير الى بلاد العرب وبلاد الشام لنقل الاخشاب النفيسة والصمغ والعطور والذهب والفضة واللازورد والحجارة النفيسة والمتاجر كما كانت تسير لحمل الجنود المقاتلة وكثيراً ما فعلت وعادت منصوره . وقد ذكر عن حاتاسو ابنة تحوتمس الاول ثالث ملوك العائلة الثامنة عشرة بطيبة انها سارت لقتال بلاد « بون » وانها حاربت اهلها وانتصرت عليها وكانت هي أول ملوك مصر الذين قادوا الاساطيل في البحر الملح (٣)



صناعة السفن في عهد الاسرة الثانية عشر



TOMBE DE NENOTPH

سفن مصرية صنعت في عهد الاسرة الثانية عشرة



وترى صور تلك الغزوة البحرية على جدران مباني «القرنة» وقد صورت السفن تصويراً حسناً وقد ذكر ديودورس الصقلي ان رمسيس الثاني كان مهتماً بأمر البحرية المصرية فشيد جملة سفن في البحر الاحمر والبحر الابيض وبعث من القصير اسطولاً كبيراً به نيف وثلاثمائة سفينة حربية واستولى على سواحل هذا البحر وعلى جزره ومدنه وثغوره كما استولى على جزائر بحر الهند . وارسل اسطولاً ثانياً الى سواحل فينيقية فاستولى عليها وعلى كثير من جزائر بحر الارخبيل بعد ان هزم اليونان في عدة وقائع بحرية بينما كان يفتح الفتوحات الكثيرة في اواسط آسيا وافريقيا وروى البعض ان فتوحاته كانت اكثر من فتوح اسکندر المقدوني الشهير^(١)

وذكر ديودورس الصقلي ايضاً ان سيزوستريس انشأ في النيل سفينة كبيرة بلغ طولها ما يعادل ١٤٠ متراً . وذكر بلنيوس ان احد البطالسة انشأ سفينة في مثل هذا الطول وعليها اربعمئة بحار واربعة آلاف جندي ونحو ثلاثة آلاف جندي^(٢) وآثار المبالغة واضحة جداً فيه ولعله يقصد سفناً لا سفينة واحدة . وكانت القوة البحرية المصرية في عهد بطليموس الاول اكبر واعظم قوة في العالم البحري حينئذ (٢٩٣ ق.م) فقد كان في دار الصناعة نحو ٣٥٠٠ سفينة بين كبيرة وصغيرة حربية وتجارية وكان يعنى بالفنون البحرية وصناعة السفن وقد ارتقت الملاحة المصرية في ايامه واتسع نطاق التجارة العامة البحرية^(٣) . ويحتمل بنا ان نذكر عناية الملك نيخاوس الثاني (٦١٢ ق.م) فقد اعد اسطولاً لاستكشاف سواحل افريقية

واستخدم بعض الفينيقيين وامرهم ان يسافروا في البحر الاحمر من خليج السويس الى الجنوب وقيل انهم لبشوا زهاء ثلاث سنوات حتى جاؤوا الى رأس الرجاء الصالح وصعدوا شمالاً حتى بلغوا بحر الزقاق (جبل طارق) ودخلوا البحر الابيض حتى وصلوا الى مصر ورووا ما شاهدوه اثناء سفرهم وقد كانت هذه الرحلة من اخطر المشاريع البحرية شأنًا واحفها بالاطار في الازمان القديمة وكل من يطالع هذا الخبر يلحظه العجب من ان ملكاً من ملوك مصر كان يعيش قبل ٢٥٠٠ سنة يقوم بعمل كبير كهذا العمل وهو لم يتيسر الا لملوك البرتغال منذ ٤٠٠ سنة فحسب . ويظهر ان قوات مصر البحرية بالبحر الاحمر كانت اكثر منها بالبحر المتوسط . وفكر كثير من ملوك مصر مثل سيزوستريس ونيخاوس وبتليميوس الثاني وغيرهم في توصيل البحرين بحفر ترعة نيلية لجمع الاساطيل في اي مكان يحتاج اليه عند الضرورة . وقد ساعدت تلك الاساطيل مصر في فتوحها وغزواتها فقد امتد سلطانها على اكثر جزائر بلاد آسيا والبحر الاحمر وافريقيا وجزائر اليونان وسوريا

وقد ضربنا صفحاً عن شكل السفن ومعداتها في ذلك العصر القديم ومن اراد التوسع في ذلك فليراجع ما كتب في حقائق الاخبار في اوائل الجزء الثاني

مصر بعد الفتح الاسلامي

وجاء عمرو بن العاص الى مصر غازياً وفتحاً من قبل الخليفة عمر وقد تسنى لذلك الغازي ان

يستولي على بعض سفن الروم في واقعتي الاسكندرية ثم صرح الخليفة بركوب البحر فأخذ في صنع السفن في مصر على مثال سفن الروم

وقد رأينا عبد الله بن ابي سرح يخرج على رأس اسطول مصري مركب من مائتي سفينة لغزو قبرص (٢٨ هـ) ثم قاد اسطولا آخر في مثل هذا العدد المذكور (٣٤ هـ) في واقعة ذات الصواري التي انتصر فيها على قسطنطين بن هرقل وكان قد جاء في الف مركب يريد الاسكندرية فنصر الله عبد الله وقيل انها سميت غزوة ذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها وتسمى في كتب الافرنج بواقعة فونيكنته Phoeniconte البحرية لوقوعها بالقرب من فونيكة . وبعد هذه الواقعة ازدادت اساطيل الاسلام بسرعة حتى تمكنت اساطيل معاوية من فتح بوغاز غليمولي سنة ٦٥٥ م . ولولا النار الاغريقية اذ ذاك لتمكن معاوية من فتح القسطنطينية التي قصد فتحها سنة ٦٦٨ م بعد ان أعد لها عدته من الاساطيل . وفي عهد الخليفة المتوكل العباسي نزل الروم بدمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وامير مصر يومئذ عنبة بن اسحق فلكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وساروا الى تنيس فاقاموا باشتومها ولذا اهتم بأمر صناعة السفن للدفاع وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت غزاة للبحر كما كان هناك عسكر للبر

عصر الطولونيين والاختيد

وقد عني ابن طولون بأمر الاساطيل فزاد في بناء السفن وجعلها بالآلات والرجال وكانت دار الصناعة ايامه بحجزيرة الروضة . وكان ينشأ بها الحريات والشلنديات وغيرها من انواع السفن وصار لها بها الهيبة في قلوب اعدائه^(١) وذكر ابن اياس انه لما مات احمد بن طولون (٢٧٠ هـ) ترك الف مركب من سفن الحرب والشواني وقد عني بنوه بهذا الامر وانشأوا السفن للحرب وكانت لهم قوة بحرية ذات شأن وخطر حتى ان كانت ايامهم الاخيرة واخذت بحريتهم تقل قيمتها وتنقرض

ولم تكن عناية الاخشيديين بالسفن كبيرة ولذا طمع الروم في الاغارة على مصر وقد جاءوا الى دمياط عام ٣٥٧ هـ في بضع وعشرين سفينة فقتلوا واسروا مائة وخمسين من المسلمين واستمرت الاستهانة بأمر هذه الصناعة حتى زالت دولتهم بقدم الفواطم الى مصر

عصر الفواطم

اما عناية الفواطم بالاسطول فكانت كبيرة جدا وقد عني بها المعز لدين الله منذ قدومه لمصر وتابعه بنوه في هذا الطريق فقد كانت المراكب تنشأ بمدينة مصر والاسكندرية ودمياط واسعوا في النفقة على امراء السفن ومن ركب البحر وكانت السفن ايام المعز لدين الله نيفا وستمئة قطعة ولم تنقص في اواخر ايامهم عن مائة قطعة . وكانت لهم منظره يجلس فيها الخليفة لوداع الاسطول ولقائه على ساحل النيل الى جوار جامع المقس فكان يجلس الخليفة في تلك المنظره يستعرض الاساطيل ويوسم في العطاء لهم وما غنمه الاسطول فهو للغزاة لا يشاركون فيه احد الا ما كان من الاسرى والسلاح . وقد قلت العناية بالاساطيل عقب سقوط دولة الفواطم لهذا تجرأ الفرنجة على الدنو من مصر (تتلى)

اوربا بعد الحرب العالمية

فصل المأساة الاخير

١ — الثورة الروسية

كانت روسيا اقل الامم الاوربية الكبرى استعداداً لحوض غمار الحرب . ولكن البحث في الوثائق الرسمية اثبت أنها كانت البادئة في تعبئة الجيوش ، فاجتمع تحت ألويتها ما لا يقل عن خمسة عشر مليوناً من الجنود . وما لبث الجيش ان ادرك بعد سنتين من القتال ، ان الطبقة الحاكمة في روسيا ، عاجزة عن قيادة الجيش او تغذيته او تجهيزه بالملايس والدخائر . فكان طبيعياً ان يلتقي الجيش اللوم في خذلانه على القيصر . وكان ضباط الجيش لا يدرون ، ما يقع في القصور الامبراطورية بين سمع القيصر وبصره . ولو انهم عرفوا ما كان يعرفه الوزراء حينئذ ، لما غادروا قراهم للاشتراك في الحرب . وكان القيصر ، ضعيف الارادة ، مبيل الخاطر ، وكان لا يفقه ما قد يكون تأثير الحرب في روسيا . وكانت افعاله اليومية ، تسير بمقتضى اهواء القيصرة ، وهي امرأة غير منزلة ، تستهويها اللذة ، ويسيطر عليها الراهب راسبوتين . وكان راسبوتين فلاحاً من فلاحي سيبيريا يحمل على رأسه ندبة جرح ارأ لضرب مبرح اصابه لسرقته المواشي فأصبح الامر الناهي في البلاط الروسي وكان في نظر القيصرة نبياً يستطيع ان ينجي ابنها العليل ويمنحه الصحة والعافية . ولكن رجال البلاط عرفوا فيه ، رجلاً فاسداً منغمساً في اللذات . فلما ضاق الاشراف به ذرعاً ، دبّرت ضده مؤامرة ، قتل فيها سنة ١٩١٦ .

ثورة مارس سنة ١٩١٧

ولكن اغتيال راسبوتين لم يكن كافياً لاعادة الثقة ، الى الجنود الروس في صفوف القتال ، ولا الى العمال في مصانع الذخيرة . ولما تعددت حوادث الفساد والارتكاب ، فقد الجيش كل ثقته في الحكومة . وكانت طبقة الحكام تحس بقصورها وعجزها عن تنظيم البلاد — لموالة الحرب — ولكنها كانت مقيّدة بقيود التقاليد ، فلم تحرّك اصبعاً لتحسين الحال ، وتحويل الخيبة الى نجاح . فأخذ الجنود يفرون من الصفوف ، حتى ليقال ان نحو مليون جندي روسي ، فروا من الجيش في شهر يناير سنة ١٩١٧ واخذت نفقات المعيشة ترتفع في المدن ، حتى اصبحت طبقات العمال على وشك الموت جوعاً

واذا الثورة تنفجر في بتروغراد . كان اليوم — ٢٣ مارس — يوم النساء الدولي ، فاعتُمد النساء العاملات في العاصمة ، هذه الفرصة ، ليعلنَّ اضرابهنَّ . ولو ان الاضراب انحصر في النساء العاملات لقضي الامر بالقوة وبالحديد . ولكن العمال ، رأوا في اضراب العاملات دعوة لهم ، فلم تنقض بضع ساعات حتى اعلن في بتروغراد اضراب عام ، وحفلت شوارعها بالمشايخين . ودعي القيصر الى العاصمة فهرول اليها . ولكن العمال حالوا دون وصوله ، لانهم تصدَّوا لقطارهِ ومنعوه من دخول المحطة فاضطرَّ ان يعود من حيث أتى . وصدرت الاوامر الى جنود القوزاق بالهجوم على المضربين وتفريقهم ، ولكن القوزاق عطفوا على المضربين ، كأنهم وايامهم على اتفاق . ثم دعيت فرقة المشاة لاطلاق النار على الجماهير . فرنَّت اصداء طلقات متفرقة في الفضاء وقتل بعض المشايخين . ولكن فرقة المشاق نفسها كانت تنفذ بعض الاوامر الصادرة اليها متلكئة . ولم تمض عليها فترة حتى انضمَّت الى المضربين في الهجوم على مراكز البوليس . فلما كان اليوم الثالث من ايام الاضراب كان العمال قد اصبحوا اسياء بتروغراد . وكانوا لا يعلمون لماذا ثاروا ، ولا ما يفعلون وقد احرزوا النصر ، فالاضراب جاء عفواً ، كان العمال قرَّروا في ذات نفوسهم ان ساعات العمل المرهقة والطعام اليسير الذي لا يسدُّ جوعاً ، اصبحا مما لا يطاق . فلم يكن للمضربين خطة ، ولا زعماء ، ولا نظام

وكان في بتروغراد ، جمعية ثورية منظمة ، ولكنها دهشت لهذه الثورة المفاجئة ، لانها لم تكن تتوقعها . نعم ان الحزب الاشتراكي ، كان قد مضى عليه سنوات ، وهو يبيثُ دمايته في صفوف العمال ، وفي سنة ١٩٠٣ كان الحزب قد قرَّر ان الانتقال بالبلاد الى الدولة الاشتراكية ، لا يتم الا بالعنف ، وان الوسائل السلمية لا تجدي نفعاً . فعرف هذا الفريق القائل بالعنف ، بفريق البولشفيك اي الاكثرية . وعرف الفريق الآخر بالمنشفيك . وحدثت فتنة سنة ١٩٠٥ نشأت عن خذلان روسيا في حربها مع اليابان . وكان العمال قد انتخبوا مجالس — Soviets — من صفوفهم تتولى ادارة المصانع ، وكان الجنود والفلاحون قد فعلوا ما هو شبيه بذلك في بعض القرى والشكنات . فلما حدثت فتنة سنة ١٩٠٥ واحتدمت ، ابعده زعماء الحزب الاشتراكي من روسيا . لذلك لما حدثت ثورة ١٩١٧ الاولى كانت ثورة من دون زعماء ، يتولون توجيهها

ولكن العمال في سنة ١٩١٧ ظلوا يذكرون المجالس — السوفيت — التي انتخبت سنة ١٩٠٥ لذلك كان من الطبيعي ان يتجهوا بعد فوزهم الى انتخاب مجالس على نمط ما فعلوا سنة ١٩٠٥ . وكان معظم الممثلين الذين اختاروهم لهذه المجالس من الفريق المنشفيكي في الحزب الاشتراكي القائل بوجوب اتباع الوسائل السلمية ، في تحويل الدولة الى النظام الاشتراكي . ولما كان رجال الفريق المنشفيكي ، معارضين في استعمال العنف ، لم يختاروا للحكومة رجالاً من صفوف الاشتراكيين ، بل من صفوف الاحرار ، الميالين الى الاصلاح . وكذلك انشئت حكومة وقتية برئاسة البرنس لوف Louv فلما تسلمت هذه الحكومة مقاليد الحكم ، لم تدع مجالس السوفيت بلاغاً نهائياً بوجوب اصلاح

حال العمال ، بل اكتفت بطلب حرية القول وحرية الصحافة. والواقع ان هذه المجالس ، ما كانت تدري الهدف الذي ترمي اليه . ولا كان وزراء البرنس لووف يدرون ما هم يريدون . وقد قال تروتسكي في تاريخه للثورة الروسية ، واصفاً هذه الحالة الشاذة : « كان الثوار يتوسلون الى الاحرار ليخلصوا الثورة من الاخفاق . وكان الاحرار يتوسلون الى الملكيين لكي يخلصوا الاحرار من الخيبة » . كان العمال قد ثاروا في بتروغراد فأتدبهم العمال في موسكو . ولكن روسيا لم يكن فيها رجل واحد ، يعرف ان يحول هذه الثورة الى انقلاب تام .

لنين

كان لنين الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يتولى الزعامة . ولنين كان منفياً من بلاده ، يقيم في سويسرا . فلما قرأ في الصحف عن فتنة بتروغراد ، ادرك ان اليوم الذي ما زال يتطلع اليه ويعمل في سبيله من ٢٦ سنة قد جاء وهو في السابعة والاربعين من عمره . كان والده معلم مدرسة قد ارتقى حتى صار مفتشاً للمعارف ، ثم رقي الى طبقة الاشراف لتنظيمه تعليم الشبان في مقاطعة على نهر الفولجا . فلما كان لنين في السابعة عشرة من عمره ، اُعدم شقيقه الاكبر لاشتراكه في مؤامرة دُبّرت لاغتيال القيصر اسكندر الثالث . فتحول لنين من ذلك اليوم الى صفوف الثوار وقبيل ان يتم دراسته القانونية ، وينال شهادته . كان قد انشأ اتحاداً للكفاح في سبيل تحرير طبقة العمال . وكان قد قرأ كتابات كارل ماركس ، فأمن معه ، بأنه حيث تكون وسائل الانتاج ملكاً للأفراد ، لا يتورّع هؤلاء الافراد عن ظلم العمال في سبيل جني الربح الطائل وحشد الثروة . فيفرضون عليهم عملاً يزداد ارهاقاً حتى ينقلب العمال على اسيادهم ويسيطرون هم على وسائل الانتاج . وفي سنة ١٨٩٦ نفي لنين الى سيبيريا مدة ثلاث سنوات ، لأنه كان يدعو عمال بتروغراد ، الى الانتفاض على الدولة . وكانت فتاة تدعى كروبسكايا ، قد اشتركت معه في دمايته فتبعته الى المنفى ، واصبحت زوجته . فكتب لنين في منفاه مؤلفه العظيم ، (نشوء الرأسمالية في روسيا) فلما انقضت مدة النفي ، ذهب الى مونيخ حيث انشأ جريدة ثورية . وفي سنة ١٩٠٣ كان من فريق البولشفيك الذي انفصل عن الحزب الاشتراكي . ولم يشترك في فتنة ١٩٠٥ ، ولكن أثره ظهر في بعض حوادث التمرد البحرية التي وقعت في كرونستاد وسفهيورج في السنة التالية . ثم ذهب مع زوجته الى باريس ومنها الى لندن حيث اصبح محوراً لمساعي فريق من الثوار الروس . فلما نشبت الحرب الكبرى كان هو وزوجته في زورنج يعيشان في غرفة رثة

كانت الحرب في نظر لنين ، عملاً جنونياً ، فيها القضاء المبرم على الحضارة الرأسمالية القائمة على الاستبداد والمنافسة ، الحضارة التي قضى حياته مشتهراً بمساوئها . وكان من البدء معارضاً في خوض روسيا لغمراتها ، وكان يحس ان طبقات العمال في روسيا ، غير راضية عنها كذلك فلما جاءته انباء الفتنة التي وقعت في ٢٣ مارس ١٩١٧ كان يعلم ما يتحتم عليه ، والى اين يجب ان

يتجه . على ان دول الحلفاء ، رفضوا ان يسمحوا له في اختراق بلدانها للعودة الى روسيا . ولكن المانيا ، سمحت له في ذلك املاً منها في انه يدعو الى السلم عند عودته بيد انها اشترطت عليه وعلى صحبه ان لا يغادر احد منهم القطار الذي يقلهم في ارض المانية

وفي مساء ١٦ ابريل سنة ١٩١٧ وصل لنين الى محطة فنلندا في بتروغراد . فقابله فيها زعماء الحزب البولشفيكي وساروا به رغماً عنه الى ردهة الانتظار ، حيث اعدوا له حفلة استقبال . وكان الجمهور يهتف طالباً من الزعيم خطبة وكان ينتظر منه ان يقول كلمات منمقة يهتفون بها على الثورة ، ولكن خطبته صغقتهم . فانه لعن البولشفيك لانهم ضيّعوا الفرصة السانحة للقبض على زمام الامور . واعلن ان الحكومة الوقتية التي يرئسها البرنس لووف يجب ان تسقط في الحال وان السلطان ، كل السلطان ، يجب ان يكون في ايدي السوفيت ، وان روسيا ، يجب ان تنسحب من الحرب

فلما ذهب ، الى دار الحزب البولشفيكي — وكانت البناية خاصة باحدى راقصات القيصر قبلاً — ردّد الكلام الذي قاله في استقبال المحطة . خسبه البولشفيك مجنوناً او على الاقل حسبوه منفيّاً قد فقد صلته بسير الحوادث في روسيا . ولكن الحكومة الوقتية — وكان المسيطر عليها رجل يدعى كرنسكي — كانت في عجزها كحكومة القيصر . ثم تمرّد بحارة الاسطول في كرونستاد وأنشأوا مجالس سوفيتية . فلما رفض الجيش تنفيذ خطة الهجوم التي اعدت لشهر يونيو ، بدأ البولشفيك ينضمون رويداً رويداً الى لنين ، ويسلمون بأرائه . ولكنه اضطرّ في خلال ذلك ان يبتعد عن بتروغراد الى ان تسنح الفرصة التالية للثورة فذهب الى فنلندا ، وجعل يرقب الحوادث من هناك ، وكان على اتصال دائم بحزبه ، فقال لهم يجب ان يكون شعارنا : — « السلطان للسوفيت ، والارض للفلاحين ، والخبز للجوعى ، والسلام لجميع الناس » . كان هذا شعاره الذي يؤمن به ، وقد اتبع له ان يعيش حتى يحققه

ثورة نوفمبر

عاد لنين الى بتروغراد في نوفمبر ، متخفياً . وفي جلسة عقدها الحزب البولشفيكي ، ودامت طوال الليل اقنع بوجوب الاضراب ضد حكومة كرنسكي . فأثنى حرس احمر ، ونظمت المجالس السوفيتية التي اكثرتها من البولشفيك للتمهيد ، لذلك الاضراب . وفي ليلة ٦ نوفمبر (كان يوم ٢٤ اكتوبر بحسب التقويم الروسي اليولياني) اعلن لنين وتروتسكي الثورة بالتلفون . كانا حينئذ على اتصال بالاسطول الروسي في كرونستاد وبالحرس الاحمر ، وبالذين عهد اليهم في قطع خطوط المواصلات حتى لا تستطيع حكومة كرنسكي طلب النجدة . قال تروتسكي لهؤلاء . اذا لم تستطيعوا تحقيق ما عهد اليكم بالكلام فاستعملوا السلاح

فلما استيقظت بتروغراد في الصباح كان البولشفيك قد تقلدوا زمام الاحكام وأنشأوا مجلس قوميسيرية الشعب لتوليها . وقد كتب تروتسكي في سيرته وصف ذلك قال : — من دون اضطراب

ومن دون حرب او سفك دماء ، احتلَّ الجنود او البحارة او الحرس الاحمر ، داراً بعد اخرى ، بناء على اوامر صادرة من معهد سمولني (مركز ادارة الحزب البولشفيكي) . ومن محاسن ما يرويهِ تروتسكي ، انه عهد الى بحَّار انكليزي يدعي ماركن في حماية مخازن الحُمر ، حتى لا يستولي عليها الثوار ويسكروا بها . فلما عجز عن حمايتها حطَّم زجاجاتها فخرت الحُمر في مجاري المدينة الى نهر النيقا كان العمل الذي اتخذته الحكومة الجديدة على عاتقها ، من وراء المقدرة الانسانية . « السلطان للسوفيت » . لقد انشئت مجالس السوفيت في بتروغراد وموسكو وكرونستاد . ولكن لا بدَّ من اقناع سائر البلاد الروسية ، باقتفاء أثر هذه المدن . « الارض للفلاحين » . نعم لا شك في ان الفلاحين لا يتوانون عن اغتصاب الارض ولكن المشكلة كلَّ المشكلة في توزيعها بالعدل على جميع الناس . « الحبز للجوعى » . لقد صادرت حكومة السوفيت ، الغذاء والحبز ، ووزعت التذاكر على مؤيديها ، وجعلت تمنح كل حامل تذكرة نصيبه من الاغذية المصادرة . اما الذين يقاومون السوفيت فليموتوا جوعاً . و « السلام لجميع الناس » . ان الحوائل التي تحول دون تحقيق هذا الغرض ، يصعب تخطيها . فروسيا مرتبطة بمعاهدة مع الحلفاء بأن لا تنفرد في عقد الصلح . ولكن البولشفيك انكروا هذه المعاهدة وانكروا كذلك اية رابطة تربطهم بالحلفاء . قالوا ان الحرب هي حرب الرأسماليين ، وليست حرب الشعب الروسي . وكذلك اقترح ، في ٢٠ نوفمبر عقد هدنة مع المانيا وأحلافها ، وفي ٢٠ ديسمبر عقد مؤتمر الصلح في مدينة برست ليتوفسك

كان مؤتمر برست ليتوفسك من اغرب المؤتمرات . هنا على جانب واحد من المائدة الخضراء ، كان ممثلو المانيا الامبراطورية حملة القاب خمة ، يقابلهم على الجانب الآخر ، تروتسكي ، ابن فلاح يهودي ، منفوش الشعر ، قضى حياته بين السجن والمنفى . وما كان تروتسكي يحمل في حقيبته شيئاً يستطيع ان يساوم به . ذلك ان روسيا نفسها كانت قد طلبت عقد الهدنة ، لعجزها عن مواصلة الحرب ، فكانها قد هزمت ، ولالمانيا الحق في ان تملئ شروطها عليها . ولكن ثلاثة اشهر انقضت ، قبلما وقَّعت المعاهدة . في خلال هذه الاشهر الثلاثة ، ماطل تروتسكي وجادل وناقش ، حتى امتلأت صحف العالم ، بأبناء المؤتمر . فكان مؤتمر برست ليتوفسك اعلاناً عظيماً للحكومة البولشفيكية الجديدة . فلما نشرت مواد المعاهدة تبين انها شديدة كلَّ الشدة وبمقتضاها سلمت روسيا بخسارة اوقرانيا وبولونيا وفنلندا ولتوانيا واستونيا ولتفيا اذ منحت هذه البلدان استقلالها . وخسرت بلاد القوقاز ايضاً لتركيا . وكذلك خسرت روسيا ، ربع سكانها ، وثلاثة ارباع حقول الحنطة في بلادها . وفرضت عليها غرامة قدرها ستة ملايين مارك

كانت معاهدة برست ليتوفسك معاهدة املتها المانيا الظافرة . ولكنها في الواقع كانت نصراً لتروتسكي ، لانه احرز الاعلان المطلوب للحكومة الروسية الجديدة ، حالة ان المانيا ، وهي لا تزال مشتبكة في الحرب مع الدول الاخرى ، لاتستطيع ان تنفذ شروط المعاهدة بالسيف . وعاد تروتسكي من برست ليتوفسك الى بتروغراد ، لينظم الجيش الاحمر لمقاومة اعداء النظام الجديد

كانت ألمانيا ، في مستهل سنة ١٩١٨ في خطر من نشوب ثورة فيها ، كما كانت روسيا في مستهل السنة السابقة . ففي يناير سنة ١٩١٨ أعلن اضراب عام في برلين فبطشت الحكومة باصحابه . واضطرب العمال ان يعودوا الى العمل بالقوة . وفي يوليو اعد اركان حرب الجيش الألماني ، خطة هجوم ، ظن كل الخبراء العسكريين ان نجاحها مكفول . ذلك ان روسيا كانت قد خرجت من الحرب ، وإيطاليا قد هزمت ، فاستطاع الألمان ان ينقلوا وحدات جيشهم الى الجبهة الغربية . ولكن الخطة منيت بالخيبة . واخفق الألمان في معركة المارن الثانية ولم يخرقوا صفوف الحلفاء . فسرت موجة يأس وقنوط في طبقات الأمة الألمانية .

وتلا معركة المارن الثانية ، هجوم الحلفاء . وانسحبت بلغاريا من المعترك في سبتمبر . وتركيا في أكتوبر ، وكانت ألمانيا قد سئمت حكمها ، فدعي البرنس ماكس أوف بادن - وهو من الاحرار - لانشاء وزارة . وأشار الجنرال لودندورف على البرنس ماكس ، في ٣ أكتوبر بان يبعث الى رئيس الولايات المتحدة الاميركية ، بمذكرة يقترح فيها المحادثة في عقد الصلح على اساس شروطه الاربعة عشر ، وكان ولسن قد اقترحها اساساً للصلح في خطبة اذاعها في يناير سنة ١٩١٨ وبمقتضاها كان يتعين على ألمانيا ان تخلي البلجيك وروسيا والبلقان ، وان تتخلي عن الانزاس لورين لفرنسا ، وتمزق معاهدة برست ليتوفسك الجائرة مع روسيا . هذا من حيث تخطيط الخريطة الاوربية . اما من حيث المبادئ العامة ، فقد اقترح ولسن في خطبته المشار اليها ، عقد معاهدات السلام في جلسات علنية ، ويجب ان تنطوي هذه المعاهدات ، على حرية البحار المطلقة وازالة الحواجز الاقتصادية على قدر الامكان وانشاء مساواة بين الامم في احوال التجارة

وجاء نباء المذكرة التي بعث بها البرنس ماكس ، طالباً الصلح على أساس شروط ولسن ، ضربة اقسى من الاخفاق في معركة المارن ، على القوة المعنوية الألمانية . واذن فليس مما يبعث على الدهشة ان يرفض الاسطول الألماني ، تنفيذ الاوامر الصادرة اليه في أواخر أكتوبر ، بالخروج من ولينزهاغن ومهاجمة شواطئ البلجيك . وفي الحال وزعت وحدات الاسطول على اربعة مرافئ ألمانية وكذلك اجتنب حدوث تمرد بين رجاله . ولكن ذلك لم يطل . ففي ٤ نوفمبر ، احتل بحجارة السفن المرابطة في كيل ، مدينة كيل ، وطالبوا بالاعتراف بمجالسهم السوفيتية ، فسيّرت فرقة من المشاة عليهم ، ولكن الجنود سلموا سلاحهم ، وانشأوا مجالس سوفيتية خاصة بهم . وفي ٥ نوفمبر ، رفع العلم الاحمر على وحدات الاسطول الألماني في كيل

وكذلك تحول التمرد الى ثورة سياسية . كانت المدن الألمانية على شواطئ بحر بلطيق ، قد رفعت العلم الاحمر ، وكان البحارة والجنود والعمال ، قد قبضوا على زمام الامر فيها وانشأوا مجالسهم السوفيتية . اما في بافاريا الكاثوليكية ، فقام رجل يدعى كورت أيسنر - وهو كاتب

مشهور - وقاد مظاهرة ضد مواصلة الحرب ، وتمرد الجند ، وفي صباح ٩ نوفمبر ، استيقظ سكان بافاريا فرأوا في الشوارع الواحاً تعلن ان بافاريا اصبحت جمهورية حرة مؤلفة من مجالس الجنود والعمال والفلاحين السوفيتية . في ذلك اليوم نفسه ، انفجرت الثورة في برلين ، وكان البرنس ماكس قد اقنع الامبراطور غليوم في الصباح ، بوجود التنازل عن العرش ، ومغادرة البلاد ، لان ذلك هو السبيل الوحيد ، لاجتناب نشوب حرب اهلية . ولكن التنازل عن العرش جاء متأخراً ، فلم ينجح الحكومة من السقوط . ففي الصباح اعلن اضراب عام ، ورفضت الجنود ان تطرد الجماهير من الشوارع ، فاستقال البرنس ماكس ، وتولى ايرت زعيم الجناح الايمن من حزب الاشتراكيين الديمقراطيين (وهو يقابل المنشفيك في روسيا) تأليف حكومة اشتراكية معتدلة ، واجتمع ممثلو مجالس السوفيت الخاصة بالجنود والعمال ، لوضع نظام للحكومة المحلية

على ان الشيوعيين لم يرضوا عن سمة الاعتدال في هذا الانقلاب فاشتبكوا في بعض معارك في شوارع المدينة بعد ما ارخى الظلام سدوله

لم يقتل في خلال النهار اكثر من خمسة عشر رجلاً ، زاحوا فدية الانقلاب من النظام الامبراطوري الى الحكم الشعبي في المانيا . وتبع سقوط آل هوهنزولرن سقوط نحو عشرين بيتاً من البيوت المالكة في الدول الالمانية . وكذلك اصبحت المانيا جمهورية برئاسة ايرت ، صانع السروج

كانت المشكلة الاولى التي واجهتها الحكومة الجديدة ، مشكلة انهاء الحرب . كان البرنس ماكس قد بعث بالسياسي ارزبرجر ، لمفاوضة فوش في عقد هدنة . فكانت الشروط التي املها فوش ، شديدة صارمة ، ومنها انشاء منطقة حياد على ضفة الرين الالمانية ، وتسليم جميع مدافع الجيش الالمانى وطائراته ، وسفن الاسطول . ولكن الالمان اضطروا الى التسليم بها في ١١ نوفمبر ، وهم يرجون ان تكون شروط الصلح اقل صرامة منها . الميقبل ولن ان شروطه الاربعة عشر سوف تكون اساساً لمعاهدات الصلح ؟

وكانت المشكلة الثانية التي واجهتها الحكومة الجديدة ، مشكلة تغذية الامة الالمانية . ذلك ان الثورة كانت قد حالت دون انتاج المواد الغذائية فوات كثير من جوعاً . وفي الشهور الثلاثة الاولى من عهد الجمهورية زادت وفيات الاطفال ثلاثة اضعاف . ولولا جمعيات الغوث الاميركية ، لفشا الموت جوعاً في المانيا الجمهورية

اما المشكلة الثالثة فكانت معالجة المقاومة العنيفة للجمهورية ، من ناحية الحزب الشيوعي المعروف بحزب « سبارتاكس » . ففي ٩ نوفمبر طلب الشيوعيون ، تحديد يوم العمل بست ساعات واستيلاء الامة على البنوك والارض والصناعات والتنازل عن السلطة لمجالس السوفيتية . وكان حزب ايرت ، حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ، يؤمن بالحكومة البرلمانية ، ورغمما عن المظاهرات العنيفة التي قام بها الشيوعيون ، قررت الحكومة اصدار الاوامر لانتخاب جمعية تأسيسية

ولكن زعماء الشيوعيين امثال لينين وروزا لوكسمبرج ، قرروا ان يكافوا ، على مثال ما كلفه
لنين ، لجعل المانيا شيوعية . ولكنهم كان يعوزهم عبقرية لينين . ففي ٦ يناير ١٩١٩ احتلوا ادارات
الصحف ووزارة الحربية ودار محطة برلين ، ولكنهم لم يتمكنوا من الثبات فيها ، واضطروا الى
التراجع امام النار التي اطلقها عليهم فلول الجيش الامبراطوري . وقد كتب احد الذين شهدوا تلك
الايام في برلين قال : « ولو كان للسيارتا كيين زعماء حرييون ، واستبدلوا الكلام والخطابة بالحرب ،
لسهل عليهم اخراج الحكومة الاشتراكية من الولهامستراس واقامة النظام السوفيتي في برلين » . ولكن
ثورتهم تبعها ، نوع من حكم الارهاب في برلين ، وقبض الجمهور على لينين وروزا لوكسمبرج وما
في طريقهما الى السجن وقتلا شر قتلة

ومع انخزال السبارتاكين في فتنة ٦ يناير ظل الغموض يكتنف المصير النهائي بين المعتدلين
والمتطرفين . فالبرلمان الجديد انتخب ايرت رئيساً للريخ ، ولكن السبارتاكين رفضوا ان يعترفوا
بالبرلمان . وفي مارس ، احتل السوفيت في برلين ، الجانب الشرقي من المدينة . ولولا العوبة ابتدعها
نوسكي Noske وزير الدفاع ، لكان الشيوعيون فازوا في احداث الانقلاب . ذلك ان نوسكي اعلن
للصحف ان الشيوعيين قتلوا ستة وخمسين رجلاً من رجال البوليس ، وذكر اسماءهم واحداً واحداً
فانقلبت الامة على الشيوعيين . وكذلك تمكن نوسكي من اخمد الثورة بعد اربعة ايام من القتال ،
سقط في خلالها ١٢٠٠ قتيل في برلين . وخمد الاضطراب في النواحي الاخرى ، بعد تسليم يسير ،
لمطالب السوفيت ، في كونجسبرج وبرسلو وسيليزيا العليا وهمبرج وغيرها

نقبا صوت الشيوعيين ، حتى الربيع واذا الاضراب يتلو الاضراب في المناطق الصناعية في
الروور واسن . ولكن الحكومة تغلبت على المضربين بالحكم العرفي ، ومنع الطعام عن المناطق
المضربة حتى يعود العمال الى العمل . وحدث شغب في مجدبرج وبرنسويك ودرسدن . اما في مونيخ
فلما اغتيل ايسنر قام الشيوعيون يحتجّون واعلنوا انشاء جمهورية سوفيتية ثانية . ولكن نوسكي
لم يلق صعوبة كبيرة في تحطيم سوفيت بافاريا . وكذلك ضعف شأن الشيوعيين في المانيا . فلما ايدلت
المانيا من مؤتمر الصلح تلك الضربة القاسية — معاهدة فرساي التي اعلنت في ٨ مايو ١٩١٩ —
نسي الالمان الحرب الاهلية ، واجتمعوا حول حكومة الرئيس ايرت

في كلا روسيا والمانيا ، فرضت الحرب العالمية على الامة بواسطة حكومة اوتوقراطية . وفي كلا
الحالين ، افضت الحرب الى ثورة . وفي كلتا الثورتين ، انشئت اولاً حكومة حرة ، (حكومة
البرنس لووف وحكومة البرنس ماكس) . اما المانيا فكانت فيها طبقة متوسطة قوية احتفظت
بالحكومة البرلمانية والنظام الرأسمالي . وأما في روسيا ، فان الطبقة المتوسطة تخاذلت امام حكومة
العمال ، يقودها ويدير دفتها نبوغ لنين

النهضة التركية الكمالية

او الحياة بعد الموت

لِلْمُتَّقِينَ عِشَّةٌ فِي الْجَنَّةِ

دعونا النهضة التركية عقب الحرب العالمية « كمالية » للقسط الوافر الذي استقل به الغازي مصطفى كمال باشا في احداثها وهي تختلف عن الفاشستية والنازية اختلافاً جوهرياً في انها لم تكن تغلباً حاسماً فقط على حكومة من ابناء البلاد يرأسها خليفة تحفُّ به العقائد المتوارثة بل كانت ايضاً انتصاراً باهراً في ميدان الحرب على دولة اجنبية يعضدها الحلفاء وفي مقدمتهم انكتره واتقاداً للشعب التركي من الاضمحلال حتى اذا كان هنالك شيء يدعى حياة بعد الموت فهو تجدد شباب تركيا بعد الهرم ونهوض ابنائها ينفضون تراب الموت السياسي عن وجوههم . لا جرم ان هذه النهضة اتخذت شكلاً عسكرياً منذ ما تألفت لان رجالها من الجنود وفيها جميع الفضائل والنقائص التي عرفت في اعمال الرجال العسكريين ، ولم تبلغ المانيا في ادق ساعات محنتها ولا ايطاليا في اشأم ازماتها ما بلغتة تركيا يوم احتل الحلفاء عاصمتها وسخر الانكليز الجيش اليوناني لاكتساح ازمير وداخليتها وامضى الخليفة محمد السادس حفيد محمد الفاتح ! معاهدة (سيفر) الطاغية بالخنازي والحافلة بالنصوص القاضية على الحياة القومية التركية قضاءً مبرماً . فقد تنازل فيها هو وحكومته والمجلس الاعلى الذي عقده عن تراقيا وازمير وداخليتها وجانب من الدردنيل لليونان وسمحوا بتأليف دولة ارمنية في لب بلادهم وسجلوا على انفسهم ديوناً باسم تعويضات لا يمكن اداؤها الا اذا عاشوا ابد الدهر في ربة الذل واعادوا سلطة الامتيازات الاجنبية الى سالف مجدها فرضوا ان يكونوا وهم في بلادهم ادنى مرتبة من الاجنبي النازل بها وقبلوا الا يكون لهم جيش او اسطول لا في الغبراء ولا على ظهر الماء ولا في كبد السماء . وقصارى القول انهم وضعوا المناديل في اعناقهم ورفعوا ايديهم بالاستسلام ، وم دوناً هذه الخلاصة الخزية الا لنئين للقراء في العالم العربي كيف تعمل الهمة الثابتة والعزيمة الصادقة في انهاض الركب المتقعدة ، وكيف تكون الحياة بعد الموت ، وفي ميسورهم الآن ان يفسروا الانقلاب

الكامل الخطير من وجهته السياسية والاجتماعية . وغني عن البيان ان الوطنيين الترك ارادوا من الوجهة السياسية ان يكونوا قبل كل شيء اسبداً في بلادهم فضعفوا هذه السيادة بحجة السلاح الدامغة ، لان الذي يملك القوة لا يحتاج الى برهان آخر ، ثم طهروا بلادهم تطهيراً سياسياً من الطراز الاول وذلك بالغاء التدخل الاجنبي الغاء صريحاً باتاً حتى صارت « الاجنبية » في تركيا الحديثة وبالأعلى صاحبها وسبباً من الاسباب التي تحسب عليه بدلاً من ان تحسب له . فاذا اراد اجنبي اليوم ان يباشر عملاً مجدياً في تركيا فضل ان يكون له شريك وطني يحميه عند الحاجة بخلاف ما يعمله الوطنيون في بعض البلدان العربية حيث يبحثون عن الشريك الاجنبي لتحقيق هذه الحماية ، ثم لم تعد مسألة الارمن مسألة انشاء دولة ارمنية في لب الاناضول ولا قضية اليونان قضية تأليف امبراطورية يونانية على انقاض الدولة العثمانية بل المسألة كلها التوسل بالطرق الممكنة للمحافظة على البقية الباقية من هذه « الاعضاء الاثرية » في تركيا الحديثة كما حرص علماء الانسان عبثاً على المحافظة على الافراد القلائل من اهل (تساميا) الذين انقضوا على بكره ابيهم في اواخر القرن الماضي . ومما يدل على مقدار التأثير في الذهنية التركية مما اصابها من الكبرياء الاجنبية في البلاد ان منشأة دولية في الاستانة تابعة لسكة حديد الشرق ومراكب النوم فيها غفل مديرها الايطالي في السنة الماضية فخرم على المستخدمين الوطنيين ان يتكلموا بلغتهم على التلفون — يعني حرّم على الترك ان يتكلموا بالتركية في الاستانة ! — فكان الويل وكان الثبور وكانت عظام الامور . ولولا هربه من شباك المكتب لهجم عليه المتجمعون من الموظفين والطلبة وعلموه درساً لن ينساه في احترام اللغة التركية . فاین هذا مما نعانیه في بعض اقطار العالم العربي حيث تكتب الاعلانات حتى للوطنيين باللغات الاجنبية ، وفي بعض مسارح السينما تترجم المناظر بالانكليزية والفرنسية بل باليونانية ايضاً ولا تترجم بالعربية ، وان ترجمت فقد توضع على لوح حجير في الزاوية المهملة وبلغت مغلوطة لا تنطبق على المعنى . كل ذلك احتقاراً لها — ومن احتقر لغة فقد احتقر اهلها . وحدث لي في سبتمبر الماضي انني ارسلت تعزية الى بغداد بوفاة الملك فيصل فأبّت شركة (ايسترن) قبولها لانها مكتوبة بالعربية مما حملني على ارسالها بواسطة شركة ماركوني ، يعني ان بعض الفرنجة يأبون علينا ان نتخاطب في اقطارنا بلغتنا ، والغريب ان يجري ذلك كله امام الوطنيين من غير اقل ملاحظة فعالة تبدر منهم كأن الامر لا يعنهم ما داموا قد تعلموا تلك اللغات الاوربية وامتازوا على سائر اخوانهم في الوطن بفهمها فكان هذه الرشوة الادبية التي فرحوا بها ألفتهم عن ذاك الواجب المقدس

وقد دلتني الاستقراء في الشرق والغرب على ان معيار حب الاستقلال في الامة يكون على قدر حرمتها للغة وسعيها لانعاشها ، وان الذي لا يغار على لغته لا يغار على أمته

وتدل مثل هذه المظاهر في الترك على ما تأصل في نفوسهم من النفرة من الحالة السياسية التي كانوا عليها ومن تسلط الاجانب عليهم في عقر دارهم ليس فقط بالامتيازات الاجنبية المضنية التي كان هؤلاء يتمتعون بها بل بالمظاهر الاخرى اللغوية والادبية التي تجعل للاجنبي ميزة على ابن البلاد، وقد تعدت محاربة الوطنيين الترك السياسة الاجنبية التي خضعت لها الدولة العثمانية في الماضي الى محاربة الاوضاع السياسية التركية الماضية نفسها ، وساعد على ذلك خنوع السلطان محمد السادس وحكومته واقدامهم على امضاء معاهدة ستبقى رمزاً لانحلال الخلافة العثمانية وزوال كل اثر من آثار عظمها . فاذا اضفنا الى هذا العمل المزري ان الخلافة في السنين الاخيرة ولا سيما في زمن السلطان عبد الحميد كانت بؤرة الرجعى وموئل الجامدين ومحط آمال المتطرفين من اهل المحافظة ادركنا الاسباب التي أوجدت حول الغازي من جاره من المخلصين على الغاء الخلافة من تركيا ومحو أثرها من ادمغة الترك ومحاربتها في البلاد الاخرى خشية تأثيرها في البقية الباقية من المؤمنين بها

ولكن سيبتى السؤال الآتي مائلاً في اذهان الكثيرين من الاختصاصيين بالشؤون السياسية العالمية — فاهيك بمن يعنون بالشؤون الدينية الاجتماعية — وهو : ألا تستطيع النهضة التركية الحديثة ان تحتفظ بالخلافة اداة للسياسة الخارجية كما تفعل اوربا العلمانية التوسعية في اعتمادها على الاكبروس وان تمنع جولانها الداخلي بحصرها في منطقة معينة لاتعدهاها ؟ وما لاشك فيه على الاطلاق ان خلافة روحية عليها مسحة من تقديس القرون الوسطى قد تكون بأيدي الكالين في مثل البحران السياسي العالمي الحاضر سلاحاً ماضياً فيما لهم من العلائق بالدول الاوربية . قال (دليزل بورنس) في كتابه السياسة الدولية (١)

« اما الاسلام فهو الدين الثالث العظيم ذو الشأن الدولي ، والحج السنوي الى مكة من جميع الاقطار الاسلامية هو موضوع اهتمام السياسيين والموظفين ، فانه يربط برباط واحد ابعد الاقوام وهو السبيل لنشر الآراء والسياسة في جميع البلدان الاسلامية . . . ويجوز ان يؤثر الاسلام في الموقف الدولي نظراً لوجود عدد كبير من المسلمين تحت الحكم البريطاني ، مما يدعو بريطانيا خاصة الى تجنب جرح عواطف المسلمين » . وبعد ما اشار الكاتب الى التنافس بين انكلترا وفرنسا في آسيا والى الاعانات التي جمعت للدولة العثمانية في الهند في ابان حربها مع روسيا سنة ١٨٧٧ والى الاحتجاجات التي طيرها الهنود على ايطاليا لمهاجتها طرابلس الغرب ومقاومتهم العنيفة لفكرة تمزيق تركيا في سنة ١٩١٩ قال « واخذت فرنسا تشعر بموقفها الاسلامي في مراکش وافريقيا الوسطى وربما في سورية ايضاً ، وقد يؤثر هذا الحال في سياسة فرنسا الخارجية . . . وعلاوة على ذلك فالاقوام

والامم الاسلامية لها شيء مشترك بينها يفوق الآراء اللاهوتية، فالاسلام هو قانون للحياة والشرعية
الاسلامية حقيقة سياسية... وعلينا ان نتذكر ان العقائد الدينية الاسلامية بل الافكار السياسية
الاسلامية هي المستولية في بعض اجزاء الهند، وفي فارس، وتركيا وآسيا الصغرى وبلاد العرب
وبين جميع السكان القاطنين في افريقيا شمال الدرجة الخامسة عشرة من الطول الشمالي»

اما وقد خطا الترك هذه الخطوات الواسعة في الميدان السياسي فلا عجب ان تتناول حربهم
التجديدية الميادين الدينية والاجتماعية والتشريعية وما الى ذلك من الاوضاع الادبية، فالاساليب
التي نجحت في الحرب وحقت للترك استقلالهم السياسي استهوتهم ايضاً في هذه الميادين فانبروا
يتركون كل شيء حتى القرآن، وأخذوا يطهرون على زعمهم التركية من العربية والفارسية ظناً منهم
ان الاستقراض في اللغة حالة مثل الاستقراض في المال، وفاتهم انهم بعملهم هذا يحرمون لغتهم من
اكبر المزايا التي تشاركها فيها الانكليزية اعظم اللغات الاوربية انتشاراً. وكم ندبنا حظنا معاصر
العرب لان لغتنا محافظة وهي شديدة النفرة من مثل هذا الاستقراض، ونظرة واحدة في المدونات
العلمية الحاضرة في شتى اللغات الاوربية الحية كافية لاقناع اشد المطهرين الترك تطرفاً، بالخدمات الجلّي
التي تقدمها اللاتينية واليونانية للعلماء، وقد يستظهر الطبيب او المحامي الانكليزي او الفرنسي او
الاماني المئات او الالوف من الكلمات المشتقة من هاتين اللغتين من غير ان يشعر بأقل غضاضة وطنية

ومن المهازل التاريخية التي تدل على سرعة الانتقال من الماضي الى الحاضر ان الذي كان يذهب
من العرب الى المشنقة في سنة ١٩١٥ وما بعدها بتهمة الخيانة للخليفة صار له زميل يقابله من الترك
يذهب الى المشنقة في سنة ١٩٢٥ وما بعدها بتهمة الدعوة الى الخلافة !
وتعد النظم المتعلقة بالاحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث من اشد النظم ثباتاً ومحافظة
ومع ذلك فقد نحلى الترك عما لهم منها بجملته واستبدلوا به احدث النظم التي نبتت في ديار الغرب
مع تعديل طفيف لا يعد شيئاً مذكوراً

وقصارى القول ان تركيا من الوجهة العلمية التاريخية هي حقل تجارب تشبه مخبر البيولوجين
وقد تكون سائرة في سبل اصلاحية لم تألفها او لا نقرها، ومن الصعب جداً الحكم على مصيرها
الاجتماعي النهائي وان كانت بواد النجاح الاقتصادي السياسي تلازمها ملازمة جليلة في مراحلها
كما يتضح من مقابلة الادوار التي مرت فيها منذ نهاية الحرب العالمية الى اليوم، ولا مشاحة في انها

باعتقادها على السلاح وعلى سواعد ابنائها قد سلكت السبيل التي يجب على كل امة تطلب الحياة ان تسلكها ، وفي وسعنا ان نتخذ منها حجة على الذين يزعمون ان الثورة لا تأتي بطائل . فلو احنى الوطنيون رؤوسهم للخليفة محمد السادس وحكومته وسجلوا على تركيا معاهدة (سيفر) المريعة فأين يكون الترك اليوم ؟ وماذا تنفعهم عصبة الامم المتفسخة وعهدا الذي لا يتجاوز جدرانها ؟ ثم ان الانقلاب الذي تم فيها حتى الآن قد سار بها شوطاً مهماً تراجعت بعده لن تكون قريبة مما كانت عليه بوجه من الوجوه ، وهي في تنظيمها الاقتصادي ومقاومة الشرور التي تنطوي عليها الرأسمالية المتطرفة ، وفي تشجيعها العمل ومحاربة البطالة وفتح المعابر والطرق ومد السكك الحديدية وتسهيل المواصلات تسير مير الفاشستية ، ولمثلها السياسيين ومندوبيها في المؤسسات الدولية كلمة مسموعة على قدر جيشها المدرب وسلاحه الماضي ، ولاول مرة في الجيل الحاضر انزل زعيم شرقي بقوة السلاح رئيس وزارة دولة اوربية معظمة مثل المستر لويد جورج عن دست الوزارة بعد ما كان يدعى « منقذ بريطانيا » في الحرب العالمية

اما المجلس الوطني الكبير في (انقره) فهو مثال آخر على حبوط الطريقة البرلمانية القديمة في الامم الناشئة التي هي احوج ما تكون الى سرعة الانجاز في العمل ، وهو نسخة ثانية عن برلمان ايطاليا ، وكما يمثل هذا ارادة الدتشي كذلك يمثل ذلك ارادة الغازي ، بل ان موسوليني عاف اخيراً برلمانه ومل اجتماعاته التي صار يراها نمطية وعلى غير جدوى فأمر بحلها ، على ان الناظر الى هذين المجلسين لا يرى فيهما بالاجمال ما يرى في البرلمانات الديمقراطية الاعتيادية من المساجلات الفارغة المملة والاعتراضات التي لا يرد من معظمها الا اظهار كفاءة المعارضين او وضع العقبات في سبيل المشروعات لاغراض في النفس ، وقد تخسر هذه الطريقة الدكتاتورية في الاحوال القليلة الانتقادات الجوهرية المخلصة الثمينة التي تصدر من النواب الاكفاء الصالحين المستقلين ولكنها تعترض عنها الاتساق وسرعة الانجاز وهو المطلوب في الدرجة الاولى في عصر الزعازع والعواصف

ويشعر العالم العربي بشيء من الامتعاض وخيبة الامل لمحاولة تركيا الحديثة صرم حبال المجد التي تربطها بتاريخنا المشترك ولكننا نرجو ان تكون هذه البوادر مظهرًا اجتماعيًا مؤقتًا من مظاهر النفرة من الماضي القريب فقط واحتجاجاً صاخباً على الجمود العتيق البالي ، ذلك لان الترك هم من صميم الشرقيين ولان الامة الحية ذات التاريخ الحافل بالحوادث اهون عليها ان تنسلخ من بلادها من ان تنسلخ من دواعي مجدها ونفارها

خطط الرئيس روزفلت

نتائجها وغرضها الاجتماعي البعيد

قل ما شئت في الرئيس روزفلت ، وانظر الى أعماله بعين الاقتصادي المحافظ ، او بعين الخصم الحزبي العنيد ، وشك ما اردت ان تشك في نتائج الخطط التي يخططها ، والوسائل التي يتوسل بها ، افعّل كل ذلك ، ولكنك لا تستطيع ان تهمّه بأنه قابع في البيت الابيض ، مكتوف الايدي ينظر الى الازمة نظراً جامداً ، وهو ينتظر فعل الطبيعة الشافي او علاجاً الهيباً يهبط عليه من السماء فهو رجل قال من الساعة الاولى ما معناه « شعارنا العمل ، والعمل السريع ، فاذا حال الكنفرس دون ذلك طلبنا ان نحولنا سلطة واسعة النطاق لتنفيذ الخطط التي نراها لتفريج الازمة » . وقال في رسالة بعث بها الى مجلس الامة : — « ان الاحوال الجديدة تقتضي وسائل جديدة للخلاص »

وقد مضى عليه تسعة اشهر في منصب الرأسة ، وهو آية في النشاط ودقة الاستجابة لمطالب الرأي العام . فانه بعدما انتزع من مجلس الامة ، القوانين التي تخوله السلطة اللازمة ، لمعالجة الحالة في خلال عطلة المجلس ، عمد الى مشروع الانعاش الصناعي فأزال المنافسة الحادة بين اصحاب الصناعات التي ترمي الى قهر الخصم ، ولا تسفر الا عن خفض الاسعار وتشريد العمال ، فكان من أثر هذا المشروع ، رغم المعارضة القوية التي لقيها ، ان ارتفعت اسعار المصنوعات ، وأجور العمال وعاد نحو مليونين ونصف مليون من العمال المتعطلين الى العمل . ثم ادرك ان هذا لا يكفي في بلاد فيها نحو ١٢ مليون عامل متعطل عن العمل ، وان رفع الاسعار وأجور العمال لا يجدي الا اذا قابله من ناحية الجمهور اقبال على الشراء ، والاقبال على الشراء لا يتم الا اذا تداول الناس النقود ، اجوراً لعمل يقومون به ، فأخرج مشروع الاعمال العامة ، ولكن تنفيذه تأخر لاسباب فنية . ثم تبين ان اسعار المصنوعات تتقدم اكثر من تقدم اسعار الحاصلات الزراعية ، وهذا يرفع اسعار المعيشة في نظر جمهور الزراع وهم طائفة كبيرة ، فعمد الى مساعدة الزراع وامدادهم بالمال على حاصلاتهم ، لقاء شروط معينة ترتبط بمساحة الاراضي المزروعة وغيرها . ثم رأى ان يعتمد على شراء الذهب في السوق الاميركية والاسواق الخارجية بتعيين سعر له اعلى من سعر السوق ، فيخفض بذلك سعر الدولار ، واذا خفض سعر الدولار ارتفعت اسعار الحاصلات والمصنوعات ، وهو ما يتوخاه . وسوف يمضي في هذه السبل جميعاً الى ان يبلغ مستوى الاسعار ما كان عليه سنة ١٩٢٦ . وهو متوسط اسعار البضائع والمحصولات بعد الحرب . وعندئذ يستطيع المدين ان يسدد دينه من دون ان يغبن اذا نظرت الى خطط الرئيس روزفلت نظر الاقتصادي المحافظ ، تحيرت وفهمت الحيرة التي اصابته الدوائر المالية العالمية . ولكن اذا شئت ان تفهم ما يرمي اليه ، وجب ان تدعى مبادئ الاقتصاد الى حين ، وتعتمد الى النظر في المسألة من ناحيتها السياسية والاجتماعية ذلك ان الانتخابات التي تمت من سنة لم تسفر عن مجرد انتقال السلطة من هوور الى روزفلت ،

او من الجمهوريين الى الديمقراطيين ، وانما كانت ثورة او انقلاباً ، بكل ما في الثورة والانقلاب من المعاني الصميمة . فهذا الانتخاب اسفر عن انتقال السلطة من أيدي الدائنين الى أيدي المدينين ، وهذا النزاع بين الدائن والمدين في اميركا يقابل الى حد بعيد ، النزاع الصامت احياناً والصاخب احياناً اخرى ، بين المتمدن والعامل في اوربا . على ان الحزب الذي فاز ، اي الحزب الديمقراطي ، ليس حزب مدينين فقط ، ولا الحزب الذي خذل ، اي حزب الجمهوريين ، حزب دائنين فحسب . بل في كلا الحزبين عناصر قوية من الفريقين . وانما اتفق ان الحزب الجمهوري بعد بقائه في الحكم اثنتي عشرة سنة ، أصبح معروفاً بأنه خادم لمصالح فريق خاص ، هو فريق الدائنين . واما الحزب الديمقراطي ، فبعد قليل من التردد ، وقف موقف المدافع عن مصلحة المدين . وقد أسبغ عليه الرئيس روزفلت ثوباً خلافاً ، اذ دعا « بالرجل المنسي » ، اي الذي نسيت مصالحه ولم ترع الرعاية اللازمة . فكان لهذه العبارة رنة وأثر في الانتخابات فهذا الانقسام في حياة اميركا السياسية له خطره ، وقد فات بعض الناس في البدء ، ولا يزال فريق منهم يجهل ما له من الشأن الخطير . فالرئيس صرح من البدء ، انه يرمي الى اعادة توزيع الثروة توزيعاً يقضي على سيطرة الممولين المطلقة ، على حياة الامة الاميركية ، وان الممولين في المستقبل يجب ألا يكونوا ، الا أمناء من قبيل الامة ، على ادارة المشروعات الكبيرة ، لقاء مرتب لا بأس به . ثم قال انه في السير وراء غرضه ، لا ينبغي ان يجري على المبادئ والاصول المعروفة ، بل سوف يبتدع وسيلة اثر اخرى ، بعضها قديم وبعضها جديد ، بعضها جرب وبعضها لم يجرب ، حتى يبلغ المحجة ويحقق الغرض

* * *

مضت ستة أشهر او تزيد على شروع الرئيس روزفلت والجنرال هيوجنسن وأعاونهما في تنفيذ مشروع الانعاش الاقتصادي الذي قصدا به الى اعادة الرخاء في اميركا . وقد صرح الجنرال جننسن عند شروعهِ في تنفيذ الخطط الجديدة أنه في خلال شهرين يعرف مصيرها ، نجاحاً او اخفاقاً . ولما كانت المصاعب والعراقيل الممنوعة التي قامت في سبيل العمل ، لم تكن في الحسبان فقد كان من الانصاف ، ان يؤخر الحكم على المشروع او له الى حين . والكلمة التالية نظرة اجمالية في نتائجهِ

كان غرض مشروع الانعاش سبائياً أهم وجوهه تقصير ساعات العمل ، وانعاش الصناعات الكاسدة ، ونقص العمال المتعطلين ، ومساعدة الزراع ، وزيادة مقدرة الجمهور على الشراء . فالحكم على المشروع يقوم بالنظر في هذه الاغراض ما حقق منها وما لم يحقق

كان الجانب الاول من المشروع الذي وضع موضع التنفيذ ، تقصير ساعات العمل ورفع مستوى أجور العمال . فوضعت الدساتير الصناعية لكل صناعة على حدة وأمضيت ، واستعمل الضغط والاجبار في بعض الاحيان لجل أصحاب الصناعات المتلكئين على امضائها . فنقصت ساعات العمال ورفعت اجور العمال . ولكن النتائج لا تبعث على الرضى التام . لان تقصير ساعات العمل وزيادة الاجور للعمال ، يعنinan زيادة نفقات الصناعة والانتاج ، وهذا لا بد أن يظهر في أثمان البضائع التي تظهر في السوق . حتى وزيرة العمل الاميركية المس بركنز ، تصرح اليوم ، بان المشكلة هي ايجاد طريقة لرفع الاجور

رفعاً حقيقياً لا رفعاً نسبياً ، إذ ما يجني العامل من زيادة أجوره ، اذا زادت نفقات معيشته ، مثل زيادة أجوره ، او فاقتها . فالأجور زادت ، ونفقات الانتاج ارتفعت ، وأسعار العروض تحطت ما كانت عليه وما تزال آخذة في ذلك ، ويظن بعض الخبراء ، أن أجور العمال الحقيقية سوف تصبح في آخر الشتاء ، أقل مما كانت في العهد السابق لروزفلت

وكان احد الاغراض كما قدمنا انعاش الصناعة الكاسدة ، والاحصاءات الاخيرة تشير الى نقص في انتاج الصناعات الثقيلة (كالصلب والحديد والفحم) في سبتمبر عن يوليو وأغسطس . ففي منتصف شهر يوليو الماضي كان انتاج مصانع الصلب ٥١ في المائة من الانتاج الذي تستطيعه . وهو الآن ٣٤ في المائة فقط . ونقص استهلاك القطن من ٦٧١ ألف بالة في اغسطس سنة ١٩٣٣ الى ٥٧٥ ألف بالة في سبتمبر (يقابلهما ٥٥٨ ألف بالة في سبتمبر سنة ١٩٣٢) والاحصاءات من معظم الصناعات الاخرى ، تشير الاشارة نفسها ، لذلك ترى زعماء الصناعة منقبضين لهذه الحالة ، وبعضهم — ومنهم المستر فورد — يقاومون المشروع مقاومة سلمية . فيشتكون من أن الدساتير الصناعية أسفرت عن زيادة اضطرابات العمال . فالاضراب والشغب ، ممتدان من شاطئ المحيط الاطلنطي الى شاطئ المحيط الهادى . ولذلك تراهم ينظرون نظرة تشاؤم الى الحال ، وخوفهم من زيادة نفقات الانتاج حمل بعضهم على نقل أعمالهم الى كندا . أما في مسألة نقص العمال المتعطلين فقد قصر المشروع عن الغرض الذي عينه ، مع ان ما تم لا يمكن ان يستصغر شأنه على الاطلاق فقد عين الجنرال جنسن يوم ١٠ سبتمبر الماضي ، ميعاداً لاعادة ٦٠٠٠٠٠٠ عامل الى العمل . فلما حل ذلك اليوم كان قد عاد مليوناً عامل الى العمل فقط . واعادة مليوني عامل الى العمل في خلال شهرين ليس بالأمر اليسير ، ولكن اذا نظرنا الى ان المتعطلين في اميركا كانوا يربون على ١٢ مليوناً ، عرفنا أي غرض بعيد ، وضعه الرئيس ومعاونه نصب عيونهما وقد زاد عدد العمال الذين عادوا الى العمل الآن الى نحو ثلاثة ملايين وكان الظن أنه لا يلبث ان يوضع مشروع الاعمال العامة — الطرق والتحريج والمباني العامة — موضع التنفيذ ، حتى يحتاج القاعون به الى نحو مليون من العمال ولكن تنفيذ المشروع تأخر تأخراً غير منتظر ، لقيام العراقيين الفنية في وجه مديره ، لان كل عمل من هذه الاعمال يحتاج الى دراسته مستفيضة من الوجهة الفنية والهندسية ، قبل اقراره ، واميركا بلاد مترامية الاطراف ، وهذه الدراسة لا يمكن اتمامها بسرعة ، على وجه يدعو الى الثقة

أما الحالة الزراعية فخطيرة كل الخطورة ، لان طوائف كبيرة من الفلاحين ، نائرة على الحكومة فالاضراب والشغب ممتدان في الولايات الزراعية . وقد أئذر زعماء الفلاحين ، الرئيس روزفلت . بانه اذا لم يفعل في الحال ، ما يساعد الفلاحين ، امتد الاضراب والشغب . وأصل البلاء ارتفاع اسعار المعيشة ، وهبوط أسعار الحاصلات . فما يشتره الفلاح غال . وما يبيعه رخيص . ففي خلال اربعة أشهر من ١٥ ابريل الى ١٥ يوليو ارتفعت أسعار الحاصلات قليلاً . ووعده الرئيس بعمل كل ما يمكن عمله لرفعها كذلك . ولكن رغم ما توسلت به الحكومة ، من حرق ٦ ملايين خنزير

وطمر القطن في الوف من الافدنة ، وإمداد زراع القمح بالنقد ، هبطت الاسعار ولم ترتفع . والفلاحون الاميريكيون ، لا يستطيعون ان ينظروا الى المسألة من كل وجهها ، ولا هم يدركون المصاعب التي تلقاها الحكومة ، والعراقيل التي تقوم في وجهها ، ولا هم يقدرّون الجهود الجبارة ، التي يبذلها الرئيس واصحابه وعلاقة ذلك بالازمة العالمية . وكل ما يهمهم هو ان يزيد مقدار ما ينالونه من النقد ، لقاء قطنهم ولبنهم وخضراواتهم ، ليدفعوا به ثمن ملابسهم وحاجاتهم الاخرى . فهم محققون على الحكومة والاضراب والشغب ، اعراب عن حقهم هذا . وقد حاول الرئيس وصحبه زيادة حركة البيع والشراء ، بالقيام بدعاية قوية عنيفة واسعة النطاق يدعى بها الشعب الى الشراء الآن كان شعارها « اشترؤا الآن » . ولكن الدعاية لم تسفر عن نجاح كبير . فالاسعار آخذة في الارتفاع ، والناس وقد لُسعوا ، ممتنعون عن الشراء ويميلون الى خزن درهماتهم لليوم المطير

فالرئيس روزفلت يواجه حالة صعبة معقدة . لقد فقد كثيراً من أنصاره . وبعض أصحاب البنوك والصناعات ، بل كثير منهم ، يقاومونه والفلاحون جازعون لا صبر لهم على هذه الحالة . وقد كان اتحاد العمال الاميريكي ، مؤيداً له ، وقد بدأ ينتقد . وتقلب الدولار يحير التجار والصناع . والجمهور فقد شيئاً كبيراً من حماسه . والجنرال جنسن جانباً من ثقته . فانه لما خطب في ١٦ اكتوبر الماضي أشار الى وجوب ايجاد « طريقة للخروج من هذا المأزق » وما كان يعترف به من قبل

بعد كتابة هذه السطور جاءت الانباء من الولايات المتحدة الاميريكية ان سمة التفاوض عادت الى الناس . فالاسعار عادت الى الارتفاع ، وزاد انتاج المصانع ، على ما يستدل من زيادة ما تنتجه صناعة الحديد والصلب ، ونشاطها في الغالب يؤخذ مقياساً لنشاط حركة الصناعة والتجارة في اميركا . وكان الاستاذ سبراغ خبير الخزينة قد صرح يوم استقال ان حكومة روزفلت لا تلبث ان تفقد ثقة الناس بمقدرتها المالية ، ولكن الانباء الاخيرة تشير الى ان الثقة بعالية الحكومة لا تزال كالصخر الراسي والشعب من وراء الرئيس يؤيده في محاولاته الجبارة يدل على ذلك استقرار الحال في المناطق الزراعية والمرجح ان يكون الرئيس ، عند اجتماع مجلس الامة في يناير ، السيد القابض على ناصية الحال هذه هي الحالة ملخصة . أما مقاومة بعض العناصر روزفلت فمفهومة . أصحاب المصانع والبنوك يقاومونه ، لان روزفلت لا يرمي فقط الى اعادة الرخاء الى اميركا ، بل الى اقامة الاجتماع الاميريكي على أساس ، لا يكون المرابون والماليون أصحاب السيطرة عليه . وهو يرمي الى تخفيف أعباء الديون الاهلية . والخاسر في ذلك الدائن و « البنكيير » . قد يعيد المشروع الرخاء الى اميركا . وقد يفضي بها الى الفوضى . فاذا أفضى الى الفوضى فقد يكون روزفلت آخر الرؤساء ، على ما قال في نكتة لاحد اصحابه . ولكننا نميل الى الاخذ بأن نتائج مشروع الرئيس ، أعظم من ان يحكم عليها في الحال ، وأبعد ظهوراً من شهر أو شهرين ، وسنة أو سنتين . إنه يرمي الى تنظيم الحياة الاقتصادية بعد ما كانت الحياة الاقتصادية سائرة على فلسفة Laissez—Faire أي ترك الامور تجري في أعنتها وكل دور انتقال في التاريخ يصحبه نوع من الفوضى والاضطراب ، يحير البصر ويزيغ حكم المعاصرين

الحوادث الدولية

كانت سنة ١٩٣٣ حافلة بالحوادث الدولية الجسام . ففي يناير تقلّد هتلر منصب المستشار في دولة الرايخ ، وفي مارس نصّب فرنكلن روزفلت رئيساً للولايات المتحدة الاميركية ، وما كان يتسلّم مقاليد الرأسة ، حتى دعا رؤساء الحكومات المدينة لأميركا للمباحثة في شؤون الديون وبرنامج المؤتمر الاقتصادي العالمي نخفّ في من خفّ الى واشنطن المستر مكدونلد ممثلاً لبريطانيا والمسيو هريو ممثلاً لفرنسا ، وكانا لا يزالان في عرض البحر لما أعلن الرئيس حظّر اصدار الذهب من الولايات المتحدة الاميركية . وفي يونيو اجتمع المؤتمر الاقتصادي العالمي في لندن . فظهر في الحال أن الاتفاق على المسائل الاساسية فيه متعذّر ، لان الولايات المتحدة الاميركية ، رفضت تثبيت النقد ، وجارتها في ذلك بريطانيا . ففضّ المؤتمر على ان تبقى لجنة دولية مهمتها ان تدعوه الى الاجتماع متى ظنّ ان احوال العالم الاقتصادية والمالية مواتية للاتفاق . ثم اجتمع مؤتمر نزع السلاح وفضّ على ان يجتمع في اكتوبر فلما اجتمع ثانية في اكتوبر ظهر ان الاتفاق مع المانيا متعذّر ، لانها رفضت الاقتراح الفرنسي القاضي بفترة طولها اربع سنوات لايسمح لالمانيا في خلالها ان تتسلّح . ولما اجتمعت جمعية الامم في سبتمبر واكتوبر ، وتبين لالمانيا انه لا يمكن تحقيق مبدأ المساواة الذي سلم لها به ، هجرت جمعية الامم وخرجت من مؤتمر نزع السلاح في ١٤ اكتوبر . واجريت الانتخابات الالمانية في ١٢ نوفمبر ففاز فيها هتلر بتأييد يكاد يكون اجماعياً . وخشي ان يستعمل هذا الفوز لاحداث حدث في السياسة الدولية ، ولكنه عمده في الحال الى عقد معاهدة عدم اعتداء بين المانيا وبولونيا . وفي خلال ذلك انشأت دول الاتفاق الصغير شبه اتحاد سياسي اتفقت فيه على توحيد سياستها الخارجية ، وعقدت روسيا معاهدات عدم اعتداء مع جيرانها ، وفازت في نوفمبر باعتراف حكومة الولايات المتحدة بها ، وخرجت اميركا عن قاعدة الذهب ، وعمد روزفلت الى طريقة شراء الذهب في السوق الاميركية والاسواق العالمية لخفض سعر الدولار ورفع اسعار البضائع والمحصولات الاميركية ، ونشبت ثورة في كوبا ، وتقرّبت تركيا من اليونان وبلغاريا ويوجوسلافيا ورومانيا ، واحتفلت في ٢٩ اكتوبر بانقضاء عشرين سنة على انشاء الجمهورية . واحتفظت النمسا باستقلالها بتأييد فرنسا وايطاليا وبريطانيا واعلن المجلس النازي الاعلى انه لا بدّ من اصلاح جمعية الامم . وتوالى الوزارات الفرنسية بعد سقوط وزارة دالاديه حتى فازت اخيراً وزارة المسيو شوتان في مجلس النواب والشيوخ بالموافقة على المقترحات المالية التي تمكنها من موازنة الميزانية الفرنسية ، وأسفر الانتخاب الاسباني في ١٩ نوفمبر عن اتجاه الى احزاب اليمين فحدثت حوادث شغب قام بها الشيوعيون والسنديكاليون . ولكن الحكومة قبضت على ناصية الحال وآلّت وزارة راديكالية . وفي ٣ ديسمبر اجتمع مؤتمر الجامعة الاميركية في منتشيديو عاصمة باراغواي والراجح انه يسفر عن تقلد جمهورية الارجنتين لزمامة جمهوريات اميركا الجنوبية المتوسطة

قصي علي قصة

لرابند رانات
طاغور

اول ما يتعلّم الطفل الكلام يقول جدّه : —

« قصّي علي قصة »

فتبدأ الجدّة بالحكاية قائلة : —

« كان في قديم الزمان امير وكان له صديق هو ابن الوزير . . . »

اما المعلم فيقطع الحديث على الجدّة بقوله : —

« حاصل ثلاثة مضروبة في اربعة يساوي اثني عشر »

ولا يفتأ أولئك الذين يغارون على صالح الولد يقرعون طبله اذنه بقولهم :

« حاصل ثلاثة مضروبة في اربعة يساوي اثني عشر . وهذا القول

حقيقة راهنة . اما قصة الامير فحديث خرافة . لذلك . . . »

ولكن قولهم هذا لا يحرك ساكناً في نفس الطفل لأن خياله قد

طار به الى مجاهل قطر لم يرتده قط انسان، حيث ذبح الامير الجنّي . أما

الحساب فلا اجنحة له ليحلق بالولد الى ذلك القطر النائي

فيهزّ حينئذ أولئك الذين يعنون بشؤون الطفل رؤوسهم قائلين : —

« لقد ساءت تربية هذا الولد . فلا خير منه يرتجى »

فيخرس كلام المعلم الجدّة . ولكن رواية يتلو رواية في قص

القصص على الولد بلا انقطاع . وعبثاً يعيد النصحاء النصيحة على مسمعه

بقولهم : —

« هذه قصص لم يسجلها التاريخ ، فهي روايات ملفقة كاذبة »

فمن المدرسة الابتدائية الى الاعدادية ، ومن المدرسة الاعدادية

الى الكلية ، يحاول المصاحون تقويم أود الولد ولكن مساعيهم تذهب

ادراج الرياح . فلا يستطيعون حمله على الاقلاع عن طلب القصة . فهو

ابداً يلح قائلاً : — « اريد قصة »

تتراكم القصص سنة فسنة في كل بيت من بيوت الناس في اقطار

نال جائزة

نوبل الادبية

سنة ١٩١٣

عن كتابه
الزورق الذهبي

المعمور قاطبة سواء أكانت القصة مكتوبة أم مما يرويها الرواة بينات شفاهم . فتعمر القصص كل ميراث آخر انتقل إلى المرء من آباءه واجداده ولكن قد فات المربين أن يعملوا الفكرة الصحيحة في هذا الأمر وهو أن تصنيف القصص والروايات نزعة الخالق ذاته . فإن لم تنتزع هذه العادة من نفس الخالق فليس في الاستطاعة نزعها من نفوس البشر

أخذ الخالق ، وهو منهمك في معمله ، يبنى العناصر . وكان الكون يومئذ كتلة بخارية . فنضد الصخور والمعادن طبقة فوق طبقة ولورأينا الخالق في ذلك الحين لما وجدنا أترأ لنزعة الطفولة فيه . وكل الذي صنعه حينئذ كان مما ندعوه الآن شيئاً جوهرياً

ثم لاحت بوارق الحياة . فمما العشب وبسقت الأشجار . وظهرت الطيور والوحوش والاسماك . فبنى بعضها عشاشاً وسرح بعضها على سطح الأرض ناشراً نوعه . أما البعض الآخر فاختنى تحت وجه الغمر تعاقبت الدهور . وأخيراً في ذات يوم ابتدع الخالق الإنسان . وإلى ذلك الحين كان شأن المبدع في بعض أعماله عالماً وفي البعض الآخر رازاً . أما يوم خلقه الإنسان فاصبح فناناً أديباً

فأخذ يعان النفس البشرية بحكايات يصنفها . لأن الحيوانات اكلت ونامت وربت صغارها . أما حياة الإنسان فتجركت في عناصر القصة — في تيار تكوّنت امواجه المتلاطمة من اصطدام الهوى بالانفعال والفرد بالمجتمع والعقل بالجسد والرغبة بالحرمان . وكما ان النهر ليس سوى جدول ماء جار كذلك الانسان فانه سيل تلفيق جارف . فاذا اجتمع آدميان فلا بد من ان يتساءلا قائلين : « ما الخبر ؟ ما الذي جرى ؟ » . اما الاجوبة عن هذا السؤال فقد حكت شبكة عظيمة غطت وجه الارض . وما تلك الاجوبة سوى قصة الحياة — سوى تاريخ الانسان الحقيقي

فعالمنا سده التاريخ ولحمته القصة . وليس تاريخ « اسوكا » (١)

ترجمة
عبد المسيح وزير

(١) هامل هندي بوذي مشهور ملك ٢٦٤ - ٢٢٨ او ٢٢٧ ق . م ويقول فيه المؤرخ كويان « لو كان مقياس شهرة المرء عدد القلوب التي تحترم ذكره والالسن التي هجت ولا تزال تلهج بذكره لعد « اسوكا » اشهر من « شلمان » و « قيصر »

و « اكبر » (١) الحقيقة الوحيدة في نظر الانسان . فقصة الامير الذي ارتاد الابحر السبعة في طلب الدرّة اليتيمة قصة حقيقية في نظره كتاريخ ذينك العاهلين . ولا فرق عنده بين حقيقة الانسان الخرافي وبين حقيقة الانسان التاريخي . لان بيت القصيد ليس الامر الذي يصحّ اعتمادنا عليه بل حديث الخرافة الذي يلذّ لنا استماعه دون غيره
والانسان تحفة فنية . فخالق في ابداعه الانسان لم يُعْنِ جَلَّ عنايته بعنصره الآلي ولا بعنصره الاخلاقي ، بل بذل قصاره في ابداع مخيلته . اما اولئك الذين يغارون على صالح الانسان ، فيحاولون ستر هذه الحقيقة . ولكن الحقيقة سرعان ما تشتعل فتحرق ذلك الحجاب . فينتهي الامر الى الفزع . فيحاول معلمو المدارس ومحبو الخير التوفيق بين النظام الاخلاقي وبين الخرافة . ولكن متى اجتمع الاثنان اخذ احدهما بخناق الآخر الى ان يُقضى عليهما كليهما فتعلو انقاض الخراب ركاماً

اسمان القمر

— يحلم القمر الليلة في كسل متزايد
كأنه كاعب بارعة الجمال مستندة الى وسائد شتّى
تسمر على مدار تديبها — قبل ان تهجع — يداً غافلة رفيقة
— يستسلم القمر لغشيات طويلة كأنه مشرف على الموت
وهو مستقل على ظهور مصقولة لجروف ليّنة
يسرح بصره في المرئيات البيض المتصاعدة في زرقة
الفضاء كأنها مجموعة ازدهارات
— واذا ارسل القمر دمعة خفية الى هذا العالم وهو مسترخ متقاعد
يتلقف شاعر ورع ، عدو للنوم ، تلك الدمعة الشاحبة
ذات الاضواء الملوّنة كأنها قطعة من حجر الاوپال
ثم يجعلها في قلبه بنجوة من عيون الشمس

الشاعر الفرنسي

[ترجمها بشر فارس]

المرسية Conspriacy

لشكبير ١٠٦٤-١٦١٦
 ربك يا دسياسة خبرينا لأية خسة تتحفزينا
 وفي اي التلاع وأي ليلٍ ضرير النجم اقم نجمينا
 ومالك تمنين وراء سترٍ فهل من قبج وجهك نخجلينا
 وهل أحسست لؤمك فاستدارت بك الشبهات تنحك اليقينا
 واقسم لو اجنك الف كهف يضل بهم ظلمته السفينا
 لشق الفجر ليلك واستطالت يدُ تبرك السر الدفينا
 وصدل الزند ان الححت قدحاً عليه تنفس القبس الكينا
 ولكن ان طلبت حمي منيعاً نخلف بشاشة المتبسmina
 « يوليوس قيصر » وتحت اللفظ يقطر منك ودّاً هناك تكمنين فتخفينا
 ترجمها شعراً الشيخ فؤاد باشا الخطيب

الصديق الغادر

للشريف الرضي
 وكم صاحب كالمح زافت كعوبه
 ابى بعد طول الغمز ان يتقوما
 تقبلت منه طاهراً متبلجاً
 وادمج دوني باطناً متجهما
 فأبدى كروض الحزن رقت فروعه
 واضمر كالليل الخداري مظما
 ولو أنني كشفته عن ضميره
 اقمْتُ على ما بيننا اليوم مأتما
 فلا باسطاً بالسوء ان ساءني يداً
 ولا فاغراً بالدم ان رابني فما
 كعضو رمت فيه الليالي بفادح
 ومن حمل العضو الاليم تألماً
 اذا امر الطب اللبيب بقطعه
 صبرت على إيلايه خوف نقصه
 هي المكف مض تركها بعد دأها
 اراك على قلبي وان كنت طاصياً
 حملتك حمل العين لجم بها القذى
 دع المرء مطوياً على ما ذمته
 اذا العضو لم يؤلمك الا قطعه
 ٣٥٩-٤٠٦ هـ ومن لم يوطن للصغير من الاذى
 اعرض ان يلقي اجل واعظما
 اختارها محمود محمد شاكر

الزمانه

ايها البحر الذي لا يسبر غورُهُ ، يا مَنْ اواجهُ السِنون
يا خضمَّ الزمان يا من امواههُ لوعات
قد امتزجت عبرات البشر بها حتى اصبحت لاذعة .
ايها الآتِي الذي لا ضفة لَهُ . في مدّك وجزرك
تقبض على حدود الفناء
تعاف الفرائس وتجار مستزيداً منها
ثم تمجّ حطامك عند شاطئك المتجهّم .
انت غادر في السكون ، عاتٍ في العاصفة .
من ذا الذي يحسر على خوض عبايك
ايها البحر الذي لا يسبر غوره

لثلي
١٧٩٢—١٨٢٢

في فترة
من فترات يأسه

المنهم

باعثٌ من اليأس ، ويد لا ترتعش ، واضطراب في بحار الابدية
واذا رجل اعياه التعب عن الكدح يفارق الحياة بجبهة موصومة .
هناك أشجار يستند اليها وشموس تنير سبله الملتوية ، وسبلنا
ولكن نال منه الذعر حتى فزع منه الى باب يدخل به الى دار صديق .
ايها الموت تقبّلهُ على الرُحْب مع انه قادم اليك على عجل
ولا تجعله يثير غضبك لانك تباطأت عنه
اننا زأف به ونحن دونك .

هتلر مولتر

واِنَّه لَيَسْغَرَق اذا حُبّ يتجمع فوق الامواج الابدية
ها هو ذا غلام ما انفكَّ يخطئ حتى انطلق الى داره بعنف

شاعرة اميركية
معاصرة

مساء القرية

لوشنغطن ارفنغ
الكاتب الاميري

كنت اطوف في داخلية بلاد الانكليز أروح الخاطر والنفس من عناء الاعمال . ففي عصر ذات يوم انقبت عصا الترحال في قرية خلعت عليها الطبيعة رداءً من السكينة والعزلة . والبست سكانها ثوباً من البساطة يندر في القرى الواقعة على السبل العامة . فأثيت فندق القرية حيث تناولت شيئاً من الطعام ثم خرجت امتع الطرف بمحاسن تلك المناظر . ولم أسر طويلاً حتى بلغت الكنيسة وقد قامت بمعزلٍ عن البيوت ، فاذا بها قديمة العهد . وكان النهار ماطرًا والجو لا يزال محجوباً بالغيوم المكفهرّة الا رقعة منه في الغرب انفرجت عنها السحب ، فاندفعت اشعة الشمس وراءها واضاءت اوراق الاشجار الدامعة وابتسم بها وجه الطبيعة ابتسام السكينة والهدوء . وكأن الشمس قبل الغروب تقيُّ بارئ يكاد يفارق الحياة وهو يبتسم على هموم العالم واحزانه ، وكأن سكينة انحلاله دليل على انه سيقوم الى المجد العتيق . [ثم حدث الكاتب كيف رأى جنازة تسير الى الكنيسة القديمة فاستقصى اخبارها فعرف انها جنازة فتاة ماتت ضحية حبٍ عقيم لضابطٍ قال فيه : —]

لكنه (اي الضابط) لم يفاتحها امر الحب ولا اتى على ذكره وانما هنالك من الطرق للافصاح عنه ما هو ابلغ من الكلام واسرع منه بلوغاً الى القلب واشدّ وقعاً فيه . فانقاد العينين ، ورنّة الصوت ، والرقّة التي تنبعث في كل لفظة ونظرة وحركة — هذه صورة بلاغة الحب يشعر بها الواحد ويدركها لكنه يعجز عن وصفها . فلا بدع اذا ان الفتى اكتسب قلباً خليلاً طاهراً ... اما الفتاة فاحبته وهي لا تفقه ما الحب ولم تقف لتسأل نفسها عن ذلك الشعور الذي انبثق في فؤادها فشغلها عن سائر الخواطر والعواطف فاذا حضر حبيبها صارت كلها آذاناً وعيوناً لسماع كلامه والتعلي من مرآه ، واذا غاب عادت تتأمل فيما حدث لها في اجتماعها الاخير . وكانا يقضيان زمان اللقاء يتماشيان في الحقول والهضاب المجاورة بين الخضرة والاشجار ، فعلمها ان ترى في الطبيعة حولها جمالاً جديداً لم تكن تراه وحدها

بساط الفسيولوجيا

« اعرف نفسك » حكمة كانت شعاراً لليونان الاقدمين . وهذه الحكمة على جلالة قدرها في تلك العصور القديمة ، اجلُّ شأنًا في عصرنا الحاضر . كانت معرفة اليونان بافعال الاحياء ، ووظائف اعضائها اقلَّ من معرفتنا نحن ولكن حاجتهم اليها كانت اقل من حاجتنا ، لان معيشتهم كانت اقرب الى الطبيعة من معيشتنا . فكانوا ينفقون معظم وقتهم في العراء . ولا يزدحمون ازدحامنا في الدور المقفلة . وكان طعامهم بسيطاً مغذياً . وكانت اجسامهم نشيطة لان اعمالهم كانت تتيح لهم استنشاق الهواء النقي وتمارين العضلات فلا تهزل ولا تضمر

ولكن الناس في هذا العصر مزدحمون في مدن مزدحمة . وقلَّ من تتاح له فرصة التمرين الرياضي الا اذا قصد الى ذلك ووفر له العزم والوقت والنفقة . فنحن اكثر تعرضاً منهم للأمراض المعدية ، لاننا نقيم في الغالب في دور مقفلة ، وننتقل بالسيارات الخاصة او العامة ، ونستعمل التليفون بدلاً من المشي الى مكتب صديق نريد مخاطبته ، ونأكل اصنافاً من الطعام ، يختلط فيها المفيد بالضرر ، وبعض هذه الاطعمة محضر في معامل فلا ندري هل هو نقي من الشوائب او لا . ثم ان اعمال طائفة كبيرة منا تلقي على اعصابنا عبئاً ثقيلاً ، لان عمل الدماغ ، يحلُّ عندها الى حدٍ بعيد ، محلَّ عمل العضلات

في هذه الحياة المعقّدة المضنية ، يصبح الاحتفاظ بالصحة والنشاط ، عملاً صعباً . فالناس في المدن ، يسكنون في احوال غير طبيعية حتى المعيشة في الريف تواجه مشكلات حمة معقدة . فنحن في حاجة متزايدة ، الى فهم نواميس الحياة ، لكي نتمكن من المحافظة على الصحة الخاصة والعامة فتعلّم الفسيولوجيا (الفلسفة — تعريب العراق — او علم وظائف الاعضاء اي عملها ترجمة) لا بدَّ منه لفهم القوانين الصحية وتطبيقها ، وبسائط تستهوي القارئ لما فيها من العجائب ، لانها تمُّ على حكمة الخالق في خلق كل عضو من الاعضاء ، واختصاصه بوظيفة من الوظائف ، وانشاء الصلات المحكمة بين الاعضاء جميعها ، حتى تعمل معاً عملاً متسقاً منتظماً ، هدفه صحة الكيان الفردي وسلامته

والفسيولوجيا فروع اهمها الفسيولوجيا السوية وهي دراسة الاعضاء في حالتها الطبيعية ، والفسيولوجيا التجريبية ، اذ يعتمد الباحث الى تغيير مقادير الغذاء واصنافه ودرجات الحرارة والرطوبة لمعرفة اثرها

في الجسم الحي والفسولوجيا الباثولوجية وهي دراسة الاعضاء في حالة المرض . ولكن الغرض من هذه السلسلة ، بسط اهم الحقائق عن اعضاء الجسم ووظائفها ، بكلام عام خالٍ من التعقيد . ونرجو ان يستفيد منه قراء هذا الباب وقارئاته ، الفائدة التي نرجوها من كل ما نشره في المقتطف

الاعضاء والنسج

نحن نعلم ان الاحياء تغذي وتنفس وتحس وتفرز ، والعليا منها لها دورة دموية وجهاز عصبي يتدرج تعقيداً ، بتدرجها ارتقاءً في سائر التطور . وقد يدعش بعض القراء ، اذا قلنا لهم ان النباتات كذلك تغذي وتنفس ويفرز وله سائل يدور في جسمه دوران الدم والفرق المهم بين الاحياء الدنيا والاحياء العليا ، ان الاحياء الدنيا تقوم باعمال الحياة المتقدمة جملة . جسم الكائن الذي بمجماته ، يتحرك ويتنفس ويغذي . ولكن الاحياء العليا لها اعضاء ، وكل عضو له عمل خاص به . فالقلب ، رئيس الدورة الدموية ، والمعدة للهضم ، والعين للإبصار . « فالعضو » هو ذلك الجانب من الجسم الحي الذي له عمل خاص او وظيفة خاصة ، يقوم بها . وهو في عمله هذا ، يشترك مع الاعضاء الاخرى ، في حفظ كيان الجسم الحي . واذن نستطيع ان نتصور الجسم على أنه مجموعة من الاعضاء التي تتعاون لتحقيق غرض خاص هو صحة الكيان وسلامته

بناء الاعضاء

فاذا مضينا في تحليل الاعضاء نفسها وجدنا ان العضو في الجسم ، كالنافذة في الدار او كالكرسي في البهو . فالنافذة ليست خشباً كلها وانما يدخل في بنائها الخشب والحديد والزجاج . والكرسي يدخل في تركيبه ، الخشب والجلد والقماش والقش او القطن . كذلك الانف في الجسم . فالجلد يغطيه من الخارج ، والغشاء المخاطي من الداخل ، وهو قائم على هيكل من الغضروف والعظم ويجري فيه اوعية دموية واعصاب ، وفي مدخله شعر لتنقية الهواء الذي تنفسه ، وفيه عضلات تمكننا من تحريكه ، حركة يسيرة . فالانف مؤلف من انسجة مختلفة ، أ الجلد نسيج ، والعظم نسيج ، والغضروف نسيج وهكذا . « فالنسيج » هو نوع خاص من المادة الحية يعمل عملاً واحداً . والعضو في الغالب يبني من انسجة مختلفة فاليد عضو مؤلف من عظم وعضل وعصب ودم وغيرها . وكل من هذه نسيج

التاريخ

بعد اكتشاف الميكروسكوب في مطلع القرن السابع عشر ، عمد الباحثون ، الى تكبير الانسجة النباتية والحيوانية ، بعدسته ، لمعرفة بنائها فثبت لاحدهم في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ان الانسجة مؤلفة ، من وحدات ، اشبه شيء بلبينات البناء . وكانت هذه الوحدات قد رؤيت قبل

قرن او قرنين من الزمان. فدعيت «خلايا» واحديتها «خلية» لأنه ظن انها خالية من الداخل . ولكن العالمين الالمانيين شليدين وشوان اقاما على اساس علمي نظرية « البناء الخلوي » اي ان الانسجة مؤلفة من خلايا . وكان بعض الباحثين يرى ان هذه الخلايا تتصل ببعضها ببعض بواسطة انايب دقيقة ولكن الرأي الغالب ان كل خلية مستقلة عن الاخرى ، الا بما يتبادلته عن طريق الامتصاص من السوائل

والخلايا في الجسم انواع مختلفة . وهي تختلف شكلاً وبناءً . فالخلايا « المخاطية » كالاقراص او كالاسطوانات والمسافة بين الخلية الواحدة والاخرى قليلة جداً . والخلايا « الغضروفية » كالانصاف الدوائر في شكلها وبعيدة واحديتها عن الاخرى يلاً الفراغ بينها مادة تفرزها الخلايا ، كالملاط بين النباتات في الجدار . « والخلايا العظمية » تكون ملزوزة في العظم الحديث ، ثم تبتعد بعضها عن بعض رويداً رويداً اذ يكثر ما تفرزه الخلايا فيستقر فيما بينها . وهذا الافراز يحتوي على مادة فصفات الكلس . وهو الذي يتحجر ويمنح العظم قوامه الجامد . والخلايا « العصبية » تختلف شكلاً بعضها عن بعض فبعضها مستدير وبعضها مستطيل وبعضها لا شكل له . والخلايا « العضلية » اشبه بالالياف المستدقة من اطرافها . فاذا انقبضت العضلة قصرت الالياف وثخنت من وسطها . والخلايا « الدموية » هي الكريات السابحة في سائل الدم فالكريات الحمراء اقراص والكريات البيض لاشكل خاص لها

وتختلف الخلايا حجماً كذلك . فبعض الخلايا الحيوانية الصغيرة لا يزيد على ٣.٣ من المليمتر حالة ان بيضة الدجاجة — وهي خلية فردة — قد تزيد على بضعة سنتيمترات

بناء الخلية

وقد عني الباحثون في العصر الحديث عناية خاصة ببناء الخلية . وتلخص مباحثهم في ان كل خلية مبنية من كتلة لزجة من المادة الحية (البروتوبلازما) في داخلها كتلة كثيفة تعرف بالنواة ، والظاهر ان افعال الحياة في الخلية مركزها هذه النواة . لأنه اذا ازيلت النواة من الخلية لم تطل حياتها بعد ذلك . وثمة اجزاء اخرى . فنستطيع ان نعرف الخلية بقولنا انها « كتلة من البروتوبلازما لها نواة ويحيط بها جدار في الغالب » . اما البروتوبلازما من الناحية الكيماوية ، فركبة في الغالب من عناصر الكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين والحديد والكبريت والكلسيوم والفوسفور . وقد توجد مقادير يسيرة من عناصر اخرى في بعض الخلايا . ولكن العناصر المذكورة هي العناصر الاساسية . فالبروتوبلازما ليست الحياة ، وانما هي المادة التي تنزع فيها الحياة . ولا بد لكل خلية من نواة ، ولا بد كذلك لكل نواة من بروتوبلازما تحيط بها

مياه الخمر

وتمتاز الخلايا الحية عن الجوامد ، في مقدرتها على النماء والترميم والتكاثر بالانشطار . وليس في العالم المادي مادة تتصف بهذه الصفات الا مادة البروتوبلازما . ونمو الخلية يتم بما تتمتع به من الخارج . ففي الجسم الانساني ، نتناول الغذاء ونهضمه ثم يسري في الدم فتمتصه الخلايا كل خلية تمتص ما يوافقها وتمتله . ثم ان الآلة المصنوعة من افضل انواع الفولاذ تبرى وتندثر رويداً رويداً فلا بد من تجديد اجزائها . والخلايا ايضاً يأتي عليها القدم فتندثر او يندثر جانب منها ، فيجب ان تجدد بناءها ، او ان تحمل خلايا جديدة نشيطة محل الخلايا القديمة الضعيفة . والنمو والتجدد او الترميم من صفات المادة الحية . يضاف الى ذلك ان الخلايا الحية تستطيع ان تتكاثر بالانشطار . فالخلية الواحدة تنشط خليتين . والاثنين تنشط اربعة . وهذا الانشطار نوع من التناسل في الحيوانات الدنيا والحيوانات نوران . نوع مؤلف من خلية واحدة ، تستطيع ان تقوم بافعال الحياة الاساسية كالغذاء والهضم والتنفس والحركة والتكاثر . ولكن جسم الانسان مؤلف من الوف والوف الالوف من الخلايا . على ان الخلية الواحدة منها لا تستطيع ان تقوم بافعال الحياة مستقلة عن الاخرى . لكل خلية عمل خاص ولكن عملها يتوقف على اشتراكها مع الخلايا الاخرى . فالاجسام الكثيرة الخلايا ، تعتمد على مبدأ تقسيم الاعمال ، فخلايا تختص بالتناسل ، واخرى تختص بالحركة ، واخرى بتلقي الاحساس ونقله . وتقسيم الاعمال ، والاختصاص ، اساس لاجادة العمل واتقانه ، على انهما يقتضيان التعاون التام ، بين الخلايا المختلفة والانسجة والاعضاء المتباينة . وهذا يجعل جسم الانسان آلة معقدة التركيب ، دقيقة البناء . والفصول التالية تفصل لنا هذا البناء حتى نستطيع الاحتفاظ به سليماً صحيحاً

« في العدد القادم فصل في بناء الجسم من الناحية الكيماوية »

الملح وحاجة الجسم اليه

بحث صحي علمي

يرجع استعمال الملح في طعام الانسان والحيوانات الى ابعد ازمنة التاريخ . ويروي المؤرخ اللاتيني « طاشيتوس » Tacitus الذي عاش نحو قرن واحد قبل الميلاد عن نشوب حروب طاحنة بين قبائل الجرمان طمعاً بامتلاك مناجم الملح في جوار حدود بلادهم . كما ان « بلينيوس » العالم الطبيعي الروماني صاحب الانسيكلوبيديا الشهيرة المؤلفة من ٣٧ مجلداً في تاريخ العلوم القديمة والذي هلك في انفجار

فيروث سنة ٧٩ م . قد اوصى باستعمال الملح كدواء جليل النفع في كافة الآلام الجسمية والنفسية ولم يزرغ فجر القرن الثاني عشر حتى عم استعماله هذا بين طبقات الناس فأصبح طاماماً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه لحياة الانسان وعيشه وفرضت عليه ضرائب اميرية فادحة كانت سبباً لاندلاع نيران ثورات دامية طويلة القرون الوسطى . وقد دامت هذه الفوضى حتى أواخر القرن الثامن عشر ثم زالت بزوال وطأة تلك الضرائب عن كاهل الاهلين ، لاسيما في فرنسا سنة ١٧٩٠ . لكن ما لبثت الحال ان رجعت في سنة ١٨٠٤ الى ما كانت عليه قبلاً عند ما سنت الحكومات من جديد قانوناً يقضي بفرض جباية على ملح الطعام قدرها عشرين فرنكاً للكيلو غرام الواحد ، وحتى ايامنا هذه لا يزال هذا القانون معمولاً به في كثير من البلدان ، ومنها فرنسا ، حيث لا يمكن ، بدون رخصة اغتراف ليتر واحد من ماء البحر لاستخراج الملح منه

✽ الملح في ماء البحر ✽ : الملح في الارض اما جامد كالصخر (ملح برقي) ، او ذائب في ماء البحر حيث يختلف فيه من ٢٥ غراماً الى ٣٥ غراماً في الليتر الواحد . ويذهب بعض العلماء الى ان هذا المقدار في العصور الخوالي — عند ما كانت درجة البحار أعلى مما هي عليه الآن ، اي ٤٠ الى ٤٢ درجة — لم يتعد الـ ٨ الى ٩ غرامات في الليتر الواحد . لكن الأمطار ومجاري المياه أخذت تغسل تدريجاً الاراضي الصلبة وتحرف الى الاوقيانوسات من الملح على توالي السنين ما يكفي لتغطية سطح الكرة الارضية بطبقة لا يقل سمكها عن ٢٥ متراً

✽ الملح في الجسم ✽ : يؤخذ من احصاءات العلماء ان متوسط ما يستهلكه الانسان من الملح يتباين من ٤ كيلو غرامات الى اربعة ونصف سنوياً . لكن هل هذا المقدار لازم لجسم الانسان حقيقة ؟ هذا ما يزال الكيماويون والاطباء يختلفون في تقديره . وانما هناك شيء لا ينكر وهو ان الملح ذو تأثير نافع جداً في بعض الحيوانات الداجنة لانه يساعد على هضم بعض انواع العلف والكلا وان اغلب الحيوانات المذكورة ، عدا الكلب والهر ، لها ميل خاص للطعام المالح اما مقدار ما يحويه الجسم من الملح فيبلغ بحسب الاختبارات الحديثة نحو ٢٠٠ غراماً موزعة كما يلي : ٧ غرامات بالألف في الدم ، ونحو غرام واحد بالألف في العضلات الطرية ، و ١٧٧ غرام في المادة العصبية و ١١٣ غرام في الكبد . اما العظام فخالية منه بعكس الغضاريف التي تحتوي منه على مقدار وافر كذلك نجد الملح في مفرزات جسم الانسان : فالبول يقذف منه يومياً الى الخارج نحو ١٣ غراماً (وهذا الرقم يهبط وقت وجود الحمى) ، والعرق غرامين في الاربع وعشرين ساعة ، واللعب نحو غرام واحد بالمائة ، والحليب ١٣٥ غرام في الليتر الواحد (اي اكثر من حليب البقر الذي لا يحتوي الا على ٨١ سنتغرام بالألف) . واخيراً الجهاز الهضمي الذي يحتوي على مقدار وافر منه اذ بفضل وجوده في خلايا المعدة يتكوّن الحامض الايدروكلوريك الذي يعطي للعصارة المعدية خواصها المعروفة . فاذا كثر مقدار الملح في طعامنا كثرت افرازات العصارة المعدية وليس الملح لازماً فقط لافراز العصارة المعدية هذه بل ان وجوده في الدم يساعد بوجه خاص

على طرد، كافة الاخلاط ونفاية الجسم السامة الخطرة عن طريق الكلتيين : كالحامض البولي، والكرياتين والسكر عند المصابين بداء البول السكري الخ... . واذا ما خفصنا البول بعد ثلاثة أيام من الانقطاع التام عن استعمال الملح لم نجد فيه اكثر من غرام او غرامين في الاربع وعشرين ساعة، حالة ان مقداره في الدم يبقى دائماً ثابتاً، ولهذا يجب ان نوجد الـ ١٣ غراماً من الملح المستخرجة يومياً من الجسم. فما العمل؟

ان التغذية تحل هذه المعضلة حلاً سهلاً. فالمواد الغذائية الاعتيادية تدخل يومياً في جسمنا ٧ غرامات من الملح. ولكي نكمل الـ ١٣ غراماً المطلوبة يجب ان نضيف الى اطعمتنا الستة الغرامات الناقصة وذلك بتعليق هذه الاطعمة — تليحاً قد يصل الى ١٥ و ١٧ و ٢٠ غرام يومياً بما نتناوله من المأكول المتبلة، والحساء وغيرها وذلك إما قصداً او بالعادة. وفي الواقع ان الملح مهيج للشهية والتغذية ونحن نقرط في استعماله من غير ان نشعر شأننا بوجه عام في المهيجات الاخرى كالقهوة والمشروبات الكحولية والتدخين مثلاً. وعلى كلٍ فاننا نجد في التركيب الكيميائي للاطعمة المذكورة ان نسبة الملح فيها كما يأتي : ١٥ سنتغراماً بالألف في اللتر الواحد من المرق، ونحو غرام واحد بالألف في اللحم، و ٨١ سنتغراماً بالألف في لبن البقر، و ١٢ و ١ غرام بالمائة في البيض، و ٢٣ بالمائة في سمك السمك Raie كذلك في اسماك البحر الاخرى الغنية بالملح بنوع خاص، ثم الجبن المملح... واخيراً الخبز الذي يتراوح مقدار الملح في الكيلو غرام الواحد منه من ٥ الى ١٥ غراماً بحسب كونه حادياً او فاحراً

الملح في الاطعمة النباتية: ولندكر الآن شيئاً عن الاطعمة النباتية التي لها شأن كبير والتي قدرت نسبته بنحو ٧٧٪ من مجموع اطعمة الانسان. واليك بعض الارقام عن نسبة وجود الملح في ١٠٠ جزء من البقول الطرية المحروقة: العدس ١٨ غرامات، الفاصوليا البيضاء ٣٧١ غرامات، البسلة ٩٠ غرام، الفول ٤٤ و ٢ غرامين. اما البطاطس فخالية منه عدا نوع او نوعين منها، بعكس الهليون والقنبسط (القرنبيط) اللذان يحتويان على مقدار كبير منه. لكن الانمار والفاكهة الغضة كاللفتاح والكثير (والاجاص) والخوخ والكرز الخ... فمقداره فيها ضئيل جداً ويتراوح ما بين ٣ و ١٤ سنتغراماً بالألف فيجب اذن ان نملح اطعمتنا بنسبة ٦ غرامات يومياً. ولرب سائل يسأل: هل هذا التليح الاضافي هو بالحقيقة ضروري ونافع لجسم الانسان؟ الجواب عن هذا ان المسألة لا تزال حتى الآن قيد البحث وآراء الاطباء مختلفة بشأنها. فلاستاذ ريشه Richet يجد ان غرامين ونصف من الملح تكفي يومياً لشخص وزنه ٦٠ كيلو غراماً. كما ان بعض الكيميائيين يرون ان الحد النهائي لذلك هو غرامين فقط. وفي كلتا الحالتين يظهر ان الارقام المذكورة لا تفي بحاجة الجسم، بينما السبع غرامات المنوّه عنها اعلاه هي اقرب الى الحقيقة الراهنة لانها مستندة على اختبارات فسيولوجية

عرفنا مما تقدم ان الملح يساعد على افراز العصارة المعدية ويزيد مقدار حامض الكلور، وفي بعض حالات سوء الهضم نرى الافرازات المذكورة تزداد زيادة فائقة سواء من جهة مقدارها أم من

جهة حموضتها، ومصحوبة باعراضها المختلفة المزجة : كالتهجشوات ، والتقيؤات الحامضة والحرقة الخ..
أليس بالامر المعقول اذاً أن نفتكر والحالة هذه أن بتقليلنا استعمال الملح يقل مقدار العصارة المعدية
وحموضتها ؟ ان الاختبار يؤيد هذه النظرية الصائبة لاننا كثيراً ما نشاهد زوال الاعراض المتقدم
ذكرها والشفاء من سوء الهضم ، مع تحسن في حالة الشخص العامة بفضل الاطعمة قليلة الملح او
بالامتناع عن هذا الملح مؤقتاً

✽ الملح والسكلى ✽ : ولننظر الآن من جهة تأثير الملح في السكيتين : فعندما تكون « المصفاة »
الكلوية متلبدة بالاولساخ او مصابة باحد الامراض كما هي الحال مثلاً في التهاب الكلية ، او البيلة
الآحينية Albuminurie او ايضاً مرض بريت Bright يصعب حينئذٍ على الملح أن « يمر » بتلك المصفاة
الى الخارج فيأخذ اذ ذاك يتجمع ويتراكم في الخلايا ، فيملأ الانسجة ويجذب اليه مصل الدم وتكون
النتيجة ظهور ما تراه عادة في التهابات الكلية من الترشحات والانتفاخ والاورام في الارجل
والسيقان ، والاستسقاء وغيره

فراحة للمريض من هذه الحالة المزجة إن لم تقل المؤلة ، كان لا بدّ من اتخاذ الوسائل الفعالة
المدرّة للبول والمزيلة للاعراض المذكورة الناتجة عن ركود الماء في النسيج الخلوي . وقد رأى اطباء
في الحمية عن الملح او بالافتقار الى الاطعمة قليلة الملح : كالحليب والسكر والخبز مثلاً اكبر مساعد
على ذلك ، خصوصاً في امراض القلب . وفي الواقع ان هذه الاطعمة لا تدخل في جسمنا إلاّ قدرأ
ضئيلاً جداً من الملح لا يتعدى ١٢٧ غرام في الاربع وعشرين ساعة لمائة غرام من الخبز مع
ليترين من الحليب المحلى بالسكر بنسبة ٤٠ غرام في الالف

هذا من جهة . ومن جهة اخرى اذا ما اردنا مثلاً ان نملّح الحليب او اطعمة الاشخاص
المصابين باحد الامراض المتقدم ذكرها فلا تلبث تلك الاضطرابات ان تظهر كما كانت ، وعلى الضد
نرى الاضطرابات نفسها تزول عندما نرجع الى الحمية عن الملح في طعامنا . وقد تبين الآن انه يمكن
لعصاب بالبيلة الآحينية ان يقتات كالشخص السليم — بشرط ان يكون طعامه خالياً من الملح
أما عند المبطلين بالصرع ففائدة الحمية عن الملح لا تقدر ، لا سيما اذا قرنت باستعمال برومور
البوتاس الذي هو دواء الصرع . ففي هذه الحالة يكون اثر هذا الدواء ، ولو كان مقداره يسيراً ،
اضمن واعظم فائدة مما لو كان وحده . فنستنتج من هذا كله ان الملح له فوائد ومضار ، ولا بدّ
من ان اذكر ان الافراط في استعماله يومياً يؤثر تأثيراً سيئاً جداً في اعضائنا بما يسببه من تصلب
الشرايين ، والهرم الباكر — نتيجة تراكم الملح في خلايا الجسم

فعلينا اذن ان نرجع الى المثل القديم المأثور وهو : لا زائد ولا ناقص . . بل الاعتدال في كل
شيء . وخير الامور اوسطها . فست غرامات من الملح يومياً مضافة الى اطعمتنا الاعتيادية يظهر
انها المتوسط الكافي لدوام صحة الانسان وسلامة جسمه

الدكتور عبده رزق

طبيب مستشفى تذكر مود في القورنه بالعراق

الزواج والصحة والفحص الطبي

هذه مقالة صريحة في موضوع عمراني حيوي ولا بد من مواجهة الحقائق في مثل هذه الموضوعات. فكثيرون من الوالدين يرفضون ان يزوجوا بناتهم من رجال ادمنوا المسكرات مثلاً ولكن التقاليد المرعية تمنعهم ان يسألوا هل طالب الزواج مصاب بمرض خبيثٍ معدٍ او لا . لذلك آثرنا نقل هذه المقالة المفيدة بتصرف عن مجلة الدسكفري العلمية

ان الاحوال التي يطلب فيها من الشاب ان يفحص جسمه فحسباً طبياً دقيقاً ويحصل على شهادة طبية رسمية قليلة جداً اشرها حين التأمين على حياته في شركة من شركات التأمين الكبرى فيفحصه حينئذ احد اطباء الشركة . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانضمام الى مصالحة من مصالحها . وهذا عمل القومسيون الطبي هنا . وفي بعض البلدان التجارية تطلب الشركات التجارية ذلك ممن يطلب الانضمام الى مكتب من مكاتبها البعيدة وهذا ما تفعله شركتا قاكوم وشل في مصر على ما نعلم . وفي كل هذه الاحوال لا يحسب طالب الشهادة الطبية او الفحص الطبي اهانة او امرأ غريباً وعلى الضد من ذلك نشاهد قلة الاهتمام بزواج فتيان هذا العصر وفتياته من الوجه الصحي . فشركات التأمين والحكومات والشركات التجارية تطلب شهادة صحية لتؤمن على مصالحها اذ نعلم ان من يتولى السهر على تلك المصالح كفوء من الوجهة الصحية . ولكن ما اكثر الرجال الذين تراهم مستعدين للتضحية بسعادتهم مدى الحياة لانهم لم يهتموا بفحص صحتهم فحسباً طبياً دقيقاً والتأكد من انهم صالحون للزواج

فن الواجب ان تتخذ خطة جديدة في امر الزواج . وكل الذين على اهبتهم سواء كانوا رجالاً او نساءً وكل الآباء يجب ان يطالبوا بحق لهم وهو الوقوف على حالة طالب الزواج الصحية وهل هو سليم من الامراض المعدية . فما من شاب يجرب ان يخفي عن حميه حالته المالية مع ان الاسئلة التي توجه اليه في هذا الموضوع تحسب مخلة باللياقة ولكن الامور الصحية اهم بما لا يقاس من الامور المالية كثيرين لا يعيرون علم « اصلاح النسل » Eugenics التفاتاً لانهم يرون ان قواعده تقضي بان يكون المتزوجون من مستوى واحد في العقل والجسم والطبقة الاجتماعية وان عاطفة الحب الجنسي يجب ألا تكون الدليل الى الزواج وهذه امور لا يحتملها العمران الآن . لكن لماذا نختلف على الاسماء والمسألة المهمة بسيطة جداً وهي ان علم الطب ارتقى ارتقاءً كبيراً واصبح الطبيب البارع قادراً ان يشخص الامراض المعدية بدقة تامة . وكثيرون من المصابين بهذه الامراض لا يدرون انهم مصابون بها . لذلك يجب ان ينشأ رأي عام يقضي بفحص طالبي الزواج فحسباً طبياً دقيقاً واذا كانوا مصابين يجب ألا يتزوجوا ما زالوا كذلك

فعلى والد كل فتاة ان يعرف هل زوجها العتيد مصاب بالسل مثلاً او بمرض زهري . وتلك المعرفة في مصلحة ابنته وهي مما يسهل الحصول عليه

مكروب السل معروف شكله وكل بكتيريولوجي يستطيع البت في هل هو في بصاق احد او لا .
فاذا كان في بصاق احد فصاحب ذلك البصاق يجب الا يتزوج لانه اذا تزوج اعدى امرأته واولاده
ايضاً . والحوادث التي تؤيد هذا القول كثيرة

كذلك امتحان الدم يظهر بصورة لا تقبل الشك هل صاحب الدم مصاب بمرض زهري . ولا شك
ان القارئ يستطيع ان يعدد الامثلة التي هدمت فيها سعادة عائلة اتصل مكروب احد هذه الامراض
الخبينة الى افرادها لان الوالد لم يهتم بفحص جسمه قبل اقدمه على الزواج
فالواجب يقضي اذاً على كل رجل شريف ان يكون على بينة من حالته الصحية قبل ان يقدم على
الزواج . ولكن كثيرين من الرجال يصابون بمرض خبيث معد ولا يدرون لذلك يقع الواجب على
والد الفتاة بان ينبه صهره العتيد الى ذلك الامر وان لا يكتفي بعد ذلك الا بشهادة طبية رسمية .
وذلك لا يعني انه في حالة الاصابة يمنع عقد الزواج بين شاب وفتاة قد تحابا بل يؤجل الزواج ما زال
احدهما مصاباً وعلى المصاب ان يتعالج حتى ينال الشفاء التام وهذا ليس بالامر المستحيل على الطب
في هذا العصر

وهناك مسألة الامراض العقلية الموروثة وهي معقدة لا يسهل البت فيها كالسل وغيره . فقد
تعلم فتاة ان خطيبها من والدين ماتا في بيمارستان المجانين وترفض الانفصال عنه وقد تكون في ذلك
على حق ولكن خير لها ان تعرف ذلك قبل ان تعلن عزمها النهائي فان كون والديه مجنونين لا يستلزم
انتقال الجنون اليه وهذا تشارلس لام احد كبار الكتّاب عند الانكليز كان ابن معتوهين واخا معتوه
كذلك قد يظهر الفحص الطبي ضعفاً في القلب وقد يصاب صاحب القلب الضعيف بما يقعه
عن العمل كل حياته . فيقول قائل ان زواجاً أبطل لهذا السبب يكون ابطاله مدعاة للخجل فنقول
ان الاهتمام بمثل هذه المسألة يوازي الاهتمام بمسألة ثروة الخطيب على الاقل

لم نذكر حتى الآن فوائد فحص المرأة فصاً طبياً قبل زواجها لان الرجل في الاسرة عليه
المعول في اعاتها ولذلك يجب ان نغير صحته التفاتاً كبيراً
لكن على المرأة ان تعرف بعض الحقائق عن حالتها الصحية لئلا يكون زواجها مجلبة للتعس
والالم والشقاء . فبعض النساء تعسر عليهن الولادة لسبب في تكوين اعضاء الولادة . وهناك بعض
الامراض الوراثية التي لا تنتقل الا بالنساء اشهرها النزف الدموي ولكنه نادر جداً لا يهمننا بحثه هنا
فالحاجة اذاً جليلة غاية الجلاء وقد يأتي يوم يصبح الزواج المنعقد بين اثنين احدهما مصاب بمرض
معد جريمة يعاقب عليها . والوالد الذي يهمل البحث عن صحة صهره العتيد باخلاص مسؤول لدى
ابنته التي يحق لها ان تعتمد عليه في ذلك

الاهمية التعليم المنزلي للفتاة

بقلم المربية الفاضلة فاطمة فهمي

الرجل بدون البيت وبدون المرأة شريد في هذا العالم . فاذا سلمنا بهذا الاعتراف وجب ان يكون شاغل الامة الاول هو البيت وتعليم ربة البيت ، ثم لا يهم بعد ذلك ماذا يكون شاغلها الثاني او الثالث ، فقد بعثت المرأة منذ البدء لتكوين البيت وتهذيب المعيشة فيه وتربية الاطفال وسيظل البيت يطلب منها الى ما شاء الله القيام بهذه المهمة رغم اتساع دائرة اعمالها اليوم . فاذا فهمت كل فتاة ذلك جيداً ما احتقرت البيت واعتبرت العمل فيه مهيناً لها بل رأت فيه عظمة المهنة التي خصتها بها الطبيعة

أقول ذلك وقلبي مفعم بالاسى إذ حينما ادركت وزارة المعارف خطر هذا التعليم لكل فتاة وشكى بعض الآباء خلو المناهج منه أدخلته في باقي مدارسها (الثانوية للبنات) ولكن جعلته علماً اختيارياً فلم يقبل عليه مع الاسف إلا القليلات . وقد عتبت على طالبة ذكية عدم التحاقها بهذا القسم فكانت حجتها انه عمل شاق غير جذاب وترى انه من ظلم الرجل ان يخصها به ! وهذا نقص في العقل دون شك اوجده نقص التعليم المنزلي في التعليم العام . فلو جعلنا هذا التعليم أساساً لتعليم البنت مطلقاً ونهجننا فيه نهجاً صحيحاً كان وسيلة لتربية عقلها وقلبها واعتبرته عملاً مثقفاً ذا خطورة اجتماعية وقومية واقتصادية ولا حترمت البيت وعاشت له وعملت من أجله

وان اكبر وسيلة للقضاء على حب الترفه والراحة وعلى الاستخفاف بالحياة المنزلية التي يشكو منها العالم كله اليوم هو تعليم الفتاة واجباتها التي بعثت من أجلها قبل كل شيء آخر — وليست العلوم المنزلية علوماً آلية كما يظن البعض ولكنها من الفنون الجميلة التي تثقف العقل وتربي حسن الذوق فإن كياسة ترتيب البيوت وملاحظة نظامها تقن الفتاة بحب الاشياء الجميلة وتعلمها تقدير الجمال في الانسجام . وان الاشياء التي نراها كل يوم عادية تستطيع المرأة الملمة بفن التعليم المنزلي بحسن ترتيبها وتنسيقها ان تكسبها بهاءً جديداً تراءى في شكل فني ظريف . وليس هذا فقط فقد تخلق ابهى الاشياء من لا شيء

ومنذ سنوات جاء ضمن اسئلة امتحان التدبير العملي لفتاة مصرية بانكثرا عمل ثلاث اشياء جديدة من ملابس بالية وقصاصات مختلفة من الاقمشة فعملت مظلة لمصباح من منديل للرأس من الحرير كالذي تلبسه الفلاحات عندنا . ثم نموذجاً صغيراً لستارة من البفتة السمراء بعد خياطة قطع عليها من قصاصات القماش المشجر فبدا كأنه ورد بالبويا ابدع صنعه واتقن تولينه — واخيراً من

جميع القصاصات الباقية كوَّنت وسادة تسر رؤيتها العين — وقد احتفظت بها جميعها الى عهد قريب فكانت موضع اعجاب الكثير

وهذا مثل بسيط يتبين منه كيف يمكن الانتفاع بهذا الفن في كل خطوة من خطوات البيت — هذا عدا ما في خدمة الغير من اعضاء الاسرة لاسيما المرضى والشيخوخ والاطفال وفي اصلاح ما أفسده الضعف وأفسدته الايام . واذا كانت بعض ممالك اوربا قد جعلت هذا الفن اجبارياً كما انشأ بعضها جمعيات للعمل على منع المرأة من هجر منزلها فأولى بنا نحن الذين تثبت بيوتنا من الفوضى ألا ننص طبقة دون سواها بهذا الجزء الهام من التعليم فانه لازم لجميع الطبقات على السواء . للفقيرة كي تعمل بنفسها والمتيسرة كي تعمل بمن يساعدها والغنية ليكون اشرفها اشراف الملم بجميع الامور فلا تنخدع بالظاهر ولا تعيش تحت رحمة الخدم طول حياتها . وقد فكرت وزارتنا في انشاء مدرسة عليا لتعليم هذا الفن تعليماً صحيحاً يتفق وثقافة الفتاة الحديثة . والامل كبير في تنفيذ الفكرة سريعاً وان كانت مدرسة واحدة لا تسد رمق الحاجة الا انها على كل حال تكون نواة صالحة لعدة مدارس في المستقبل وحينئذٍ تظهر للمرأة الصالحة ويمهد راحة الانسان وخيره وهو «البيت»

والفتاة المصرية الى عهد قريب كانت تتعلم شؤون الدار من امها بالتقليد، على اعتبار ان التعليم المنزلي لا يحتاج الى دراسة نظرية منظمة ، ولا يحتاج الى تعليم مدرسي . ولكن الاخذ بهذه الفكرة ، له خطره على الثقافة النسوية وعلى تطور البيت المصري

واظهر نتيجة لهذا ، الجحود في نظامنا المنزلي من طهي او حياكة او تنسيق لاثاث البيت . فالفتاة المصرية التي تعرف شيئاً من الطهي تنقله من امها او من الخادومات العارفات بذلك وهؤلاء عمن سبقهن وهكذا . لهذا كانت المحافظة على اساليب الطهي قوية ثابتة في حياتنا المنزلية ، فألوان الطعام التي كانت مستعملة منذ قرن مضى ما زلنا نستعملها الى اليوم

والتجديد في الطهي امرٌ لا بد منه ، فالمواد الاولية التي نستعملها الآن في الطهي ليست هي المواد القليلة التي كانت معروفة في القرن الماضي ، فهذا بطبيعته قد وسَّع دائرة الطهي . وليس للفتاة المصرية ان تعتمد فقط على التقليد في تعليمها المنزلي ، بل لا بد وان تعرف الاسس النظرية التي بنيت عليها التعاليم المنزلية ، وهذا ما يميز اليد العاملة ، من اليد المفكرة المتفنتة التي للفتاة المتقنة تثقيفاً شاملاً

وما نقوله عن التجديد في الطهي نقوله عن التجديد في تأثيث المنزل وعن الحياكة والتطريز وعن ادارة المنزل . كل هذا يؤكد لنا اهمية التعليم المنزلي المدرسي ، ويوضح لنا ان النهضة النسوية في مصر لا تزال قاصرة الى ان تعنى العناية اللائقة بأخص ما يعني المرأة وهو التعليم المنزلي

فاطمة فهمي

ناظرة مدرسة المعلمات بالقبة وخريجة لندن



عَقْلُ الطِّفْلِ

فِي تَطَوُّرِهِ

بقلم احمد عطية الله

مقدمة عن الطفولة — ان اهتمام الآباء بمستقبل ابنائهم ، والتفكير في اعدادهم للغد ، يحدوهم الى تناسي حاضر هؤلاء الاطفال ولا يتيح لهم الفرصة للبحث في تكوين الطفل الجسدي والعقلي ، ولا في التطورات التي يسير عليها عاماً بعد عام منذ ولادته فالطفل في نظر بعض الآباء وهو في سنته الثالثة هو نفسه في العاشرة من عمره ، بل ان كثيراً من الآباء لا يزالون يعاملون ابنائهم وقد اصحوا شباناً كما كانوا يعاملونهم في سن السابعة ؟ وان كان يرجع بعض هذا الى تكوين العادة فيهم الا انه يوضح لنا ان اهتمام الآباء بدراسة اطفالهم دراسة جدية ، وعنايتهم بتعرف تطورات هؤلاء الاطفال الجسمية والنفسية ضعيف عند البعض ، بل ومنعدم عند البعض الآخر

ولا ينجم ضعف العناية بدراسة الاطفال عن اهمال فحسب ، بل ان القائمين بتربية الطفل آباء كانوا ام معلمين ، يكونون فكرة خاطئة عن تكوين الطفل وعن استعداداته ، فيأخذونه بوسائل تعوق نموه الطبيعي ، وتضر باستعداداته ، وتجعل عمل التربية مستحيلاً . فالاعتقاد الذي كان سائداً في القرون الوسطى بأن الطفل ما هو الا رجل صغير ، كان عاملاً اساسياً في فساد الوسائل التي كان يأخذ بها القائمون بالتعليم في تلك العصور ، كاهتمامهم بتقليده البالغين في لباسهم وفي تقاليدهم الاجتماعية وعنايتهم بتلقيه العلوم الفلسفية والدينية والاخلاقية

كيف بدأت دراسة الطفل — والنهضة العلمية الحديثة التي انفجرت في اوربا واميركا في اواخر القرن الماضي والتي عملت على تقدم كثير من العلوم والدراسات ، ساعدت ايضاً على ظهور علوم ودراسات لم تكن معروفة من قبل وكان هذا نتيجة لتقدم البحث وارتقاء طرق التنقيب في العلوم الاخرى . فدراسة الاطفال وهي احدى هذه الدراسات الجديدة ، لم تصدر علماً مستقلاً له طرقه ومادته وأغراضه ، الا منذ نصف قرن . ولا شك ان عوامل لم تكن موجودة من قبل ساعدت على ظهور هذا العلم ، وعلى اعطائه المكانة التي له الآن . فمن هذه العوامل التقدم الكبير في دراسة علم النفس ، الذي يدور البحث فيه على مظاهر الحياة العقلية عند الانسان . فباتساع دائرة هذه الدراسة ابتداءً بالباحثون يشعرون (اولاً) بأن هناك فروقاً بين الاستعداد العقلي للرجل البالغ وبين الاستعداد العقلي للطفل

(ثانياً) بأن الطفل يسير في مراحل حتى يصل الى طور الرجولة الكاملة ، وهذا التطور يحدث تدريجياً الى ان يقف في سن خاصة

(ثالثاً) ان لكل طور من اطوار الطفولة مميزات خاصة ؟

التربية ودراسة عقل الطفل — مشكلة التربية كانت عاملاً أساسياً على الاهتمام بجعل دراسة الطفل علماً مستقلاً له شأنه الخاص . ولقد اخذ هذا الاهتمام مظاهر متعددة ، منها انصراف جماعة من العلماء الى دراسة طبائع اطفالهم ، وجعل هؤلاء الاطفال ميداناً لبحاثهم وتجاربهم ، فجعلوا سجلاً لحياة هؤلاء الاطفال يقيدون فيه كل ما يشاهدونه ماثلاً في سلوكهم منذ ولادتهم . ومن هؤلاء دارون في انجلترا ، وبرير في المانيا ، واستاني هول في امريكا ، فهذه الابحاث الفردية وان لم تكن قد جعلت دراسة الاطفال علماً مستقلاً في نظرياته فهي على الاقل قد ولدت الميل لدراسة الطفل على انه موضوع حري بالدراسة

ثم ان تكوين جمعيات الآباء والامهات صارت خطوة جديدة في تاريخ هذا العلم ، وان كانت النتائج التي وصلت اليها مثل هذه الجمعيات ليس من السهل ان تقرر صحتها لانها مبنية على المشاهدات الخاصة التي قد تخطيء وقد تصيب ، الا ان هذه الجمعيات قد مهدت السبيل الى تكوين جمعيات اخرى قوامها الاخصائيون في الطب وعلم النفس جعلوا الطفل محور دراستهم وعلى هذه الابحاث تقدمت دراسة الطفولة ، تقدماً محسوساً في هذه السنين الاخيرة

وليست مشكلة التعليم فقط هي التي عملت على الاهتمام بدراسة الطفل ، بل ان تقدم المجمع الانساني خلق عوامل اخرى ، كان لها الفضل ايضاً في التوسع في دراسة الطفل فمن هذه العوامل مشكلة تشغيل الاطفال في بعض المهن والصناعات ، وبحث انواع المهن التي تكون اصلح لاستعداد الاطفال الفسيولوجي والعقلي ، وعدد الساعات التي يشتغلها الطفل ، مع دراسة الاضرار التي تنجم عن تشغيل الاطفال في سن مبكرة

ثم هناك مسألة الاجرام عند الاطفال ، ودراسة الاسباب الداعية له ، وتقدير مسئولية الاطفال القضائية والاخلاقية ، وبحث انواع العقوبات الناجمة لتلافي هذه الاضرار

ثم هنالك مسألة الشذوذ العقلي عند الاطفال ، والمظاهر الشاذة لسلوك الاطفال كالهروب من البيت والمدرسة ، والميل الى تكوين العصابات كل هذه العوامل جعلت الاهتمام بدراسة الطفل ضرورة لا يحصى منها . اذا اردنا ان نأخذ الطفل بالوسائل الانسانية الطمعية احمد عطية الله عضو المجمع البريطاني لعلم النفس

المقال الثاني

معنى الطفولة ومميزاتها العامة وطرق دراستها

المقال الثالث

النمو الحسي عند الاطفال

المقال الرابع

تطور عقل الطفل من الولادة الى العام الثالث

الاولاد ودرس الطبيعة

كتاب الطبيعة مفتوح امام جميع الناس ، ودارسه لا يحتاج الى تعلم حروف الهجاء ولا الى درس لغة اجنبية ، بل يكتفى فيه ، ان يفتح الانسان عينيه واذنيه وينظر ويقابل ويستنتج . واذا كان له منبه ينبهه الى امامه ، ومرشد يرشده الى كيفية النظر والبحث والمقابلة جرى في هذا الدرس من نفسه بعد ذلك . والاولاد يحبون الطبيعة . انظر اليهم في بستان يرحون بين اشجاره ورياحينه ويقطفون من ثماره وازهاره . او انظر اليهم على شاطئ البحر ، يجمعون الابواق والاصداف ، او يحفرون خنادق الرمل ، ويبنون منه الدور والقلاع . او راقبهم يحتضنون اجراء الكلاب والهررة او يراقبون حركات الطيور في افقاصها تجد البهجة والحبور على وجوههم . وفي حركاتهم . حتى الطفل الصغير الذي لم يناهز السنة يتهيج بمنظر جرو او عصفور اكثر مما يتهيج بمنظر والديه ثم اذا كبر الولد وصار رجلا او امرأة ، كثرت مطالب الحياة عليه او اضطر ان يوجه اهتمامه الى امور اخرى ، لكن الميل الى الطبيعة يبقى في نفسه ويعود الى شدته متى شاخ . واذا ربي من صغره على درس الطبيعة ، وتعشقا وجد فيها عزاء وسلوى عن هموم الحياة ومتاعها ، مهما كان سنه وهنا مجال واسع للام الحكيمه لكي تربي اولادها على درس الطبيعة . مثال ذلك ان الاولاد يقطفون الازهار ويلعبون بها ثم يرمونها . فالام الحكيمه تلتفت اليها وتخبر ولدها كيف تنمو الازهار ، وكيف تتكون البذور منها . والوقت الذي تنمو فيه من السنة . وتقابل زهرة باخرى . فيتعلم الولد منها امورا كثيرة من علم النبات ، وهو غير منقل بهم الدرس والمذاكرة ولا بد ان يكون ذلك كله بلغة يفهمها الولد ، وبصور وتشابه ، يدركها عقله والاولاد يسرون برؤية الطيور على الاشجار والاسماك في البرك . والام الحكيمه تستطيع ان تغتنم الفرص حين رؤيتها وتذكر لهم قصصا كثيرة عن الطيور والاسماك تشرح لهم فيها طبائعها ومعلوم ان الوالدة لا تستطيع شيئا من ذلك ما لم تكن هي قد قرأت كتاب الطبيعة وطالعت كثيرا مما كتبه الكتاب في الموضوع . ومن هنا مقام علوم التاريخ الطبيعى والطبيعة في مدارس البنات واذا ربي الولد على حب الطبيعة ، بقي عمره كله فرحا بها وزاد ذلك في سروره ولين عريكته وترى في هذا الصدد ان ملك اسوج خرج مرة هو وزوجته بجولال لجمع النباتات والازهار وركبا حمارين ولم يكن معهما الا خادم واحد فالتقى بهما رجل فرنسي من علماء النبات وظنهما مثله من علماء النبات ، وجال معهما وبقي الثلاثة يبحثون عن النباتات الى الظهر فطلب منهما ان يدللاه على مكان يتغذى فيه فقال له الملك تعال هنا نغديك في بيتنا فشكره العالم وسار معهما الى ان وقفا امام القصر . فالتفت العالم دهشا . فقال له الملك الامر كما ترى وانا ملك اسوج ولكن ذلك لا يمنعك من ان تتغذى معنا . وكان حديث المائدة على النبات . وكذلك ترى ان عشاق الطبيعة متساوون في حبهم لها وفي نسبتهم اليها

مميزات الطفل النفسية

بين الثالثة والتاسعة من عمره

— ١ —

ان حواس الطفل في الدور الاول من حياته حساسة كاللوح الفوتوغرافي تتأثر بكل ما يقع ضمن دائرتها وهي في هذا الدور من الحياة لا تزال كذلك وعليها يجب ان نعتمد في نقل الافكار الجديدة والمبادئ العلمية الاولى لانها منافذ النفس وابواب العلوم

لو كان المعلم يستطيع ان ينقل الافكار من عقله الى عقل تلميذه كما ينقل قطعة من الاثاث من مكان الى آخر لكان فن التعليم اسهل الفنون وابسطها بل لما كان فناً على الاطلاق . ولكن انى له ان يفعل ذلك والتلميذ لديه معلومات محدودة نفذت الى مكان عقله عن طريق حواسه وكما اراد المعلم ان يضيف الى هذه المعلومات شيئاً جديداً وجب عليه ان يفسره بعبارات مألوقة لدى الولد . على اننا لا نعلم الولد سوى كلمات وعبارات لا يفهم لها معنى ولا يقوم لها في عقله صورة ما لم تكن في جزئياتها مطابقة لكلمات وعبارات عرفها قبلاً وان كان مجموعها جديداً

يعرف كاتب هذه السطور ولداً يُربى عمره على الثلاث سنوات اطعمته امة في احد الايام قطعة من الحلوى المعروفة في لبنان «بالسنيوره» وذكرت امامه هذا الاسم وفي صباح اليوم الثاني جاءت الى بيتهم بائعة اللبن واتفق ان اسمها او كنيها كان سنيوره فلما دعته امه باسمها نظر اليها متعجباً وسألها قائلاً — انا اكلتك يا سنيوره فمن أين اتيت الآن ؟ ويروي ايضاً عن فتاة رأت شاربى خالها الصغيرين ولم تكن قد لاحظتهما من قبل فسألتهم وأخرجته بسؤالها — «أهذا حاجب ثالث ؟» فالولد مثل كل احد من الناس لا يستطيع ان يدرك الجديد الا بعد ان يجد فيه علاقات تربطه بشياء قديمة يعرفها . كذلك لا نقدر ان نتصور المستقبل الا بدرس الماضي وما التاريخ سوى سلسلة منظومة الحلقات يرتبط تاليها بسابقتها

فتقديم الافكار الجديدة بطريقة سهلة وبعبارات مألوقة لدى التلميذ ، تقرب اليه المعنى وتسهل عليه الفهم والادراك وهذا هو واجب المعلم الاكبر . وهو السر في نجاح بعض الكتاب والمؤلفين واخفاق البعض الآخر . لذلك يتحتم على المعلم ان يدرس معارف تلاميذه قبل الشروع في تعليمهم لكي يصبح على بيئته مما هو فاعل والا ذهبته اتعابه ادراج الرياح

— ٢ —

قوة التصور والخيال لها أثر كبير في تكيف حياة الولد في هذا الدور من الحياة ومن اهم مظاهرها

تعطشه لسماع القصص . على أنه يتطلب الآن قصصاً مترابطة الاجزاء منسقة الحوادث تتلو مسبباتها اسبابها فترسم له صوراً من الحياة فاذا كان المعلم محدثاً ماهراً قدر ان يستهوي الولد بقصصه وأحاديثه . وعليه ان لا يودعها المبادئ الفلسفية العالية التي لا يتمكن الولد من ادراك كنهها . وزد على ذلك فان الولد يصبح قادراً في هذا الدور من الحياة على التفريق بين الحقيقة والخيال وتظهر فيه قوة التصور والتمييز والتفضيل والنقد البسيط فبينما نرى الطفل في الدور الاول من طفولته لا يفرق بين القصص الوهمية الخرافية والحوادث الواقعية الحقيقية تجده في هذا الدور وبوجه خاص في نصفه الثاني مميّزاً منتقداً يسأل « هل هذا صحيح ؟ » و « هل هذا في حيز المكان ؟ » والاشياء التي يصدقها لمجرد سماعها يطلب الآن ان يقف على اسرارها وخفاياها . فلذلك يجب على المعلم ان يولج قليلاً الى هيكل الحقيقة الفخم وان يطلعها على الاسرار البسيطة التي يقدر ان يفهمها فيزداد بذلك كثر معارفه واختباراته ويصبح مستعداً للدرجة الثانية في سلم التقدم العلمي ومراتب النشوء الفكري مما سبق ينضح لنا ان قوة الفهم والادراك بدأت بالتنبه والظهور ولا يكتمل نموها الا في دور البلوغ

— ٣ —

لا يمر يوم جديد من حياة الولد الا ويأتيه باختبار جديد يضيفه الى اختباراته السابقة ويبدأ بفهم المبادئ الطبيعية البسيطة فيربطها بعضها ببعض ويوجد بينها علاقة السبب بالمسبب ويعلم انه اذا وقع السبب فلا بد من وقوع المسبب . وعلى المعلم ان يتوقف عن قصص الجن والحكايات الخرافية حينئذ لان تلميذه بدأ يدرك الحقيقة الطبيعية الكبرى في مبدأها الاولي — وهي ان الاشياء تسبب بعضها بعضاً

وهذا الانتقال لا يتم الا تدريجياً ولكنه يظهر في دور الطفولة الثاني . فوجود الولد في المدرسة يوسع دائرة اطلاعه وأفق نظره الى الحياة ويولد فيها افكاراً كثيرة لم يسبق لها وجود في عقله فينمو نمواً عقلياً سريعاً . كذلك تكثر اسئلته لانه يريد ان يفهم العلاقات المختلفة بين شتى الامور ليكون كلاً كاملاً في جميع جزئياته ولذلك يريد ان يربط هذه الاجزاء بنواميس وقوانين شاملة يدركها ويفهمها هو . ومن هذا القبيل يتعرض المعلم الى ارتكاب ثلاث اغاليط وهي :

١ — ان يحسب المعلم الولد قادراً على ادراك كل شيء مهما يكن بسيطاً فيفسر له المبادئ العلمية الجديدة لديه كما لو كان يفسرها لشبان قد اكتملت فيهم قوى الفهم والادراك . نعم ان الولد شرع يفهم علاقة السبب بالمسبب لانهما يحدثان معاً في زمن واحد وفي مكان واحد . تشرق الشمس فينتشر النور في الآفاق . هو يعرف هذه الحقيقة لان الامر ينقعان في زمن واحد ولكنه لا يفهم التعليل الفلسفي ولا العلاقة المنطقية بين الشروق وانتشار النور . انه لا يستطيع ان يفهم هذه العلاقات قبل ادراك سن البلوغ حينما يكتمل فيه نمو القوى العاقلة

٢ — ان الاعمال السافلة في رأيه هي الاعمال التي يرافقها العقاب العنيف او غضب الوالدين

الشديد . والاعمال الحسنة هي التي يسر بها والداه واقاربهُ وتعود عليه بالثناء . فهو لا يستطيع ادراك القوانين الادبية بمعناها الفلسفي البعيد الغور ولكنه يفهمها كسبب ونتيجة لانه يحكم على الأمور بعواقبها وعلى الحوادث بنتائجها . فلذلك يجب ان يكون نصحناء وارشادنا موافقاً لأعمالنا وسلوكنا فاذا قلنا ان الكذب ممنوع يجب ان نعاقب الولد كلما كذب حتى تثبت له ان الكذب عاقبته وبيلة واذا امتدحنا الصدق امامه فعلياً ان نشي عليه حينما يصدق في اقواله وافعاله او نحيزه على ذلك . على اننا قد نرى مسوغاً لمخالفة بعض القوانين والخروج عليها في بعض الاحيان فنفعل غير ما نقول ، لسبب نعتقده كافياً ولكن يجب ان نتجنب هذه المخالفات امامه لانه غير قادر ان يفهم السبب مهما تكن الحججة بالغة والدليل قوياً ، فيحدث ذلك تشويشاً في عقله ويصبح كأنه سائر في ظلمات حالكة يتلمس طريقه تلمساً ولا يهتدي الى السبيل القويم . يجب ان نحيطه بنظام ادبي شامل لا يتغير ولا يتبدل فينشأ وللمبادئ والعادات التي كسبها في صغره سلطة النواميس الطبيعية وقوتها

٣ — الصراحة والاخلاص — ذكرنا ان الطفل في هذا الدور من الحياة كثير الاسئلة ولذلك يتحتم علينا ان نكون في اجوبتنا عنها مثلاً للصراحة والاخلاص . المقترنين بالحكمة فالولد الذي يسأل امه لتطلعهُ على حقيقة الغول ولا تصدقه الخبر لا يلبث ان يعرف خطأه حينما يضحك منه رفاقهُ في المدرسة فيترك ضحكهم اثرأ سيئاً في نفسه فيعتقد ان امه عرضته لتلك الصدمة الاجتماعية لانها لا تخلص له القول ولم تصارحه الحقيقة فيفقد ثقته الكبيرة بها . والطفل في هذه السن باشد حاجة الى عطف الام وحنانها ونصحها وارشادها فاذا فقد ثقته بها فبمن يلوذ ؟ كذلك المعلم الذي يطلب من تلاميذه ان يعتقدوا شيئاً لا يعتقدوه ولا يطلعهم على السبب الذي دفعه الى ذلك لانهم في رأيه لا يستطيعون ادراكه يرتكب الخطأ عينه لان الولد يلوم المعلم حينما يقف على جهله وقد كان من واجب المعلم ان يطلعهُ بصراحة واخلاص على الحقيقة . نخير للتلميذ ان لا يذكر الموضوع امامه على الاطلاق من ان يذكره ناقصاً مشوهاً

— ٤ —

ان الولد في هذا الدور يميل الى قراءة الروايات ومطالعة الاشعار القصصية الحماسية . فلنحرب ان نربي فيه عادة حميدة هي مطالعة الروايات الشهيرة المعروفة بحسن اسلوبها وبلاغة تعابيرها وما تعيه من الحكم والعبر . وقد يحجى التلميذ الى معلمه ويسأله أحقيقة وقائع تلك الرواية ام لا ؟ فعلى المعلم عندئذ ان يصدقهُ الخبر فيقول : كلا ان هذه الحوادث كما هي ليست واقعية ولكن ألا تظن ان هناك حوادث كثيرة مثلها ؟ ألا تظن ان الحكم التي وعها حكم غالية والنصح ثمين يحسن بنا الجري عليه فيصبح المعلم ملجأ التلميذ عند اضطراب بحر الوجود ، يعتمد عليه ويلوذ به حين تقوم في وجهه مشاكل الحياة فيأتيه طالباً عونهُ وارشاده للسير في سبل النماء الفكري والادبي حتى يصبح قادراً ان يعتمد على نفسه . واذ ذاك تصير المبادئ التي كونها في صغره والاخلاق التي وضعت اركانها في طفولته حصن حياته الاجتماعية الحصين ومعقلها الثابت الاركان

باب المراسلة والمناظرة

في محور الشعر

حول نقد « صنّاجة » الرياشي

بقلم بشر فارس

نقد الشاعر حسن كامل الصيرفي ديوان قبلاَن افندي الرياشي في « مقتطف » شهر ديسمبر الماضي . وليس لي ان اتعرض لذلك النقد . الا انني اصبت فيه ما لم اطمئن اليه . فلقد ذهب الاستاذ الصيرفي الى ان للشاعر سقطات في الوزن ، والذي عندي انه وهم فيما ذهب اليه . واليك بيان ذلك قال الاستاذ الصيرفي : « فمن سقطاته في الوزن — وفي الصنّاجة من ذلك كثير — قوله :

وبعد قليل اتى كاهن يضيء الشموع ويذكي البخورا

ويتلو الصلاة على « نعشه م وهو » جاثٍ يناجي الاله الغفورا

وقوله : وما كان في لُحمه « شبع » ولا كان قتل الضعيف اضطرارا

وقوله : نظّرت « ربّات » الجمل اليه يتغنى بحبها ويحميها

« وكان يصح ان تكون كلمة « جثوًّا » بدل « وهو جاثٍ » وكلمة « مشبع » بدلا من « شبع » و« ربّة » عوضا عن « ربّات » ليستقيم له الوزن ، ولعلّ هذه وما يشابهها اخطاء مطبعية يتداركها الشاعر في طبعة ثانية » اهـ

والتحقيق أن الوجه على غير ما يذهب اليه الاستاذ الصيرفي . فإذا تدبرنا مأخذهُ وجدناها مقصورة على بحرين : اولهما المتقارب (فعولن فعولن فعولن ، مرتين) والاخر : الخفيف (فاعلاتن مستفعِلن فاعلاتن ، مرتين)

(١) اما المتقارب فكان ان الاستاذ الصيرفي يأخذ على الشاعر استعماله « العروض » تارة (فعَلْ) واخرى (فعولن) — (وذلك حين يقول « جثوًّا » بدل « وهو جاثٍ ») ، ثم كأنه يأخذ عليه قبض (فعولن) بحيث تكون (فعولن) — (وذلك حين يقول « مشبع » بدلا من « شبع ») والذي اراه ان استعمال « فعَلْ » و« فعولن » في « العروض » في القصيدة الواحدة شائع متواتر : قال الشريف الرضي (طبعة بيروت ص ٧٦٢)

ألسنا بني البيض من « هاشم » اعز جناباَ واوفى ذماما

فان رابكم ما يقول « الفصيح » فسالوا القنا واستشيروا الحما

وقال مهبّار (طبعة دار الكتب ص ٣٥٢) :

تشككني وهي طوع « الريا » حـ « تتبعها يمنة او يسارا

وتجول عليك بنات « الفسيل » اذا كست السعفات الثمارا

هذا واما قبض (فعلون) بحيث يحجي (فعلول) فلا غبار عليه وفي الابيات التي مرّت بك امثلة في ذلك
(٢) بقي ان الاستاذ الصير في يأخذ على الشاعر استعماله في « الخفيف » (مستفعلن) بدلاً من
(مفاعلن) — وذلك حين يأخذ عليه قوله « ربّة » عوضاً عن « ربّات » في هذا البيت :

نظرت « ربّات الجمال » اليه يتغنى بحبها وبمجيد
والذي اراه ان استعمال (مستفعلن) بدلاً من (مفاعلن) لامطعن فيه ولا مغمز. قال عدي بن زيد
ايها الشامت المعير بالدهر أنت المبرأ الموفور
ام لديك « العهد الوثيق » من الايام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن او كما ن عليه « من ان يضام » خفير
وقال أبو تمام (طبعة محمد جلال ص ٢٩٣)

فتح الله في اللواء لك الخا فق يوم « الاثنين » فتحاً مبينا
حوّمته « ریح الجنوب » ولن يحمد صيد العقاب حتى تحوما
نعمة الله فيك لا اسأل الله م اليها « نعمى سوى » ان تدوما
وقال مهيّار (طبعة دار الكتب ج ٢ ص ١١٤ ، ١١٥)

وامتطت وحدها الى غاية المجد ظهوراً « خشناً وطرقاً » وعورا
وتصفوا « من ناصر الدولة » ابناً يشهد الفخر ظافراً منصوراً
وقال ابو العلاء: غير مجد « في ملتي » واعتقادي نوح بالك ولا ترنم شاد
وشبيه « صوت النعي » اذا قيس بصوت البشير في كل ناد
خفف الوطأ ما اظن اديماً الا رض إلا « من هذه الاجساد »
وقال البحرّي: وتماسكت حيث زعزعني الدهر م التماساً « منه لتعسي » ونكسي
وقال (طبعة رشيد عطية ص ٢٧٥)

في سماء « من خضرة » الروض فيها أنجم من شقائق النعمان
واصفرا « من لونه » وابيضاض كاجتماع اللجين والاقحوان
وتذكرت وافد الشيب فاستعجلت م حظي « في الراح والريحان »
هذا والمعلوم ان اصل هذا الوزن (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ، مرتين)
قال ابو تمام (ص ٣٦)

اي مرعى « عين ووادي » نسيب الحبته « الايام في » ملحوب
وقال ابن المعتز (طبعة بيروت ص ٢٣٣)

راض نفسي « حتى رضيت » ابليس قديماً « قد طاوعته » النفوس
اسكبوها « في الدن من » عهد نوح كظلام « فيه نهار » حبيس

مكتبة المقتطف

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين غني عن التعريف ولكن ذلك لا يمنعنا ان نقول انه بين الكتاب في هذا العصر فذ لا يجارى ، في كثرة انتاجه وجودته وتعدد نواحيه . فهو قائم على تحرير « كوكب الشرق » عمله فيه يقتضي التغلغل في الشؤون السياسية في مصر ، بقراءة صحفها جميعاً والاجتماع بقيادة الرأي فيها ، ويقتضي كذلك الاحاطة باتجاه التيارات الدولية في السياسة والاقتصاد . ولكنه مع ذلك يجد لديه متسعاً من الوقت لكي ينصرف الى شؤون الادب والنقد والثقافة بوجه عام فيكتب المقالات الادبية للرسالة ، ويلقي المحاضرات العامة ، ويخرج مثل هذا الكتاب النفيس

ولا تعجب اذا قلنا لك ان هذا الكتاب الاخير للدكتور طه حسين لمن صنف كتاب الايام . فان اختلف الموضوع في ذينك المؤلفين فان الاسلوب واحد فيهما . ذلك ان كليهما قائم على سرد اخبار وحوادث . وما نظن احداً من كتاب اليوم يقدر على ان يقص على الناس قصصاً مليئة في ذلك الظرف وتلك السهولة

ليس « على هامش السيرة » بالكتاب العلمي المحض المتبادر الى الذهن . انه كتاب تأثري ، افرغ فيه الدكتور طه حسين ما اختلج في نفسه وجاش في صدره وهو يطالع السيرة . ومن ذا يحس بمحتويات السيرة مثل طه حسين وهو الذي تخرج في الازهر قبل كل شيء ثم اولى بقراءة الكتب الصفر واقبل على اخبار عرب الجاهلية ودرس شعرهم ونظر في القرآن وما يليه من تفاسير وقصص

والذي يجعل بين هذا الكتاب وكتاب الايام وجهاً من الشبه ذلك الاسلوب الرشيق الذي به يصف الدكتور طه حسين الاشخاص ويسرد الحوادث . فكأن الاشخاص بمرأى وكأن الحوادث بامس . ولربما انطلق الدكتور فيما يصف ويسرد حتى لانه يخرج عن موضوع بحثه ويستطرد من هنا وهناك فيفتح لك آفاقاً ويكشف عن حجب وانت منقاد اليه انقياداً بل مسحور برشاقة تعبيرة وفصاحة عبارته

١ - ابن خلدون (حياته وتراثه الفكري)

(تأليف محمد عبد الله عنان — مطبعة دار الكتب العربية سنة ١٣٥٢ وسنة ١٩٣٣)

نشأ ابن خلدون في بيت من بيوت المجد قد نزح من الاندلس الجليل الى تونس الفيحاء ، ونما في بيت من العلم والرياسة ، والشرف والسياسة ، وصنع بصيغة الجليل الذي عاش فيه ، فلما استوى على سوقه وجد ما بين يديه من دول الاندلس والمغرب كالنساء الضرار ، لاتفتقر واحدة عن الكيد لصواباتها . وكان صدر هذا الشاب (ابن خلدون) يغلي بأمانيه وأوهامه ومطامعه ، فرأى فيه أهله ومن يحيط بهم من أهل الشرف والرياسة ، وهو في سن العشرين ، بارقة من النبوغ والعبقرية والسيادة ، وتداول الناس امره حتى سمع به أبو محمد بن تافراكين فاستدعاه لكتابة (العلامة)^(١) عن السلطان أبي اسحاق فكان ذلك اول اتصاله بالحياة السياسية في دول المغرب والاندلس ، والتي خاض (ابن خلدون) فيما بعد غمرتها وتلظى بها وأصلى فيها او شب نيرانها ، وكان لها في تاريخ حياته أثر يبين ، حبيب حيناً وبغيض أحياناً . ومكث ابن خلدون في عمله هذا حتى نزعت به همته الى الرحلة من تونس سنة ٧٥٣ الى (قَفَصَة) ثم الى (بسكره) فنزل ضيفاً على صاحبها (يوسف بن مزني) ومن هناك قصد الرحلة الى (أبي عنان) بتلمسان ولكنه لم يمض في طريقه حتى لقيه (ابن أبي عمرو) صاحب (بجاية) فصرفه عن أبي عنان وحمله معه مكرماً الى (بجاية) فكان فيها حديث الناس حتى بلغ ذكره (أبا عنان) وكان له مجلس من العلماء فرأى ان يستدعى (ابن خلدون) لما بلغه عنه فحمله على خير محمل سنة ٧٥٥ وأتم به مجلس العلماء واختصه بالكتابة والتوقيع بين يديه . وكان اصحاب (أبي عنان) من اكثر اهل البلاد حسداً وغيره ، فكادوا له كيداً عظيماً لما رأوا من حظوته عن السلطان ، فلم يجد صاحبنا بداً من التقهيم في غمرات الدسائس والمكائد ، ولعلها وافقت هوى من نفسه، فبرع في الدس والكيد والتلون وأثارة الفتن حتى اضطربت في عهده البلاد نارا من الفتنة كان هو مثيرها حيناً ومطفئها احياناً . واستمر أمره على ذلك فيما تقلب فيه من امر الدول المغربية والاندلسية وليس سبيلنا هنا ان نترجم لابن خلدون ولكننا قدّمنا هذه الكلمة لما كان للدسائس من الخطر في حياة هذا الرجل ، وقد استقصى ذلك الاستاذ عنان في كتابه بايجاز وعرضه على القارئ عرضاً جميلاً كان هذا الرجل ذكياً قادراً بليغاً دقيق العبارة جيد الافصاح عن ضمير نفسه . مشرق الفهم رحب الادراك ، يقع له الامر من الامور فيفصله ويبيّنه ويوضحه ويجمع اليه القرائن ويحيد القياس بين شيء وشيء مما يحدث له أو لغيره من الناس فوضع من ذلك في ذهنه شيئاً كثيراً ، هو الذي اجتمع له حين ألّف مقدمته المشهورة في الشرق والغرب ، فاخرج فيها من

(١) ذكر (العلامة) الاستاذ عنان في كتابه ولم يفسرها ، وكان الاولى تفسيرها ، لانها شيء قد درس قلما ينهم احداً يعني بها . والعلامة عندهم في ذلك العصر هي : « الحمد لله ، والشكر لله » تكتب في كتاب السلطان او مرسومة بالقلم الغليظ بين البسلة وما بعدها من الكلام

لحقائق ، والنظريات والأسس في حياة الدولة ما لم يجمعه كتاب عربي قبله . وما ذلك الا لانه كان
— كما أسلفنا — (بليغاً ، دقيق العبارة ، جيد الافصاح عن ضميره نفسه)

واكثر الناس على ان ابن خلدون هو أول من اهتدى — من العرب — الى هذه الحقائق
العظيمة التي اثبتتها في مقدمته ، فهذا صحيح من ناحية ، هي انه أول من دوتها جميعها بين دفتي
كتاب ، ولكنني لا اشك ان اهل السياسة والرياسة في الدول العربية في الشرق والغرب كانوا يجيدون
ما اجاد ابن خلدون من هذا العلم ، وكانوا يعرفون ذلك حق المعرفة ، وهناك ادلة كثيرة على ذلك
ليس هذا موضع ايضاحها وتفصيلها . وأنا لا اظن ان رجلاً مثل (لسان الدين بن الخطيب) الوزير
الاندلسي البارع في السياسة والادب كان يجهل من هذا ما علمه ابن خلدون ، بل ارجح الظن عندي
ان (لسان الدين) كان على شرف من هذا العلم يكاد يفوق به صديقه ابن خلدون الا ان ما تهياً لابن خلدون
من البلاغة التي لا صنعة فيها ومن دقة العبارة ومن جودة القياس ، ومن براعة الافصاح عما
يترجح في نفسه وضميره — لم تهياً — لسان الدين بن الخطيب فقد كان هذا شاعراً كاتباً بليغاً على
أسلوب غير هذا الذي كان لابن خلدون ، ولم يكن لسان الدين بأقل من ابن خلدون في إشراق الفهم
ورحب الادراك ولكنه كان أقل منه في القياس بين النظائر التي كانت تحدث له وهو وزير الدولة أو التي
كانت تحدث في الجو السياسي المتلبس بغيوم من الدسائس والفتن والاهوال الرائحة الغادية على الدولة وأهلها
نقل الاستاذ عنان ، قول جبيلوفتش « لقد اردنا ان ندلل على انه قبل اوجست كونت ، بل
قبل فيكو الذي اراد الايطاليون ان يجعلوا منه أول اجتماعي اوروبي ، جاء مسلم تقي فدرس الظواهر
الاجتماعية بعقل مترن ، واتى في هذا الموضوع بأراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم
الاجتماع » واستوقفتني هذه الكلمات زمناً طويلاً تراه في الفكر ، واستيقظ في القلب ذلك
الاحساس بالظلم والغبن والتجاهل الذي لقيه الفكر العربي في هذه الازمان وما قبلها

ان القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياً لا شك فيه ، بآيات بيّنات فيها حاجة
الانسان المدني العامل الظافر بالسعادتين في الدنيا والآخرة ، وكان هذا القرآن مادة العلم العربي
على القرون ومنه استقى ابن خلدون وغير ابن خلدون من علماء هذه الامة الاسلامية ومنه
خرج التشريع العظيم الذي ملأ الارض عدلاً وكان منه ما نسميه علم الفقه . ففي هذا العلم
تجد علم الاجتماع مفرداً في مسائله وأحكامه ، ومن رجع الى كتب الأئمة (المتقدمين خاصة)
وجده من أسس علم الاجتماع ما لا يدع شكاً في نفس احد من ابن خلدون اما استخراج
اسسه (وأسس غيره مما أتى به في مقدمته) من هذا المورد الذي لا ينفد . ولا بد من ان تقول
ان القرآن اتى بأسس هذه العلوم مختصرة غير مفصلة وان الرسول في حديثه بيّن بعضها وترك
بعضاً للفكر الانساني لئلا يضيق وينحصر ويخمد اذا اتاه بالتفاصيل كلها . هذا وليس من المعقول
ان يوحى الله الى رسول من رسله بكل شؤون الحياة مفصلة ولئن فعل ، فمن ذا الذي يحفظها ،
كما حفظ القرآن والحديث ؟

من العلوم الاسلامية علم مجهول لا نجد فيه الا كتباً قلائل مما نجا من عبث الأيام وجهل علماء المتأخرين بقدره وخطره ، ذلك هو علم (القواعد) ألف فيه كثير من الأئمة ، وخير ما ألف فيه كتاب القواعد (للعز بن عبد السلام) وكتاب (ابن رجب) . ففي هذا العلم تجد من روائع الفكر العربي في علوم الاجتماع والحياة ما يبهرك ويفتلك ، وارجو ان اوفق قريباً الى كتابة كلمات عن هذا في هذه المجلة هذا وحق كتاب الاستاذ عنان اكثر من هذه الكلمة ، لانه بذل فيه من الجهد في المراجعة والتثبت والنظر ما عهد فيه ، ولولا ان احدا اذا امسك قلمه للكتابة انفتحت له الابواب من كل ناحية ، وتطلب كل باب منها مقالة او اكثر لتركن النفس على غلوائها ، وعرضنا للقارئ تفصيلاً لما اوجز الاستاذ عنان ، ووقفنا عند كل ما يثير في النفس افكارها وآراءها وخيالها وآلامها من الظلم والغبن والتجاهل التي نزلت بالفكر العربي

٢ — قلب جزيرة العرب

تأليف «فؤاد حمزة» المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٣٥٢ — سنة ١٩٣٣

قام كثير من الاطامح الاوربيين ، وجاسوا خلال الجزيرة العربية ، ودرسوا — على قدر ما وقفوا اليه — أمر هذه البلاد ، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة تشهد لهم بالفضل والبراعة والسبق الى ما تأخر عنه ابناء هذه البلاد وأحباؤها من احفادها الذين رحل اجدادهم منها الى بقية البلاد التي تنطق بالعربية الآن كعصر والشام والمغرب وغيرها. وقد وضع بعض العرب كتباً عن الجزيرة العربية الا انها لا تفي بحاجة الامم العربية المتباعدة ، ولا تكشف لهم عن سر هذه الجزيرة ، ولا تقوم صلة بينهم وبينها وقد اثار هذا الاستاذ فؤاد حمزة لتأليف كتابه (قلب جزيرة العرب) على أتم ما رأى من طريقة لتعريف ابناء العربية ببلاد العربية ، والاستاذ فؤاد اقرب من ننتظر منه الاجادة في غرض كهذا لانه عربي يخص لهذه البلاد ، ثم لانه قد سلخ اعواماً طويلاً في قلب الجزيرة (بلاد نجد) وفي الحجاز الذي فاء الى حكم ابن سعود النجدي ، ثم هو قد تقلب على رمالها كما تقلب في سياستها وأمور دولتها . فاذا كتب في حال هذه الجزيرة في ايامنا هذه كان اقرب الى الاجادة ممن يدخلها سائحاً يخرج منها كاتباً او مؤلفاً وقد بدأ كتابه بذكر طبيعة الارض العربية ، وتكوينها الجيولوجي وما في هذه البلاد من انهار وبحيرات وغير ذلك من سهولها وجبالها وجوها وامطارها وسيولها الكثيرة . وهذا باب واسع جداً كان على المؤلف ان يستوفيه لولا ما في ذلك من المشقة والتعنت ، والحاجة التي لا تتم من الآلات الحديثة التي يصعب نقلها واستعمالها ، وبخاصة اذا كان الذي يقوم بذلك فرد برأسه لا أعوان له ولا أنصار . وقد كان من الفرض على الامم العربية ان تتعاون على ذلك ، الا ان المآرب السياسية قد عاقت ذلك واخرته الى اجل نسأل الله ان لا يجعله بعيداً . ثم اتبع هذا بالكلام على الحالة الاجتماعية في الجزيرة ، وهذا كسابقه مما لا بد له من التوسع حتى يقع في مجلدات ولكن المؤلف اوجزه على خير ما يكون الايجاز وعرض فيه للقارئ أهم ما يفكر فيه أو يحظر على باله واجاد في ذلك اجادة الخبير الذي شاهد وسمع وفهم كل ما شاهد وسمع بعين عربية واذن عربية وقاب

عربي ، ونقول ذلك لان كثيراً ممن كتب من الاعاجم انما رأى بعين أعجمية وسمع بأذن أعجمية وتلقف ذلك بقلب أعجمي حتى كثرت الخطأ في كلامهم ، ثم لان السياسة كان لها يد ورجل ايضاً فها كتبوا ودوتوا من شؤون هذه البلاد الاجتماعية والسياسية

وبلي هذين البابين ، باب قد استكمل به المؤلف نقصاً كبيراً في فرع من علوم العرب ألا وهو « الانساب » . فان علم الانساب (انساب القبائل وغيرها) كان من اهم ما امتازت به الامة العربية ، وقد ألف المتقدمون في ذلك الكتب المطولة ، واستقصوا فيها انساب العرب قبيلة قبيلة وبنوا بطناً ونفذاً فخذاً ولم يتركوا صغيراً ولا كبيراً في هذا الباب الا ذكروه ، ففي هذا الباب حشد المؤلف ما في الجزيرة الآن من القبائل وفروعها على قدر ما اتيج له ، وتوثق لذلك من اهل البلاد وعلماء الانساب فيها ورد ما استطاع من هذه القبائل الى اصولها من القبائل العربية الاولى ، وبذلك وصل بين هويتين في تاريخ النسب العربي ، وكان اسبق من اخرج للناس هذه الانساب التي اهملها مؤرخو هذا العصر . فلما انتهى المؤلف من التعريف بالقبائل التي تسكن البادية العربية الآن اوجز تاريخ الحكم الذي مر بهذه الجزيرة حتى انتهى الى الدولة القائمة الآن — دولة عبد العزيز بن السعود وآله هذه ترجمة ما في الكتاب من العلم ، وبقي علينا ان نقول الكلمة في قدر هذا الكتاب وغيره من الكتب التي من بابه . فالام العربية الآن تمرقها السياسة الاستعمارية التي تتولى كبرها وتحمل اوزارها ام الاعاجم من الاوربيين . وقد بلغوا منا مبلغاً عظيماً في التزيق والتفريق بالدسائس حيناً وبالتعليم الفاسد حيناً ، وبالنكبة القاصمة التي تدفق علينا سيلها وسماها الناس الجنسيات وهافتوا عليها كما يهافت الفراش على حتفه من النار . ولا بد للام العربية فيما بين الصين الى اقاصي الغرب ان تعلم ان الجنسيات فتنة لا يراد بها الا الشر للعرب اولاً وللشرق الغني ثانياً ، وان تعلم ان حياتها في النصره والتعاون والتآزر ، وان تعلم ان لا حياة لواحدة منها ما دامت الاخرى لا تزال على (المشنقة) الاستعمارية ، وان تعلم ان لا سبيل الى الحرية الا بالعلم الانساني الذي يتلقفه قلب عربي ليبقى عربياً لا ليتحول من عربيته الى ارجوحة بين العربية والاعجمية . وما من سبيل الى ذلك الا بايقاظ الاحساس العربي في كل قلب ، وعقد الآمال على المادة العربية والمجد العربي ، وما من سبيل الى ايقاظ هذا الاحساس الا بالتعارف والتكشاف ، وسبيل التعارف الآن هي هذه الكتب التي تكشف للعرب عن خفايا بلادهم وتصل ما تقطع من اواصرهم بالمعرفة وفي المعرفة المحبة ، وفي المحبة التألف ، وفي التألف التناصر ، وفي التناصر الحرية والاستقلال

وهذه الجزيرة العربية — على ما فيها من الضعف — هي مادة هذا التناصر ، وهي مهوى قلوب الامم العربية والاسلامية وهي معقد الآمال ، وهي حصن العرب واليها تحشد القوى الاعجمية وتدبر الدسائس ، وفيها تلقي الفتنة ، وتوقد نيران العداوة بين اهلها . . . لان الاعاجم الاوربيين يعلمون من ذلك ما يتجاهله ابناء العربية أو ما يتورطون في تجاهله وانكاره . فعمل الامم الناطقة بالعربية على التعارف والتكشاف هو عملها الى الحرية والمجد والظفر بالاماني والآمال

محمد دهمر شاكر

دائرة المعارف الاسلامية

ينقلها الى العربية — محمد ثابت الفندي — احمد الشتناوي — ابراهيم زكي خورشيد — عبد الحميد يونس
عنوان ادارتها ٢٣ شارع قصر النيل بمصر

« الحضارة الاسلامية وليدة البعثة النبوية . . . مثلت فيما مثلت حضارات اليونان والروم والفرس . وشملت امما مختلفة الامزجة والطبائع ، فلم تكن حضارة العرب خصب وانما كانت حضارة الامم الاسلامية جميعها ، او قل هي حضارة العصور الوسطى التي ربطت العلم القديم بالعلم الحديث . ولقد اهتم العالم الحديث اهتماماً خاصاً بالدور التي لعبته تلك الحضارة (كنا نفضل لو قيل . . . » بما كان لتلك الحضارة من الشأن والاثر ») فأكبَّ فريق من علماء الغرب « المستشرقين » على دراسة تراث تلك الحضارة العظيمة بما فيها من دينٍ سمح رضي كريم ، ومن لغة غنية بمفرداتها ، مرنة باشتقاقاتها ، جميلة برسم حروفها ، ومن ادب يصور نبضات القلوب وخلجات النفوس ونجوى الضمائر ، ومن تصوف وفناء في التأمل ، ومن فلسفة بلغت الغاية في عمقها وشمولها . ومن حكم وتشريع لم تصل الانسانية بعد الى خير منهما . وقد اذاعوا دراساتهم في كتب عددة ومجلات خاصة ، ثم رأوا من بداية هذا القرن ان يجمعوا خلاصة ابحاثهم في كتاب جامع يتبعون فيه منهج القواميس والمعاجم ، فكتبوا « دائرة المعارف الاسلامية » (او دائرة معارف الاسلام ؟) باللغات الاوربية الكبرى — الانكليزية والفرنسية والالمانية — وهنا نحن نتقدم بترجمتها الى قرّاء اللغة العربية »

وقد اختمرت فكرة ترجمة هذه الدائرة في رؤوس طائفة من شباننا النجباء ، من نحو ثلاثة اعوام فعكفوا على دراسة المشروع من جميع نواحيه وألمّوا بكل الصعوبات المادية والمعنوية التي كثيراً ما تعترض الاعمال العلمية والادبية . . . ولكنهم اقدموا وجردوا العزم للقيام بالعمل وقد صدر الجزء الاول والجزء الثاني من نتاج عملهم فهنئهم بالتفكير فيه اولاً والاقدام عليه ثانية

وغني عن البيان ان هذا العمل يصطدم بمصاعب شتى لعل أهمها صعوبة الترجمة ترجمة دقيقة في موضوعات لا بدّ فيها من الاطلاع على ما كتبه علماء الاسلام وفلاسفته وما اكثره ، حتى تستقيم العبارة مع ما كتبوه ، وتأني الالفاظ في امكانها . وقد أشار بعض النقاد الى ما يعترض الجزء الاول من النقص في هذه الناحية . وليس هذا مجال العودة الى ذكره ، وانما نعلم ان الادباء القائمين على اتمام هذا العمل الخطير ، يطلبون الحقيقة ، ويرحبون بالنقد ، لانهم يرغبون ان يحجي عملهم اقرب ما يكون الى التمام . وقد راجعنا بعض ما جاء في الجزء الثاني على الاصل الانكليزي فرأيناهُ وافيّاً بالمرام بوجه عام

وقد أشار احد الكتّاب كذلك ، الى وجوب التعليق على كتابات المستشرقين ، بما يقوم معوجّها في بعض النواحي ، لان المستشرقين ، بلغت ما بلغت معرفتهم للغة العربية ، وفلسفة الاسلام ، لا بدّ

ان تقوتهم اشياء ، او هم قد يتأثرون ببعض الوان الدعاية الغربية ، فينساقون مع التيار ، ويشطون عن الحقيقة . وهذا التعليق قد يكون متعذراً على القائمين بعمل الترجمة والنشر وهو بمجد ذاته جهد عظيم ، ولكن ذلك لا يمنع ان تعهد لجنة ترجمة الدائرة الى نفر من علماء الاسلام على رأسهم الأمير شبيب ارسلان ، في وضع التعليقات اللازمة ونشرها جنباً الى جنب مع اجزاء الدائرة ، — قل مثلاً جزءاً من التعليق لكل خمسة اجزاء من الدائرة كي تظهر في ثوبها العربي والجزآن اللذان بين أيدينا مطبوعان طبعاً متقناً على ورق جيد ، وجبذا لو عنيت اللجنة باختيار حرف اسود ، لعنوانات الفقرات حتى يستطيع القارئ ان يميزها من دون عناء

١ — مطبوعات جامعة بيروت الاميركية

A Post-War Bibliography of the New Eastern Mandates

أحسنّت دائرة علوم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم بجامعة بيروت الاميركية في اخراج هذا السفر النفيس . فالبحث العلمي يقتضي معرفة الحقائق . والتوصل الى الحقيقة لا يتم الا عن طريق المقابلة والموازنة بين الآراء . واذاً فالباحث يحتاج الى الاطلاع على المراجع التي بسطت فيها هذه الآراء ، سواء كانت مقالات في الصحف اليومية والمجلات ، او كتباً ورسائل طبعت ونشرت على حدة . لذلك عن لطائفة من الاساتذة الذين عيّنوا حديثاً في جامعة بيروت الاميركية ان يجمعوا هذه المراجع ، الخاصة بسورية والعراق وفلسطين وشمال الجزيرة العربية ، مبتدئين من يوم الهدنة — ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ — الى آخر سنة ١٩٢٩ وهم ينوون ان ينقحوا المجموعة كل خمس سنوات لذلك يتوقعون من العلماء الباحثين ، ان يبيّنوا لهم ما وقع في المجموعة الاولى من نقص او خطأ لان غرضهم الحقيقة قبل كل شيء . وقد جمعوا كل ما تمسكوا من العثور عليه في اللغات الآتية ، الفرنسية والانكليزية والالمانية والهولندية والايطالية واللاتينية والعربية والعبرية والارمنية والتركية والفارسية والسريانية والكردية . وهم لا يدعون انهم جمعوا كل ما كتب وبوبوه ، ولكنهم لم يدّخروا وسعاً في تحقيق الغرض الذي وضعوه نصب عيونهم . اما الموضوعات التي جمعوا مراجعها فهي المباحث التي تتناولها العلوم الاجتماعية بوجه عام كالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، بل انهم لم يهملوا الدين وعلم الاجناس والتربية والجغرافية البشرية وعلم النفس وتراجم الافذاذ ، وعهدوا الى الاستاذ ستورت دود Dodd استاذ علم الاجتماع المساعد في الجامعة ، ليشرف على اخراج هذه المجموعة

اهدت اليها الجامعة النسخ الانكليزية والايطالية والعبرية من هذه المجموعة النفيسة ، ففتحنها المجموعة الانكليزية اتفاقاً عند الصفحة ٦٩ من فهرس الكتاب فرأينا ذكر مقالة للمستمر مورغنتسويف اميركا في الاستانة سابقاً عنوانها «الصهيونية : تسليم لا حل» نشرت سنة ١٩٢١ في مجلة عمل العالم

في الولايات المتحدة وانكلترا . ورأينا ذكر مقالة للمستر (؟) مُسنَّ عنوانه «اليهود واليهودية في تدمر» ظهرت سنة ١٩٢٨ في نشرة البحث الاثري الفلسطيني . وعلى هذا النمط تجد مئات بل الوف المقالات والرسائل والكتب التي نشرت في اللغة المذكورة وتعالج ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية في الشرق الادنى . والمجموعة مرتبة اولاً بحسب أسماء الكتاب وثانياً بحسب الموضوعات

٢ - الاصول العربية لتاريخ سورية

في عهد محمد علي

توفّر الدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية ، على دراسة تاريخ الشرق الادنى في عهد محمد علي ، وقضى السنين الطوال في البحث والتنقيب ، وانفق المال في اقتناء الكتب النادرة والرسائل المخطوطة . وقد شرع من بضع سنوات في نشر ما دعاه « الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي » وهذا هو المجلد الخامس وهو يحتوي على الاوراق السياسية لسنة ١٢٥٦ هجرية والى القارىء مثلاً من هذه الاوراق يتبين منها اسلوب الكتابة في ذلك العصر وناحية من نواحي الموضوعات التي تبسطها هذه الاوراق ولا بدّ منها مادّة للمؤرخين : —

فقدان الامن بضواحي بيروت

غاية ربيع الاول سنة ١٢٥٦

الامير محمود نايي والفنصل مور . ١٦ × ٢٣ س . من الورق الصكوكي

الرقيق . وهو محفوظ في دار القنصلية البريطانية في بيروت وعلى ظهره

كلمة circular بالانكليزية

الجناب الاكرم حضرة المحب الاجل المحترم قونسولوس بك دولة الانكليز المحتشم حفظه الله تعالى ليس خافي محبتكم الحال الواقع من ظهور خروج بعض اشقيا من رعايا جبل لبنان كما هو المسموع والمحسوس بالقرب من هذه الناحية ومن جرّآ ذلك رعايا بيروت من اسلام وذميون سكنا البرية متحسبين وعمال ينزلوا عفشهم الي البلده والبعض نزلوا من محلاتهم الي البلده فبحيث الحالة هذه ولمحافظة المامورين بها واحتراساً لامر ما ما اقتضى التنبيه بان كافة البوابات تقفل اذآن المغرب وبالاذن يصير فتح بوابة السراي الي حد العشاء فقط وبعد اذآن العشاء المتقدم شرجه ما في رخصه لفتح البوابه كلياً بل الذي يكون داخل البلده يفضل بها كما والذي خارج البلده ايضاً وحيث ذلك عايد لراحة الضمير ولاجل المحافظة المامورين بها اقتضى افادة محبتكم بذلك والله تعالى يحفظكم

مير محمود محافظ بيروت

الختم

غاية ر ١ سنة ٢٥٦

فن الصحة

الجزء الثاني — الصحة الاجتماعية — تأليف الطبيب احمد حمدي الحياط — استاذ فن الجرائم وعلم الصحة —
في المعهد الطبي العربي دمشق

كان الجزء الاول من هذا السفر المفيد ، يشتمل على قواعد الصحة البدنية ، عالج فيه المؤلف البيئة الصحية ، كالارض والهواء والماء والغذاء والسكن والملبس ، ثم عرض لصحة الاجهزة البدنية ، كصحة الجلد وصحة اعضاء الحركة وصحة جهاز التنفس وصحة اجهزة الدوران والهضم والاعصاب فالجزء الثاني الذي بين ايدينا ، متمم للجزء الاول ، ومن اقتنى ذلك لا يستغني عن هذا . وقد قال في فاتحته : — يختص هذا القسم بالبحث عن القواعد الصحية التي لها علاقة بالحياة الاجتماعية اكثر من الحياة الفردية كالبحث في صحة الوليد ، والتربية والتعليم والمدارس والمشافي (المستشفيات) وسبل الوقاية من الامراض السارية او الاجتماعية . والى القارئ كلمة في المقابر ، افترض بها الفصل الخاص بموضوع دفن الموتى ، ونواحيه الصحية والعلمية . قال :

« القبر هو الحفرة التي تلقى فيها جثة الانسان بعد موته . ومهما تكن اسباب الوفاة فلاحتياطات الواجب اخذها لتحديد انتشار الضرر منه مهمة وضرورية جداً . وقد جرت العادة ، منذ الازمان القديمة ، للتخلص من كل ضرر محتمل وقوعه من شلو الانسان بعد تركه الحياة ، ان يدفن في الارض في حفرة بعيدة عن كل اتصال بسطحها ، حيث يكون عرضة للتحلل والتفسخ بتأثير الجرائم المتنوعة ، فيصبح بعد قليل من الزمن او كثير ، هباءً ويعود تراباً ، أي كما بدأ يعود ، كأن لم يكن شيئاً « ولا بد لحسن جريان هذا التفسخ والتحلل ، لحصول الفناء بصورة معتدلة او سريعة ، من النظر في جيلة الارض المعدة للدفن وكثرة رطوبتها او قلتها ، او خلوها منها البتة ، لما في ذلك من التأثير الكلي في تعجيل الفناء او تأخيرها كما يأتي بيانه . كما انه لا بد لتمام الفائدة من ذلك وجودة الوقاية وحفظ الصحة ان ينظر في احوال مياه تلك الارض او رطوبتها او اتصالها بمياه بعض المدن او عدمه ، وملاحظة هوائها وانتشاره في جو المدينة وما يتبع ذلك ، ثم العناية بنقل الاموات ودفنها حرصاً على الصحة العامة ووقاية لها من ضرر تلك الاشلاء إلى أن يوارىها التراب »

والجزء الثاني ابوابه منسقة احسن تنسيق ، اولها باب صحة الوليد ، وقد عرض فيه لتلقي الوليد عند ولادته ومهدم ولباسه وتغذيته ونظافته واسنانه وتلقيحه ضد الجدري . اما الباب الثاني فموقعه على بحث التربية والتعليم من وجوهها الصحية ، وفي هذا الباب شيء من علم النفس المطبَّق . اما البنية التي كتبها عن المدارس فيجب ان تكتب بماء الذهب وتوضع في كل وزارات المعارف في الشرق . ويتناول في الباين الرابع والخامس ، المستشفيات والمقابر . ثم عرض لسبل الوقاية من الامراض بوجه عام كالعزل والتطهير وابادة الحشرات والجُرذَان . ثم فصل ذلك في الفصل الذي يليه ، كل مرض على حدة ، كالجدري والحصبة والحُمى القرمزية وغيرها — من الامراض السارية — والادواء الزهرية على اختلافها من الامراض الاجتماعية

روائع من قصص الغرب

نقلها كامل كيلاني — نشرتها مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر — صفحاتها ٥٧٦ قطع متوسط

قال الناقل في مقدمته :

« هذي طباع الناس معروضة نخالطوا العالم او فارقوا »
« هكذا يقول شيخ المعرة ابو العلاء . وليست القصص الا معرضاً رائعاً تتمثل فيه الوان الحياة وجوانبها ومُثلها العليا وخلجاتها الحفية المسترسّة . وقد برع كتّاب الغرب وشعراؤه في هذا الفن براعة لا توصف وتقل الينا كثير من ادبائنا ومترجمينا روائع من قصصهم الخالد . ورأى الناس في هذه المائدة من الوان الغذاء الفكري ما بهر الباهم وسحر عقولهم فراحوا يطلبون المزيد من هذه الالوان المعجبة الشبيهة وقد توخيت في اختياري ، أن تجمع كل قصة من هذه المجموعة الى عمق الفكرة دقة والتحليل وسمو الغاية وبراعة الاداء ، كما توخيت ان اختار من روائع الغرب قصصاً انسانية عامة غير محلية ، وهذا القصص الانساني صالح لكل امة وفي كل زمن لانه لا يكاد يعرف بيئة بعينها »

القصة الاولى تمثيلية للكاتب الفرنسي جان سارمان Jean Sarment ، وعنوانها « صياد الخيال » ونحن لم نقرأ القصة بالفرنسية فلا نستطيع ان نهدي القارئ الى عنوانها بتلك اللغة . وانما تلخص فكرتها في قول شكسبير « انها قصة يروها مخبول ، حافلة بالضجيج والصخب ، ثم هي بعد لاتعني شيئاً » . والرواية آية من آيات الادب الفرنسي في الدراما العصرية ، ففيها شعر وفيها اجتماع وفيها تحليل لنواحي النفس . اما الحوار — ولا يخفى عليك ان براعة الحوار سر من اسرار التأليف المسرحي — فيبلغ في بعض فصولها أعلى مراتب الابداع

وبلي ذلك اقصوصة لفرنسوى كوبيه — الفرنسي — عنوانها النافذة المنورة ، ثم مختارات ، من قصص ذلك القاص الايطالي البارع — العبقرى في نظر طائفة كبيرة من النقاد — ونعني بوكاتشو . وبابها قصة « ممر الاغراء » لقولتير وانت تعلم ان قولتير من اساطين الاحرار الذين اثاروا بكتابتهم الثورة الفرنسية ، وملاً عصره بآثار فكره الحر ، ونتاجه الخصب ، من علم وأدب وشعر وقصص . ثم فصل من « ديدرو » زعيم الانسكوبيين الفرنسيين . وبلي ذلك قصة كاملة بعنوان جورجينا تأليف الفرد سرفن في نحو مائة صفحة فرواية تمثيلية اخرى تامة من تأليف پول ارفييه عنوانها « القول يبقى » وهي من غرر الروايات المسرحية ، ومختارات من سرفنتس وسوفت وغيرهم من اعلام الادب الاوربي

فنشكر للناقل عنايته بهذا النوع من الانتاج الادبي ، ونهني مطبعة عيسى البابي الحلبي ، بحسن اختيارها وشدة عنايتها بنتاج القرائح المعاصرة ، جنباً الى جنب مع عنايتها بمؤلفات الاقدمين

اطيف الربيع

وأبو شادي في الميزان

حالت اشغالنا دون مطالعة ديوان اطياف الربيع ، الذي أصدره الدكتور احمد زكي ابو شادي في منتصف الصيف الماضي ، ولكننا قرأنا محاضرة الاستاذ محمد عبد الغفور التي عنوانها « ابو شادي في الميزان » فأعجبنا فيها قوله صفحة ١٣ : « هنا شاعرية عجيبة متأججة ، اول مؤهلاتها الوراثية ثم الثقافة ، وتشمل الوراثية تكوينه العصبي الحي الذي لا يهدأ والذي تؤثر فيه اطياف الحياة تأثيراً قوياً متواصلاً كما تؤثر فيه اخيلته وتصوفه واحلامه وتجاريبه المتعددة ومطالعاته الكثيرة وسياحاته واحتكاكه بالناس ... » وقوله صفحة ١٥ : « واعد من مؤهلاته كشاعر عظيم ، انسانيته العميقة وتسامحه الجميل الذي اعطانا شعراً انسانياً عالياً لا أثر للتصنع فيه . ولولا انه يعيش في ذاته كإنسان حسّاس كريم النفس لما كان من الميسور ان نظفر منه بكل هذا الشعر الانساني العالي الذي يفيض رحمة وصفاء وحناناً » وقوله صفحة ١٦ : « رجل يحب الحياة غاية الحب » ويتذوق الاستمتاع بها نهاية التدوّق يتغنى بحماها ووصافها البديعة . . الخ . وقد اجاد المحاضر عبد الغفور في اختيار مقطعات من شعر ابي شادي للتمثيل على الاغراض التي نظم فيها . وانما لا نوافقه على ان قصيدته في المغفور له الملك فيصل تنزل في المكانة التي اعدّها لها المحاضر ، في ما قاله عنها صفحة ٤٤ . وفي المجموعة التي تحتوي على هذه المحاضرة بحث نفيس للاديب صالح جودت موضوعه « السخط على البيئة في شعر أبي شادي » وبحنان آخران للاديين مختار الوكيل في « الاطياف في شعر أبي شادي » ومحمود احمد البطاح في « الشخصية في شعر أبي شادي »

ونكتفي الآن في الاشارة الى ديوان اطياف الربيع ، بقول خليل مطران في مقدمة الديوان « قرأ أبو شادي الشعر عربياً فأشجاه ، وقرأه أفرنجياً فأشجاه ، وطالع التواريخ ومنها بخاصة اصول الادب الاغريقي ، وقارن بين متباين المذاهب في البيان . سواء اكانت تلك المذاهب خيالية وجدانية لا تعدو حكايات حال عن النفس كما هي في لسان الضاد ، ام خيالية وجدانية موضوعية اساسُ الجمال فيها بناؤها على الحق او الواقع او ما يشبه بهما كما هي في اللغات الافرنجية . وعلى أثر هذه المطالعات وجد ابو شادي في نفسه باعثاً شديداً على وجهة فنية جديدة يوليها شطره فأحدث في العربية شعراً سلساً بألفاظه ، قريب المأخذ بسهولته ، سليماً بلغته جهد ما تسعه المعاني العصرية متقيداً بأوزانه ولكن تقيد الموشك ان يعتمد الى الافتكاك من كل ثقل الكلفة فيها . وعمر ابيات منظوماته بمعان تاريخية متشعبة المصادر وصور جديدة من كل لون وضرب ، وافكار في الجمال آخذة من كل مأخذ شرقي او غربي

« وأبو شادي — بين اعماله الكثيرة الشاقة التي لا تضمها الا رابطة شغفه بالعلم والادب وأخذه بهما وتسخير قواه الجمّة لهما — يقول هذا الشعر في فضول من وقته ، ولكنه يجمع له كل عزيمة رأيه وكل بواعث وجدانه . يقوله بحرارة واقتناع . يقوله على ان البداة تتناوله ، وان الناس

جدراء بأن يفهموه فهمه . يقوله مرسلأ ارسالاً ، وفي كل قصيدة صورة مستكملة لا بد منها ، وكل صورة لها طرفاتها وغرايبها ، وفي هذه الجزئيات اشارات تاريخية ورموز اصطلاحية وفي هذا كله جملة وتفصيلاً لا يعنيه ان يكون من قرائه من لم يطالع الميثولوجيا او لم يتتبع ما نحا به الغربيون نحوها من اساطير الاسرائيلية القديمة والمسيحية الاولى ، ولا يعنيه ان تكون الاسماء الاعجمية في شعرنا مما تنبو به اسماعنا ، ولا يعنيه ان تكون طائفة من الالفاظ التي اتخذها من العربية قد نيظت بها معان هي غير معانيها في الاصل . معان لا تدرك مراميها الحديثة الا من طريق المقاربة او المقارنة بالمواضعات الاجنبية ، بل كل همه هو ان يثبثه ويتقن مثاله ويبلغ شعوره الى ادنى خلجة من خلجات الحس فيه . ويضيف الى ذلك انه لا يرى عيباً في الوثبات يثبها في استعاراته الى ابعد مدى ، ولا يرى عيباً في بعض موازين الشعر يحرفها قليلاً او كثيراً لتكون من الجزالة او السهولة او الرنة الموسيقية بحيث يريد ، ولا في القوافي — وقد اتحد الحرف فيها — ان تلزم لزوماً لصيقاً ما اقره الجهابذة من مراعاة تجانس مخصوص فيها قبل الحرف . تجيش في نفسه انشودة فينشدها ، او تتجلى لعينه صورة فينقلها ، او تتدفق في ذهنه خواطر فيشق لها الانهار بشق قلعه السيل . وفي الكثير منها ابتكار عجيب وابداع مدهش ، وفي جوانب منها هنات من الاغراب في اللفظ او المعنى يراها هيئات بجانب مأربه السامي الكبير»

النبي

تأليف جبران خليل جبران — ترجمة الارشمندريت انطونيوس بشر — طبع بالمطبعة العصرية بمصر
لما صدر كتاب النبي كتبنا عنه الكلمة الآتية : « هو خلاصة آرائه في الحب والموت والزواج والاولاد والهوى والعقل والفرح والالم والثياب والبيوت والصلاة والدين والقوانين والمعرفة وغير ذلك على لسان نبي سماه المصطفى . وكاننا بالمؤلف قضى حياته يستعد لاجراء هذا السفر النفيس فان كتبه السابقة من عربية وانكليزية ليست سوى مقدمات لما في هذا الكتاب من حكمة وفلسفة وشعر وفن »
« فلا نرى فيه جبران الثائر الذي تراه في « العواصف » ولا جبران الشاعر الذي تراه في « ايتها الارض » « وايها اليل » وغيرها ولا جبران المتألم في « لكم لبنانكم ولي لبناني » وفي صورة « وجه امي وجه امتي » ولا جبران المعلم الحكيم في « القشور واللباب » ولا جبران الرسام الرمزي في جميع ما ابرزته ريشته الساحرة ولا جبران الخيالي في « بين ليل وصباح » وفي « حفر القبور » بل ترى في هذا الكتاب جبران الذي هو مزيج من هذه العناصر جميعها بل هو خلاصتها المختارة . فانك لا تقرأ فصلاً من فصوله الا وترى امامك حكمة في خيال وفلسفة في بلاغة وجمالاً في فن واي فن ! انه جعل اللغة الانكليزية تنقاد لمرامه ولا كانقيادها لابنائها . واي جمال ! في تلك الرسوم البديعة « التي لا بد منها لا كمال الكتاب » فالصورة الاخيرة منها من اروع ما تصور به القوة المدبرة التي وراء هذا الكون — يد تعمل وبصيرة ترى وحوها العوالم صنعها في حلقات متراكزة » والترجمة التي بين ايدينا للارشمندريت انطونيوس بشير حسنة غير اننا كنا نفضل لو نشرت الصور التي رسمها جبران بريشته دون غيرها

ديوان زكي مبارك

لعلَّ المقدمة التي كتبها الدكتور زكي مبارك خير ما يكتب في تحليل شعره ولا غرو، فقد تجرَّد كناقِد من ذاتيته، وعمد الى ما يعرفه عن نفسه — « اذ كنت اعرف به من سواي » — فجعله اساساً لتلك النظرة النقدية التي انصف فيها نفسه وشعره. قال عن نفسه: « فان الشاعر نفسه يحدثنا في مواطن كثيرة من مؤلفاته الادبية والوجدانية بانهُ يجهل قلبهُ كلَّ الجُهل ». و اشار في الموضوع نفسه الى رسالة كان قد كتبها فقال فيها « واعد عليك يا صديقي ان الازمة الباقية هي ازمة القلب. فقد فهمت كل شيء وبقي قلبي كالغابة المجهولة في ضمير الظلماء ». وكلاهما قول شاعر. ثم اشار في ظرف الى اول عهده بالشعر، وكيف اهتمته اياهُ اولاً « بنية خفيفة الروح حلوة الحديث » كانت تداعب قلبه المتفتح بالفاظ مطولة تتمثل في هذه الكلمات « انت يا ولد عيونك خضر زي عيوني ». وقد ظلت هذه الفتاة منية روحه الى ان اغارت الاقدار فسلطت عليها الموت فأهدى الديوان الى بقاياها في التراب اذ قال: « الى تلك الفتاة التي خفق لها القلب اول خفقة، والتي قلت فيها اول قصيدة، وسكنت عليها اول دمعة، الى تلك الفتاة المنسية التي تنام في قبر مجهول تحت سماء سنتريس... » ثم يمضي الشاعر في وصف الاطوار التي مرَّ فيها شعره في الازهر ثم في الجامعة المصرية ثم ديار الغرب. ثم هو لا ينكر ان في اشعاره صدىً للاخيلة البدوية، « وعذر صاحبنا انه حفظ في حياته ثلاثين الف بيت من الشعر القديم ». وفيها « كذلك اسراف في النفرة من عبث الشباب اذ كان يجاهد نفسه وهواهُ جهاد الابطال ». اما « اشعاره الحديثة فيها مرونة في التعبير، وفيها ترحيب بطيِّبات الحياة وفيها احياناً دعوة الى موجبات النزع والطيش »

وانك لترحب اذ تقرأ اشعار هذه المجموعة باشراف ديباجتها وجرسها، والاجادة في اختيار الفاظها. قال في قصيدة الديوان الاولى

جَنَسْتُ عليَّ الليالي غير ظالمة اني لاهلُّ لما القاهُ من زمني
فما رأيت من الاخطار عادية الا بنيتُ على اجوازها سكني
ولا لحتُ من الآمال بارقة الا تقحمت ما يتجاز من قنن
اصبتُ دنياي معنى لا قرار له في ذمة المجد ما شردت من وسن

ومن غرر الديوان قصيدة « غريب في باريس » صفحة ١٠٨ وحبذا الحال لو لم يجعل اسم الديوان بالفرنسية Poèmes Erotiques لا لعب في الاسم نفسه، ولكن في عدم انطباقه على السمة الغالبة على قصائد الديوان، وان كان في بعضها « ترحيب بطيِّبات الحياة وحياناً دعوة الى موجبات النزع والطيش »

تأليف كريم ثابت — حبس ريعه لمنكوبي فلسطين — مطبعة المقطم
يمتاز هذا الكتاب بكونه يعالج ناحية خاصة من نواحي حياة الملك فيصل الحافلة بالأعمال
فالمؤلف يروي ما عرفه بنفسه من اخلاقه وما خبره بذاته من آرائه في رحلاته المتعددة وفي
اجتماعاته بمختلف المناسبات ويدون ما سمعه من اقواله مما لم يتح لغيره من المؤلفين
فهو يحدثك في الصفحات الاولى عن مقابله الاولى لجلالته في فندق شبرد سنة ١٩٢٠ وهو
في طريقه الى العراق — وقد كان المؤلف طالباً في مدرسة — فيقول له وقد عرف انه يدرس اللغة
العربية على استاذ خاص « بارك الله فيك ، ان من يتبرأ من لغة آبائه واجداده يتبرأ أبأوه واجداده
منه . ولا يؤمني اكثر من ان بعض الشرقيين الذين يستحيون من لغتهم الاصلية ويتظاهرون
بأنهم لا يستطيعون الاعراب عن افكارهم بها بوضوح وجلاء » فهو يلمي درساً بليغاً في المحافظة
على القومية على بعض الشبان المتفرنحين . ويحدثك في فصل آخر عن رحلة الملك المرحوم الى اوربا
سنة ١٩٢٦ واجتماعه بجلالته حين عودته وقوله : « لقد اثرت مدينة سويسرا تأثيراً عظيماً في نفسي
وثبت لي ان المدنية الحقيقية لا تكون بالقصور الشاحخة والبنائات الفخمة وان الاستقلال الحقيقي
لا يشيد الا على التعليم فالتعليم هو الركن الاكبر وحجر الزاوية لكل امة تبغي التقدم ، يجب علينا
ان نتعلم حتى اذا تعلمنا تعين علينا ان نبني . ان ما شاهدته في سويسرا ليس وليد يوم او شهر او
سنة بل هو ثمرة جهود بذلها شعب نشيط في خلال عشرات من السنين . هنالك بنى الاء للاولاد
والاولاد للاحفاد فيجب علينا نحن ايضاً في الشرق ان نبني لاولادنا ويجب على اولادنا ان يبنوا للاحفاد »
ويحدثك في مكان آخر عن مرافقته لجلالته في رحلته الى ايران سنة ١٩٣٢ فيروي ما قاله له
في الاغراض التي رمى اليها من رحلته تلك وهو « ان الغرض من رحلتي الى ايران هو رغبتني في
توثيق اواصر الصداقة والمودة مع جارتنا فنحن نريد ان نعيش مع جميع جيراننا بصفاء ووئام . ان الدول
لم تعد تفكر الآن الا في شيء واحد وهو تعزيز مرافقها الاقتصادية لكي تعيش ونحن نريد ان نعيش
وبتكلم في مكان آخر عن ذكرياته في خلال رحلته الى اوربا في الباخرة اسبيريا فيروي ما سمعه
من جلالته عن رأيه في الحكم والحكام وعن الحياة في الشرق وقد قال « لنا نحن معشر الشرقيين
في حياتنا العمومية عيبان الاول اننا لم نكن نهتم بتنظيم عملنا والثاني اننا كنا دائماً اذا فكرنا في
مشروع جديد لا ننظر الا الى الصعاب التي يمكن ان تعترض تنفيذه ننظر اليها لا بعين الحكمة
لتدبير الحلول اللازمة لتذليلها بل بعين التردد والتخاذل فنحجم عن الاقدام » . وجر الحديث الى تعليم
المرأة فيسط جلالته رأيه بقوله « لا اريدها متعلمة ولكنني اريد ان تعرف كيف ترعى ولدها
وكيف تجعل زوجها سعيداً هذا ما اريد ان تتعلمه الفتاة العراقية قبل كل شيء وهذا ما اعتقد انه
لا مندوحة لكل فتاة عنه . اما كيف تختار ملابسها وكيف تتكلم في المجالس فهذا من الكماليات
التي اتركها للاغنياء وهم احرار فيها اما التعليم النسائي العام عندنا فسيكون قائماً على الاساس الذي قلته »

باب الاختصار العلمانية

امير الصعيد

امر ملكي

نحن فؤاد الاول ملك مصر
بعد الاطلاع على القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٣
الخاص بوضع نظام الاسرة المالكة
ونظراً لاستحسان نسبة اماره ولي عهدنا الى
اقليم تضاف اليه تنوبها بمكانه بين امراء الاسرة
المالكة

امرنا بما هو آت :

١ - يطلق على ولي عهدنا الامير فاروق
لقب « امير الصعيد »

٢ - على رئيس ديواننا بالنيابة تنفيذ امرنا هذا
صدر بسراي عابدين في ٢٤ شعبان سنة
١٣٥٢ - ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣

« فؤاد »

توراة سيناء وشيء عنها

في التلغرافات العامة ان المتحف البريطاني
اشترى بواسطة الحكومة البريطانية وبمساعدها
المالية التوراة المشهورة باسم (كودكس سيناتيكنس)
او الكتاب السينائي وهي اقدم مخطوطة وجدت
للكتاب المقدس باللغة اليونانية ولا يفوقها في
القدم والشهرة سوى المخطوطة الفاتيكانية المعروفة
« بكودكس فاتيكانوس » وهي باللغة اليونانية ايضاً
وقد عثر على المخطوطة الاولى المسيو
تسخندورف في دير القديسة كاترينا بسينا في

سنة ١٨٤٤ واشتراها قيصر الروس في سنة
١٨٦٩ وهي مكتوبة على ورق رفيع في اعمدة
كل أربعة منها في صفحة وكانت تتألف في الاصل
من العهد القديم والعهد الجديد اي الانجيل
الاربعة ورسائل الرسل وهي كاملة وفي آخرها رسالة
الرسول برنابا ورسالة راعي هرماس ولكنهما غير
كاملتين والمرجح انه كان بينهما مخطوطة اخرى
فقدت تماماً

ومن رأي تسخندورف ان هذه المخطوطة
نسخها اربعة كتاب في القرن الرابع من التاريخ
المسيحي وقد وجد بمقابلة هذه المخطوطة بالمخطوطة
الفاتيكانية ان احد هؤلاء الكتاب الاربعة هو
الذي سبق ان نسخ المخطوطة الاخرى (الفاتيكانية)
واصل المخطوطة السينائية مصحح في عدة
اماكن والمرجح ان التصحيح عمل في القرنين
السادس والسابع وقد قال المصحح في آخر سفر
استير انه اعتمد في هذا التصحيح على نسخة قديمة
كتبها بامفيلديوس مؤسس مكتبة قيصرية بفلسطين
ويظن ان هذه التوراة كانت في الاصل في
مكتبة قيصرية ولكن آخرين يذهبون الى انها
كانت في الاسكندرية . اما الرأي الاول فيدعمه
ما اثبتته المصحح في آخر سفر استير وعزرا
من انه صحح التصحيح في مكتبة قيصرية وان
تقسيم اصحاحات اعمال الرسل يمكن رده الى تلك
المكتبة اما الرأي الثاني فيقرره امران : الاول

لتكون قادرة على تأدية المهمة التي انشئت لاجلها
فإذا تفعل لتحقيق هذه الغاية ؟

لم يكن المرجح ان تستطيع انقرة اجتذاب
رجال من المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان من
الايواسط العلمية الاوربية واقناعهم بالمجيء الى
تركيا لان البلاد بعيدة. ولان الوسط العلمي فيها
متأخر . ولان الكاتب الفرنسي بيار لوتي ومن
على شاكلة من الكتّاب وصفوا تركيا وصفاً
قصصياً ونسبوا اليها اموراً خيالية . اضيف الى
ذلك ان لغتها صعبة وتحتاج الى دراسة خاصة الى
غير ذلك من العقبات التي يتعذر معها تزويد
جامعتهم بهيئة ذات كفاءة ومقدرة من
علماء الغرب

غير ان ما حدث في المانيا من الانقلاب
غير الظنون وذل العقبات وجعل عدداً كبيراً
من كبار العلماء اليهود يبحثون لهم عن عمل او
عن مناصب علمية في بلدان اخرى تعوضهم من
المناصب التي زعت من ايديهم في المانيا او التي
كان ينتظر ان تؤخذ منهم عملاً بما ترمي اليه
الحملة على اليهود هناك

وفي اثناء هذا الانقلاب الالماني كان الترك
يؤسسون جامعتهم ويؤثثونها فلم تشعر حكومة
انقرة الا وقد تقدمت اليها طلبات عدة من علماء
المان من اليهود كانوا اساتذة في جامعات المانية
ورغبوا الى تركيا في ان تسند اليهم عملاً فيها
فاغتسمت هذه الفرصة التي سئحت لها ومن المائة
والخمين منصباً التي تحتاج اليها الجامعة اسندت
الى ٣٨ علماء اجانب عيّنهم في كراسي التعليم
الرئيسية في المعهد الجديد . ومن هؤلاء اثنان
وثلاثون عالماً من الالمان والجانبا الاكبر منهم

ان خط احد نسخ التواراة الاربعة مماثل كل
المائة لشكل الخط القبطي اليوناني الموجود في
البردي . والثاني ان تبويب رسائل بولس الرسول
هو على المنوال الذي وضعه القديس اثناسيوس
الاسكندري

جامعة استانبول الجديدة

في الوقت الذي احدث فيه الترك انقلاباً من
جهة الفن بعنايتهم بالفن البيزنطي في جامع ايا صوفيا
احدثوا انقلاباً آخر من جهة العلم فاسسوا جامعة
جديدة وتحولوا بمجملتهم الى علوم الغرب الوضعية
والعملية وقطعوا صلّتهم بعلوم الاسلام . وعدلوا
عن اضافة « معهد الدراسات الاسلامية » الى
جامعتهم كما كان مقترحاً عليهم في اول الامر
وقرروا ان لا يدرس الفقه الاسلامي في جامعتهم
اما اللغات الشرقية فيكون تعلمها اختيارياً في
معهد اللغات القديمة وأدبياتها

وقد يكون السبب في حذف العلوم الدينية
من جامعة استانبول الجديدة هو علم الترك بان
هذه العلوم تدرس على وجه اكمل من ذلك في
جامعة اسلامية قديمة مخصصة لها وهي الجامعة
الازهرية في مصر وعدم استطاعة الترك انشاء
جامعة تنافسها في استعدادها ولكن هناك سبباً
آخر على ما يقال وهو ان الحكومة التركية تعتقد
ان التخصص في العلوم الدينية لا يطابق حالة العصر
المتجه الى اقتباس علوم الغرب . وان العلوم
الوضعية هي التي كانت سبب ما بلغه الغرب من
التقدم فيجب ان تكون هي اساس التعليم في تركيا
وكان لا بدّ لتركيا ان تدعو عدداً كبيراً
من علماء الغرب واساتذته للتدريس في هذه الجامعة

من الجنسية اليهودية وخمسة من العلماء الفرنسيين وكان الاولون يدرسون في جامعات برلين وبينما ومونستر وفرنكفورت وجوتنجن وكولوني ومربورج وبرسلاو وغيرها. ومنهم استاذ الفلك وكان من علماء مرصد بوتسدام

وسيتولى هؤلاء الاساتذة المثقفون باحدث اساليب العلوم الوضعية الغربية — تدريس الكيمياء والبكتريولوجيا والنبات والطبيعة العملية والفلك والنباتات الطبية والهندسة الكهربائية والصحة والجراحة وهي علوم يجيد الالمان تدريسها وهم خير العلماء المتضلعين منها وستدرس في جامعة استانبول ايضاً العلوم البشرية الآتية وهي علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والفلسفة والرياضيات واللغة اللاتينية وادبياتها والحقوق. وهذا العلم الاخير يقبل عليه الطلبة الترك كثيراً فان من ١٨٠٠ طالب في الجامعة يتعلمه ٥٠٠

ولا شك في ان حكومة انقرة لم تنجح في اقناع هؤلاء العلماء بالمجيء الى تركيا الا بعد ما أغرتهم بالرواتب الحسنة فقد عينت لكل منهم راتباً قدره ٤٠٠ ليرة تركية في الشهر أي نحو ٧٥ جنياً انكليزياً في حين يتقاضى الاستاذ من الترك ٣٠٠ ليرة او نحو ٤٠ جنياً. وقد تعاقدت معهم على التدريس مدة خمس سنوات وتعهدت لهم باعداد ما يحتاجون اليه من معامل الكيمياء والطبيعة ولم تبخل الحكومة التركية بشيء في اعداد هذه المعامل بل جهزتها بجميع الآلات والادوات العلمية وبلغ ما خصصته الاتفاق على اتمام مباني الجامعة وللمعامل ولرواتب العلماء مليوني ليرة تركية وثمان مائة الف ليرة

ومن هذا المبلغ الطائل مليون ونصف مليون ليرة ستصدر بها الحكومة قرصاً داخلياً مضموناً بمالية الدولة لان ميزانيتها الحالية ليس فيها من الوفرة ما تدخره للاتفاق على هذا العهد العلمي ولولا ما تعلقه الحكومة من الشأن الكبير على تجديد الجامعة وما تؤمله من ورأها من نشر الثقافة العالية في البلاد لما اضطرت الى حمل عبء هذه النفقة في وقت استحكمت فيه حلقات الازمة الاقتصادية

ولكن حتى بعد كل هذا النجاح في تدبير العلماء الاكفاء والمعامل الحديثة وبعد اتفاق هذا المال الكثير على الجامعة لا تزال توجد امام الحكومة صعوبات اخرى ومن هذه الصعوبات مسألة اللغة التي تدرس بها العلوم. ومما زاد هذه المسألة تعقيداً ان العلماء الذين عينوا لا يتكلمون الا لغتهم الالمانية. في حين ان الطلبة الترك لا يعرفون لغة اجنبية او انهم لا يعرفون سوى اللغة الفرنسية لان المدارس الثانوية لا تعلم سواها. وقد كانوا يدرسون الحقوق بها ايضاً ومع ذلك فان الترك لا يتقنون هذه اللغة كما ينبغي وكان هذا من بواعث تأخر التعليم في تركيا. حتى اعترف كبار الترك الآن بان تركيا لا تتقدم تقدماً حقيقياً الا اذا اتقن ابناؤها لغة اجنبية ما كالالمانية او الانكليزية او الفرنسية، ومما نص عليه قانون الجامعة الجديدة انه اذا رسب طالب مرتين في امتحان لغة اجنبية فصل من الجامعة ولكن الى ان يتعلم الطلاب الترك لساناً اجنبياً ويتعلم الاساتذة الاجانب اللغة التركية ثم الاتفاق على ان يكون التعليم باللغة التركية بعد مضي ثلاث سنوات باسلوب غير مألوف وهوان

يتلو الاساتذة محاضراتهم بلغتهم الاصلية ثم يترجمها مترجم الى التركية للطلبة ثم يعرض هؤلاء ما يرومون من اسئلة ويتولى المترجم ترجمتها الى لغة الاستاذ . وهذا يقتضي ان يرافق كل استاذ مترجم من الترك وتدير هؤلاء المترجمين الاكفاء في الترجمة من اشق الامور

ومما تعهد به العلماء الاجانب هو ان يصدروا في كل سنة كتاباً باللغة التركية يتضمن نص المحاضرات التي القوها

ولا حاجة الى القول ان الغازي يرمي من وراء هذه الجامعة الى تخريج علماء ترك وليس الغرض منها مقتصر على تخريج قضاة ومحامين واطباء وموظفين بل ان يتذوق خاصة الترك لثة البحث العلمي وتنشأ في البلاد معاهد ومجامع علمية يرتقي بواسطتها العقل التركي الى مرتبة السكالم في الدراسات العلمية وتذيع اسماء العلماء والمكتشفين الترك في العالم كما ذاعت في ايام ابن سينا وابن رشد لما كان الشرق يعلم الغرب اساليب الفلسفة

الطيران في مصر

طبع الاحتفال بافتتاح مؤتمر الطيران في دار الاوبرا يوم (الاربعاء ٢٠ ديسمبر) فن الطيران بمصر بطابع رسمي يلفت اليه النظر في الشرق والغرب

ومن سوء الحظ ان الحالة الجوية البديعة في معظم ايام السنة عندنا ساءت في هذا الاسبوع بسبب الاضطرابات الجوية في اوربا وسورية فهاج البحر المتوسط واتصل تأثير ذلك كله بنا فخال دون وصول جانب من الطائرات التي كان طياروها يمنون النفس بالاشتراك في المباراة

المعدة للطيران وحضور اجتماعات المؤتمر وحفلاته وقضى امس بتأجيل المباراة الاولى حذراً من فعل العواصف

ولا يسع الباحث الا الاستغراب لقرار الذين استصوبوا عقد هذا المؤتمر واقامة مباراته في هذا الفصل من فصول السنة مع ان المأثور هو ان الجزء الاخير من شهر ديسمبر عرضة لهذه العواصف ولكن ما كتب فقد كتب ولات ساعة مندم . غير ان الذي يبعث على الاسف هو ان تخيب آمال هذا العدد الكبير من الطيارين والمندوبين الاجانب وقد استقر في اذهانهم مما سمعوا وما قرأوا ان جو مصر لا يعلى عليه في كل ما يتعلق بالطيران فيرونه الآن غائماً او ملبداً بالسحب او عاصفاً وهو ما لا يحدث عندنا في مجموعته في اكثر من عشرين يوماً من ٣٦٥ يوماً

ولكن فن الطيران اخذ بخطو في مصر خطوات كبيرة يدفعه الى الامام ثلاثة عوامل اولها عناية الحكومة بتنظيم شؤونه واعداد المطارات في الاسكندرية والعاصمة ومدن مصر الكبيرة واهتمامها بالطيران العسكري وتأليف سلاح الطيران وعزمها على التوسل بالطائرات لقضاء جانب من اعمال الحراسة والرقابة وهو مبدأ سيستوعب تدريجياً بما يبدو للعيان من فوائده والثاني نشاط شركة مصر للطيران وحسن استعدادها وكفاية معداتها وهمة القائمين بأمرها والمنوط بهم ادارتها فان هذه الشركة على قرب العهد بنشورها فازت بقسط عظيم من النجاح فأنشأت في البلاد اهتماماً بالطيران وسهلت سبله لمن يشاء وأنشأت مدرسة في هليوبولس واخرى

في الاسكندرية لتعليمه وبالامس احتفلت بفتح
خط جوي عظيم بين القاهرة واسوان وهي
تدرس مشروع انشاء خط جوي بين مصر
وفلسطين . وهذه مقدمات لما سيتلوها من
خطوط اخرى قد تكون اطول منها

والثالث اقبال الشبان المصريين والشابات
على تعلم فن الطيران ورغبتهم فيه ونجاح جانب
منهم نجاحاً جعل جريدة عظيمة كجريدة التيمس
الانكليزية تنوه بمقدرة الطيارة لطفه النادي
وما زاد هذه الرغبة مشاهدة الناس لاعتماد
بعض العظماء على الطائرات في انتقاهم كالسر برسي
لورين وطلعت حرب باشا . ولو كانت الاحوال
المالية غير ماهي وفي طاقة الناس ان يشتروا الطائرات
كما كانوا يشترون السيارات في عهد اليسر والرخاء
لكثر عدد الذين يطيرون ولما خلا جو مصر
من طائرات في النهار

وما يزيد الناس ولوعاً بالطيران علاوة على
الاعتبارات المتقدمة انه مطابق لما في فطرة البشر
من النزوع الى العلاء نزوعاً ما برحوا في العصور
الغابرة يحاولون اظهاره بالشعر وسواه ولكن
بما كان ابلغ ما خطر لهم التعبير عنه حكاية
بساط الريح فانها ستظل الى آخر الدهر من ابداع
ما نسجته مخيلة الانسان

عجائب العين الكهربائية

نقل برنامج لاسلكي يشعاع نور

شاهد حديثاً المولعون بالراديو أمجوبة من
أعاجيب القرن العشرين وذلك في مساء ذات يوم
اذ سمعوا أنغاماً موسيقية ، منقولة على شعاع
من أشعة النور ، لا على امواج الراديو المألوفة

وتفصيل ذلك الحادث الغريب ، انه اجتمعت
فرقة موسيقية في برج صرح كريسلر بمدينة
نيويورك حيث عزفت الحانها امام ميكروفون ،
ولم يكن في ذلك البرج سلك ارضي ينقل الصوت
المكبر الى قاعة الموسيقى التي تبعد عنه نصف
ميل ، بل كان هناك عوضاً عنه ، شعاع زرقة
تنبثق من نور مصباح كهربائي كشأف قوة
٥٠٠٠٠ شمعة تنقل الانغام الموسيقية الى الجهة
المقصودة ، فاخترقت السقوف التي تعترضها حتى
وصلت الى قاعة الموسيقى حيث كان في نافذة تلك
القاعة ، عدسة كبيرة تلتقط الشعاع ثم تحصرها
في بصاصة كهربائية ، فالتقطت الالحان الموسيقية
واطلقتها في الجو ، وبلغ من شدة اتقان الاذاعة
ان كثيراً ممن سمعوها لم يعرفوا كنهها

واستخدام شعاع النور بمثابة سلك تليفوني
ليست فكرة حديثة فقد سبق المسترجون
بلاحي الخبير الكهربائي بشركة الكهرباء العامة في
الولايات المتحدة ان استنبط مثل ذلك الاستنباط
(وقد وصفناه سابقاً) اذ تحدث من المنظار
لوس انجيليس الى سطح الارض . ثم تمكن
حديثاً من نقل الاصوات ، بتلك الوساطة من
قمة جبل الى مدينة شنيكتادي بولاية نيويورك
والمسافة بينهما ٢٥ ميلاً . ولا جرم ان طريقة
استخدام اشعة الضوء بدل الاسلاك التليفونية
ما زالت في حيز المختبرات العلمية غير ان الجهاز
الجديد الذي اخترع وعرض حديثاً على مستعملي
الراديو يتوقع الخبيرون نجاحه في الاعمال التجارية
ورب سائل يسأل . وكيف يستطاع نقل
الكلام بشعاع الضوء فنقول :

يتوقف ذلك على اختراع وسيلة تجعل المصباح

مظهرين بذلك شيئاً من روح التسامح بين الغازي والمغزو. ثم يعكفون على مبادلة الآراء الدينية، ويدرسون تدرجاً كل المعلومات التي تتطلبها بيئتهم، كخصائص الأرض، وطبيعة الاقليم. وبذلك يندمجون، فيصبحون جزءاً من الحضارة التي غزاها واثلمهم. ولن يصل بهم الامر إلى هذا الاندماج، حتى تكون الطبيعة قد هيأت لهم قوماً آخرين، نحالاً جائعين، ينقضون على هذه المدينة من جديد انقضاض السيل المزدب. ومن هذا تكون التاريخ

حسنة القرية

(تابع صفحة ٨٨)

وهو يطرأها بالاخبار والنوادر بالكلام المسبوك، كلام اهل الطبقة العليا من الناس، فكان كمن يتنفس في اذنيها انقاس التخيل والشعر والحرية وكان انعطاف هذه الفتاة إليه كأظهر ما يكون عليه الحب. وقد يحدث ان جمال منظره وبهاء بزته العسكرية خلبا لبها لاول وهلة وانما الذي أسر قوداها مبلغه من التربية والمعرفة والتعليم. فكان حبها له يقرب من العبادة فنبت فيها اجتماعها بها رقة شعورها واستعدادها الفطري للتخيل الشعري فاستيقظت فيها تلك العواطف للشعور بالجمال والرفعة والعظمة ولم تحفل بالبون الشاسع بينهما في المقام والغنى... فكانت تصفى لاحاديثه باذنين مسحورتين. وقد اغضت عينيها حياءً وابتهاجاً وتورد خداهما فاذا التفتت إليه التفتاة الظي النفور على سبيل الاعجاب به عادت فاستردت لحظتها وهي تنهد وقد صبغ وجهها الحياة شعوراً بتقصيرها عنه

الكهربائي يخفق خفقاناً يتفق ونبضات الصوت البشري. وقد فاز العلماء بتلك الامنية بالبصامة الكهربائية اذ توضع في مجال نور الصباح حيث تكون بمثابة جهاز مستقبل يلتقط تموجات النور ويصيرها نبضات كهربائية يسمع صوتها بالبوق (ساعة اللاسلكي المكبرة للصوت) والشعاعة الناطقة يمكن تسديدها الى محطة الاستماع بحيث يتعذر اعتراضها على اي انسان كان بعيداً عن مجراها. وبذلك يتسنى جعل تلك الشعاعة الناطقة خفية فتنتقل الرسائل السرية في ابان الحرب

ولقد كانت اعوص العقبات التي تغلب عليها الجربون استنباط نور ينبض عشرة آلاف نبضة في الثانية (وهي السرعة الضرورية لجعل الكلام او صوت الموسيقى يسمع طبيعياً) ويظل متألّقا تألّقا كافياً ليتخلل ابعاداً شاسعة فذلت عوض جندي

الجوع والتاريخ

(تابع المنشور على الصفحة ٥٠)

في خلال السبعين الفارطة من القرون كانت هذه الرواية تتكرر في الوف من مختلف المناظر والصور وتتعاقب على تاريخ المدينة. ففي بدايات التاريخ الاولى التي نستطيع ان نحل رموزها تقع على طبقتين من الناس. طبقة حاكمة لا تعمل: وطبقة محكومة شأنها العمل. وكذلك نلاحظ ان الارستقراطيين بعد مرور بضعة اجيال من استقرارهم وتحضرهم، يبدؤون يلقون بنظرة احترام على الفنون، وعلى المعارف، وعلى سنن التحضر ويفقدون شيئاً بعد شيء خشونتهم الاصلية. ثم يأخذون في التزاوج من المغلوبين

الجزء الاول من المجلد الرابع و الثمانين

صفحة	
١	تحويل العناصر
٧	اجنحة المدافع المصرية . لمصطفى صادق الرافعي
١١	العلم وحياتنا اليومية
١٧	طائر الفينكس . لميخائيل نعيمة
٢٥	جهاد الملك فيصل . لأمين الريحاني
٣٣	أثر الحضارة العربية . لمحمد كرد علي
٣٩	آياته في خلقه
٤٦	الجوع والتاريخ . لاسماعيل مظهر
٥١	النيل في العهد الفرعوني . للدكتور حسن كمال (مصوَّرة)
٥٨	عجائب التلفزة . لعوض جندي
٦٢	السفن والملاحة بمصر . للدكتور علي مظهر (مصوَّرة)
٦٥	سير الزمان
	فصل المأساة الاخيرة
	النهضة السكالية : للدكتور شهنندر
	خطط الرئيس روزفلت
٨٣	حديقة المقتطف : قصي عليّ قصة : لراند رانات طاغور . اشجان القمر : لبودلير . الدسييسة : لشكسبير . الصديق الغادر : للشريف الرضي . الزمان : لشلي . المنتحر : لهلن مولنز . حسناء القرية : لوشنغطن ارفنغ
٨٩	ملكة المرأة : بسائط الفسيولوجيا . الملع وحاجة الجسم اليه . الزواج والصحة والفحص الطبي . اهمية التعليم المنزلي للبنات : للعربية فاطمة فهمي . عقل الطفل في تطوره : لاجد عطية الله . الاولاد ودرس الطبيعة . مميزات الطفل النفسية
	—❦—
١٠٦	باب المراسلة والمناظرة * في مجور الشعر العربي : لبشر فارس
١٠٨	مكتبة المقتطف * على هامش السيرة . ابن خلدون . قلب جزيرة العرب . دائرة المعارف الاسلامية . مطبوعات جامعة بيروت الاميركية . الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي فن الصحة . روائع من قصص الغرب . اطياف الربيع وشعر ابو شادي . النبي . ديوان زكي مبارك . فيصل باب الاخبار العلمية • امير الصعيد . توراوة سينتا . جامعة استانبول الجديدة . الطيران في مصر . عجائب العين الكهر بائية